











الملاح محمد السويدي  
مع الخيرة

# تيسير اللطيف المتناهي

محمد بن محمد البيهقي

في خلاصة تفسير القرآن

al-Sa'adī, 'Abd al-Rahmān ibn Naṣir.

تأليف علامة القصب

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

بارك الله في علمه النافع

طبع على نفقة المؤلف وجماعة من المحسنين

حقوق الطبع محفوظة

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

(RECAP)

BP130

.2

.x53

## مصنفات المؤلف

(١) تفسير القرآن الكريم المسمى « تيسير الكريم المنان » في ثمانى مجلدات أكله في عام ١٣٤٤ ولم يطبع .

(٢) حاشية على الفقه استدراكا على جميع الكتب المستعملة في المذهب الحنبلى . ولم تطبع

(٣) ارشاد أولى البصائر والآليات لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب ، رتبته على

السؤال والجواب ، طبع بمطبعة الترقى في دمشق عام ١٣٦٥ على نفقة المؤلف ووزعه مجاناً

(٤) الدرة المختصرة في محاسن الاسلام . طبع في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦

(٥) الخطب العصرية القيعة ، لما آل اليه أمر الخطابة في بلده اجتهد أن يخطب في كل عيد

وجمة بما يناسب الوقت الحاضر في المواضيع المهمة التي يحتاج الناس اليها ، ثم جمعها وطبعها مع

الدرة المختصرة في مطبعة أنصار السنة على نفقته ووزعها مجاناً

(٦) القواعد الحسان لتفسير القرآن . طبعها في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦

(٧) تنزيه الدين وجملة ورجاله ، مما افتراه القسيسى في أغلاله ، طبع في مطبعة دار احياه

الكتب العربية على نفقة وجيه الحجاز « الشيخ محمد افندى نصيف » عام ١٣٦٦

(٨) الحق الواضح المبين ، في شرح توحيد الانبياء والمرسلين

(٩) توضيح الكافية الشافية . وهو كالشرح لنونية الشيخ ابن القيم

(١٠) وجوب التعاون بين المسلمين . وموضوع الجهاد الدينى ، وهذه الثلاثة الاخيرة

طبعت بالقاهرة بالمطبعة السلطانية على نفقة المؤلف ووزعها مجاناً

(١١) القول السديد في مقاصد التوحيد ، طبع في مصر « بمطبعة الامام » على نفقة

عبد المحسن أبابطين عام ١٣٦٧ (١٢) مختصر في أصول الفقه ، لم يطبع

(١٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، وهو هذا الكتاب

وله فوائد منتورة وفتاوى كثيرة في أسئلة شتى ترد اليه من بلده وغيره ويحبب عليه .

وله تعليقات شتى على كثير مما يمر عليه من الكتب . وكانت الكتابة سهلة يسيرة عليه جداً ،

حتى أنه كتب من الفتاوى وغيرها شيئاً كثيراً ، ومما كتب نظم ابن عبد القوى المشهور

وأراد أن يشرحه شرحاً مستقلاً فرآه شاقاً عليه ، فجمع بينه وبين الانصاف بخط يده ليساعد

على فهمه فكان كالشرح له ، ولهذا لم نعه من مصنفاته .

وكان غاية قصده من التصنيف هو نشر العلم والدعوة إلى الحق ، ولهذا يؤلف ويكتب

ويطبع ما يقدر عليه من مؤلفاته ، لا لينال منها عرضاً زائلاً ، أو يستفيد منها عرض الدنيا ،

بل يوزعها مجاناً ليعم النفع بها . جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيراً . ووفقنا الله إلى ما فيه رضاه .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد فقد كنت كتبت كتاباً في تفسير القرآن مبسوطاً مطولاً يجمع القراء من الاستمرار بقرائته ، ويقتصر العزم عن نشره ، فأشار على بعض المارفين الناصحين أن أكتب كتاباً غير مطول يحتوي على خلاصة ذلك التفسير ، ويقتصر فيه على الكلام على بعض الآيات التي تختارها وننتقيها من جميع مواضع علوم القرآن ومقاصده ، فاستعنت الله على العمل على هذا الرأي الميمون لأمر كثيرة : منها أنه بذلك يكون متيسراً على المشتغلين ، معيناً للقارئ ، ومنها أن القرآن العظيم ليس كثيره من الكتب في الترتيب والتبويب ، لأنه بلغ في البلاغة نهايتها ، وفي الحسن غاية ، وفي الأسلوب البديع ، والتأثير العجيب ما هو أكبر الأدلة على أنه كلام الله وتنزيل من حكيم حميد . فتجده في آية واحدة يجمع بين الوسائل والمقاصد ، وبين الدليل والمدلول ، وبين الترغيب والترهيب وبين العلوم الأصولية والفروعية ، وبين العلوم الدينية والدنيوية والآخرية ، وبين الأغراض المتعددة والمقاصد النافعة ، ويعيد المعاني النافعة على العباد ، ليتم علمهم ، وتكمل هدايتهم ، ويستقيم سيرهم على الصراط المستقيم ، علماً وعملاً .

فالوقوف على تفسير بعض القرآن يعين أعظم عون على معرفة باقيه ، والله جعله مثاني تثني فيه العلوم النافعة ، والمعاني الجليلة الكاملة ، وهذا من تيسيره تعالى لكتاباه ، قال تعالى ( ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟ )

وحما يدعو إلى هذا ما تحتوي عليه هذه المقدمة المذكورة بقولنا .

## مقدمة

« في ذكر أوصاف القرآن العامة الجامعة »

قد وصف الله كتابه بأوصاف جليلة عظيمة تنطبق على جميعه ، وتدل أكبر دلالة على أنه الأصل والاساس لجميع العلوم النافعة ، والفنون المرشدة لخير الدنيا والآخرة وصفه بالهدى والرشد ، والفرقان ، وأنه مبين وتبيان لكل شيء . فهو قنطرة هدى ، ويهدي الخلق لجميع ما يحتاجونه من أمور دينهم ودنياهم ، ويرشدهم إلى كل طريق نافع ، ويفرق لهم بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، وبين أهل السعادة والشقاوة بذكر أوصاف الفريقين ، وفيه



بيان الأصول والفروع يذكر أدلتها العقلية والعقلية ، فوصفه بهذه الأوصاف المطلقة العامة التي لا يشذ عنها شيء في آيات كثيرة .

وقيد هدايته في بعض الآيات بمدة قيود : قيد هدايته بأنه هدى للمؤمنين ، المتقين ، لقوم يعقلون ، ويتفكرون ، ولمن قصده الحق . وهذا بيان منه تعالى لشرط هدايته ، وهو أن المحل لا بد أن يكون قابلاً وعاملاً ، فلا بد لهدايته من عقل وتفكير وتدبر لآياته ، فالعرض الذي لا يتذكر ولا يتدبر آياته لا يفتتح به ، ومن ليس قصده الحق ولا غرض له في الرشاد ، بل قصده فاسد وقد وطن نفسه على مقاومته ومعارضته ، ليس له من هدايته نصيب ، فلا أول حرم هدايته لفتقد الشرط والثاني لوجود المانع ، فأما من أقبل عليه وتفكر في معانيه وتدبرها بحسن فهم ، وحسن قصد ، وسلم من الهوى ، فإنه يهتدى به إلى كل مطلوب ، وينال به كل غاية جليلة ومرغوب .

ووصفه بأنه رحمة ، وهي الخير الديني والديني والأخروي المترتب على الاهتمام بالقرآن ، فكل من كان أعظم اهتماماً به قلّه من الرحمة والخير والسعادة والفلاح بحسب ذلك .

ووصفه بأنه نور ، وذلك لبيانه وتوضيحه المعلوم النافعة ، والمعاني الكاملة ، وأن به يخرج العبد من جميع الظلمات : ظلمات الجهل والكفر والمعاصي والشقاء ، إلى نور العلم واليقين والإيمان والطاعة والرشاد المتنوع .

ووصفه بأنه شفاء لما في الصدور ، وذلك يشمل جميع أمراض القلوب ، فهو يوضح أمراض القلوب ويشخصها ، ويرشد العباد إلى كل وسيلة يحصل بها زوالها وشفائها ، فيذكر لهم أمراض الجبل والشكوك والخيرة وأسباب ذلك ، ويرشدهم إلى قلة المعلوم النافعة واليقين الصادق ، وسلك الطرق الصحيحة المزيّلة لهذه العلل ، ويذكر لهم أمراض الشهوات والهي ، ويبين لهم أسبابها وعلاماتها وآثارها الفسادة ، ويذكر لهم ما به تعالج من المواعظ والتذكير والترغيب والترهيب ، والمقابلة بين الأمور وترجيح ما ترجحت مصالحته العاجلة والآجلة .

ووصفه بأنه كله محكم ، وكله متشابه في الحسن ، وبعضه متشابه من وجه ، محكم من وجه آخر فأما وصفه في عدة آيات أنه كله محكم ، فلبلاغته وبيانه التام واشتماله على غاية الحكمة في تبيان الأمور منازلها ، ووضعها مواضعها ، وأنه متفق غير مختلف ، ليس فيه اختلاف ولا تناقض يوجه من الوجوه ؛ وأما حسنه فلما فيه من البيان التام لجميع الحقائق ، ولأنه بين أحسن المعاني النافعة في العقائد والأخلاق والآداب والأعمال ، فهي في غاية الحسن لفظاً ومعنى ، وآثارها أحسن الآثار ، وكل هذه المعاني المثناة في القرآن يشهد بعضها لبعض في الحسن والكمال ، ويصدق بعضها بعضاً . وأما وصفه بأن منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وآخر متشابهات ، فالمتشابهات هي التي يقع الاشكال في دلالتها لسبب من الأسباب اللفظية والعبارة المركبة ، فأمر الله بردها إلى

المحكيات الواضحة بينة المعاني التي هي نص في المراد ، فإذا ردت التشابهات إلى المحكيات صارت كلها محكيات ، وزال الشك والاشكال ؛ وحصل البيان الهدى من الضلال .

ووصفه بأنه كله صلاح ويهdy إلى الإصلاح ، وإلى أقوم الأمور وأرشدها وأنفعها في كل شيء من دون استثناء . وهذا الوصف المحيط لا يخرج عنه شيء ، فهو إصلاح للعقائد والقلوب ، وللأخلاق والأعمال ، ويهdy إلى كل صلاح ديني ودنيوي بحيث تقوم به الأمور ، وتعتمد به الأحوال ، ويحصل به السكالم المتنوع من كل وجه بالارشاد إلى كل وسيلة نافعة تؤدي إلى المقاصد والغايات المطلوبة ، فلا سبيل إلى الهداية والصلاح والإصلاح لجميع الأمور إلا بسلك الطرق التي أرشد إليها القرآن ، وحث العباد عليها .

فمن عرفت أن القرآن العظيم موصوف كله بهذه الأوصاف التي هي أعلى الأوصاف وأكملها وأتمها وأنفعها للعباد ، وأنه أعيدت فيه هذه المعاني الجليلة ومزجت فيه مزجاً عجيباً قريباً في كماله وحسنه ، فهمت أن طالب العلم إذا وقف على تفسير بعض الآيات تدرب بها وتوصل بها إلى معرفة بقية الآيات .

لهذه الأسباب وغيرها رأينا أن المصلحة تدعو إلى الاختصار على خلاصة ذلك التفسير ؛ راجين من الرب أن يتم نعمته وأن يحصل به المقصود ؛ ورأينا أن الأحسن أن نذكر كل موضوع على حدته لما فيه من التقريب والسهولة وجمع المعاني التي من فن واحد في موضع واحد ، مع أنه كما تقدم لا بد أن يدخل في آيات الأصول كثير من الفروع ؛ وفي آيات الفروع كثير من الأصول ، ويدخل فيها من الترغيب والترهيب والقصص شيء كثير ، وهذا المزج العجيب من كمال القرآن وعظم تأثيره فانه كتاب تعليم يزيل الجهالات المتنوعة ، وكتاب تربية يقوم الأخلاق والأعمال ، فهو يعلم ويقوم ويهذب ويؤدب بأعلى ما يكون من الطرق التي لا يمكن الحكماء والعقلاء أن يقدروا مثلاً ولا ما يقاربها .

## علوم التوحيد والعقائد والأصول

١- بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إليك نعبد وإليك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .  
أى أبتدىء بكل اسم لله تعالى ، لأن لفظ « اسم » مفرد مضاف فيم جميع أسماء الله الحسنى فيكون العبد مستعيناً بربه وبكل اسم من أسمائه على ما يناسبه من المطالب ، وأجل ما يستعان به على عبادة الله ، وأجل ذلك الاستعانة على قراءة كلام الله ، وفهم معانيه ، والاهتداء بهديه .  
« الله » هو المألوه المستحق لافرادته بالحجة والخوف والرجاء وأنواع العبادة كلها لما انتصف به

من صفات الكمال ، وهي التي تدعو الحق إلى عبادته والتأله له ( الرحمن الرحيم ) اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء ، وعمت كل مخلوق ، وكتب الرحمة الكاملة لعقبي المتبعين لأبيائه ورسله ؛ هؤلاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسادة الأبدية ، ومن سدام محروم من هذه الرحمة الكاملة ، لأنه الذي دفع هذه الرحمة وأبهاا تنكديه للحير ، وتولية عن الأمر ، فلا يلومن إلا نفسه .

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها ما دل عليه الكتاب والسنة من الإيمان بأسماء الله كلها ، وصفاته جميعه ، وأحكام تلك الصفات ، فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم ذو الرحمة العظيمة التي انتصف بها استعانة بالرحوم ؛ فالعلم كلها من آثار رحمته ، وهكذا يقال في سائر الأسماء الحسنى ؛ فيقال عليه : ذو علم عظيم يعلم به كل شيء ، قدير ذو قدرة يتدر على كل شيء ، فإن الله قد أنعمت لنفسه الأسماء الحسنى ، والصفات العليا ، وأحكام تلك الصفات ، فمن أثبت شيئاً منها وبقي الآخر ؛ كان مع محالته للصدق والعقل متعصفاً مطلقاً .

« الحمد لله » الحمد هو الشكر على الله بصفات الكمال وبأفعاله الدائرة بين الفصل والمدن المستندة على الحكمة التامة ؛ ولا بد في مدح الحمد من اقتران محبة الحمد لربه وحصوله له ، فالثناء المجرد من محبة وخضوع ليس حمداً كاملاً .

« رب العالمين » الرب هو المربي جميع العالمين بكل أنواع التربية ، فهو الذي خلقهم ورزقهم ونعم عليهم بالعلم الصاهرة واساطنة ، وهذه التربية العامة لجميع الخلق ، برحمهم وعظيهم ، بل المكلمون منهم وغيرهم ، وأما التربية الخاصة لأبيائه وأوصيائه ، فإنه مع ذلك يربي بهمهم فيكملهم لهم ، ويدفع عنهم الفسواف والمواقف التي تحول بينهم وبين صلاحهم وسعادتهم الأبدية ، ويسيرهم ليسرى وحفظهم من جميع أسكارة ، وكما دل ذلك على أفراد الرب فانطلق والتدبير والمداية وكمال لغنى ، فإنه يدل على تمام قدر المدين إليه بكل وجه واعتبار ، فيسأله من في السموات والأرض بلسان المقال والحال جميع حاجاتهم ويفزعون إليه في مهماتهم

« من رب الدين » المنك هو من انتصف بالصفات العظيمة الكاملة التي يتحقق بها الملك التي من آثارها : الأمر ويهي ، ويثيب ويعاقب ، ويتصرف في العالم العلوي والسفلي التصرف التام المطلق بالأحكام الشرعية والأحكام الشرعية ، وأحكام الجزاء ، فهذا أضاف ملكه ليوم الدين مع أنه المالك المصق في الدنيا والآخرة ، فإنه يوم القيامة الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم خيرها وشرها ، ويرتب عليهم جزاءها ، وتشاهد الخليقة من آثار ملكه وعظمته وسعته ، وخضوع الخلائق كلها لعظمته وكبريائه ، واستواء الخلق في ذلك اليوم على اختلاف طبقاتهم في نموذج أحكامه عليهم ما يعرفون به كمال ملكه وعظمته سلطانه



« إياك نعبد وإياك نستعين » أى نخلصك يا ربنا وحدك بالعبادة والاستعانة فلا نعبد غيرك ؛ ولا نستعين سواك ، فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ، فهى القيام بمقائد الايمان وأخلاقه وأعماله محبة لله وخصوعاً له ، والاستعانة هى الاعتماد على الله فى جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به فى حصول ذلك ، وهذا التزام من العبد بعبودية ربه ، وطلب من ربه أن يعينه على القيام بذلك ، وبذلك يتوصل إلى السعادة الأبدية والنجاة من جميع الشرور ، فلا سبيل لذلك إلا بالقيام بعبادة الله والاستعانة به ، وعلم بذلك شدة افتقار العبد لعبادة الله والاستعانة به .

« اهدنا الصراط المستقيم » أى دلنا وارشدنا ووفقنا للعلم بالحق والعمل به ، الذى هو الصراط المستقيم المعتدل الموصل إلى الله وإلى حبه وكرامته ، وهذا يشمل الهداية إلى الصراط ، وهى التوفيق للزوم دين الاسلام ، وترك ما سواه من الأدیان الباطلة ، ويشمل الهداية فى الصراط وقت سلوكه علماً وعملاً ؛ فهذا الدعاء من أجمع الادعية وأتمها للعبد ، وهذا توجه الله ويسره ، وهذا الصراط هو طريق و« صراط الذين أنعمت عليهم » بالعمرة التامة المتصلة بالسعادة الأبدية ، وهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون « غير المنصوب عليهم » وهم الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم « ولا الضالين » الذين ضلوا عن الحق كالنصارى ونحوهم .

فهذه السورة على إجماعها قد جمعت علوماً بجهة تصمتت أنواع التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية يؤخذ من قوله « رب العالمين » وتوحيد الألوهية من قوله « إياك نعبد وإياك نستعين » فهو المألوه بعبادته والاستعانة به .

وتوحيد الاسماء والصفات بأن يثبت لله صفات الكمال كلها التى أتت بها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ وقد دل على ذلك إثبات أحمد لله ؛ فإن الاسماء الحسنى والصفات العليا ، وأحكامها كلها محمداً ومدايح الله تعالى ، وتصمت اثبات الرسالة فى قوله « اهدنا الصراط المستقيم » لأنه الطريق الذى عليه السبيل ﷺ وذلك فرع عن الايمان بذنوته ورسالته ، وتصمت اثبات الجزاء واهم بالعدل ، وذلك مأخوذ من قوله : مالك يوم الدين .

وتصمت اثبات مذهب أهل السنة والجماعة فى التقدير ، وأن جميع الاشياء تقصد الله وقدره وأن العبد فاعل حقيقة ليس مجبوراً على أعماله . وهذا يفهم من قوله : إياك نعبد وإياك نستعين . فيؤلف أن مشيئة العبد مضطربة إلى إغارة ربه وتوقيفه لم يسأل الاستعانة ، وتصمت أصل التخليع ومادته ، وهو الاخلاص الكامل لله فى قول العبد : إياك نعبد وإياك نستعين .

ولما كانت هذه السورة بهذه العطية والجلالة أوجبها الشارع على المكملين فى كل ركعة من صلاتهم حرصاً ونظراً ، وفيها تعليم من الله لعباده كيف يحمدهونه ويثنون عليه ويمجدونه بحمده



ثم يسألون ربهم جميع مطالبهم ، ففيها دليل على افتقارهم إلى ربهم في الأمور ؛ معتقدين إليه في أن يملأ قلوبهم من محبته ومعرفته ، ومعتقدين إليه في أن يقوم بحصلهم ويوفقهم لخدمته ، والحمد لله رب العالمين . .

٢ - قولوا آمنا بالله وما أنزل اليه ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .

هذه الآية الكريمة لها شأن كبير ، كان عليه الصلاة والسلام يقرؤها كثيراً في الركعة الأولى من سنة الصبح ، وقد اشتملت على جميع ما يحب الإيمان به . فإن الإيمان الشرعي هو تصديق القلب بالتم وإقراره بهذه الأصول المتضمنة لأعمال الجوارح والأعمال القلوب ، وهو بهذا الاعتبار يدخل فيه الإسلام وتدخل فيه الأعمال الصالحة كلها ، فهي إيمان ، وهي من آثار الإيمان . فإذا أطبق الإيمان دخل فيه ما ذكر ، وكذلك إذا أطلق الإسلام فإنه يدخل فيه الإيمان ، فإذا قرن بين الإسلام والإيمان ، فسر الإيمان بما في القلب من العقائد الصحيحة والآراء الصالحة ، وفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة .

وكذلك إذا جمع بين الإيمان والعمل الصالح ، الإيمان لدى الدطن ، والعمل الصالح هو الظاهر ومع إطلاق الإيمان يدخل فيه العمل الصالح ، كما في كثير من الآيات ، فقله تعالى ( قولوا آمنا بالله ) إلخ . أي قولوا ذلك بألسنتكم متواطئة عليها قلوبكم ، وهذا هو القول التام الذي يترتب عليه الثواب والجلاء ، فكما أن اللفظ باللسان بدون اعتقاد القلب ليس بإيمان ، بل هو عاق ، فكذلك القول الخالي من عمل القلب عديم التأثير قليل الفائدة ، وفي قوله « قولوا » إشارة إلى الإعلان بالعقيدة والصدق بها والدعوة لها ؛ إذ هي أصل الدين وأساسه ، وفي مثل قوله : آمنا . وما أشبه من الآيات التي يضاف الفعل فيها إلى ضمير الجمع إشارة إلى أنه يجب على الأمة الاعتصام بحبل الله جميعاً والحث على الائتلاف والسعي عن الافتراق ، وأن المؤمنين كلهم الواحد عليهم السعي لمصلحتهم كلها جميعاً والتناصر التام ، وفيه دلالة على حوار إضافة الإنسان إلى نفسه الإيمان على وجه التمسك بأن يقول أنا مؤمن بالله ، كما يقول أنت بالله ، بل هذا الأخير من أوجب الواجبات ، كما أمر الله به أمراً حتماً بخلاف قول المبد : أنا مؤمن ونحوه ، فإنه لا يقال إلا مقروناً بالمشيئة لما فيه من تركية النفس لأن الإيمان المطلق يشمل القيام بالواجبات وترك المحرمات ، فهو كقوله أنا متقي أو ولي أو من أهل الجنة ، وهذا التصريح هو مذهب محقق أهل السنة والجماعة .

قوله ( آمنا بالله ) أي بأنه واجب الوجود ، واحد أحد فرد صمد متصف بكل صفة كمال ، منزّه عن كل نقص مستحق لأفراده بالعبودية كلها ، وهو يتضمن الاخلاص التام « وما أنزل اليه »

يدخل فيه الايمان بالاعط الكتب ولسه ومعنيها ، كما قل معنى ( وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ) فيدخل في هذا الايمان بما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله من أسماء الله وصفاته وأفعاله وصفات رسله واليوم الآخر والعبود كلها والايمان بما تضمنه الكتب والسنة أيضاً من الأحكام الشرعية الأمر والنهي وأحكام الجراء وغير ذلك ، ( وما أنزل إلى ابراهيم ) الخ . فيه الايمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء والايمان بالآباء عموماً ، وخصوصاً ما دس عليهم منهم في الآية الكريمة وغيره لشرفه ولكونه أنوا بالشرائع الكدار ، فم براهين الاسلام ومحسه ، وأنه دين الله الحق الأمر بالايمن بكل كتاب نزل الله وكل رسول أرسله الله مجلداً ومفصلاً ، فكل من ادعى أنه على دين حق كالربود ولصردى ونحوهم فاهم ينصرون فيؤمنون بعض ويكفرون بعض ، فيضل كبرهم وتكذبهم بقصة قبه . ولهذا أخير عنهم أنهم الكافرون حناً ، وأنه لا سبيل يسلك إلى الله إلا سبيل الايمان بحمده والرسول وبجميع الكتب المنزلة على الرسل ، وفي قوله ( وما أتوا النبيون من دهم ) برهن على أن الأنبياء وسائط بين الله وبين خلقه في تسليم ديه ، وأنه ليس لهم من الأمر شيء ، وفي الايجد رأيه من رهم ، يبر أن من كل ربوبية لعداده انبوية لامة أنه رسل الله ونزل عليه كشمه ليعلمهم ويذكروهم ويحرمهم من الطمات إلى النور ، وأنه لا يدين ربوبيته وحكمته أن يركبهم سدى لا يؤمرون ولا ينهون ، ولا يشيرون ولا يعاقبون

ويهم من الآية الكريمة الفرق بين الأنبياء الصادقين ، وبين من يدعى الصوفى الكاذبين قال الأنبياء بصدق بعضهم بعضاً ، ويشهد بعضهم لبعض ، ويكون كل واحد منهم متقناً لا يبتغى لأنه من عند الله بحكم منتظم ، وأما الكذبة فاهم لا يد أن يتناقضوا في أحكامهم وأوامرهم ونواهيهم ويعلم كذبهم بمخالفتهم لما يدعوا اليه الأنبياء الصادقون .

فما بين تعالى جميع ما يجب الايمان به ، عموماً وخصوصاً ، وكان القول لا يبنى عن العمل ، قال : ونحن له مسلمون . أى خاضعون لعهامته متقدون لعدته بدطب وظاهره ، مخصوصون له بذلك فان تقديم المعمول على العامل يدل على الحصر ، فهذه الاصول المذكورة في هذه الآية قد أمر الله بها في كتبه في عدة آيات من القرآن اجمالاً وتفصيلاً ، وأتى على المؤمنين بها ، وأخبر به بقرت عليها من الخير والثواب ، وأنها تكمل السد وترقيه في عقائده وخلقه وآدابه ، وتجعله عدلاً معتبراً في معاملاته ، وتوجب له خير الدنيا والآخرة ، ويحييها بالحياة الضمية في الدارين ، وتخلص له السعادات ، وتدفع عنه شرور الدنيا والآخرة وقد أخبر في هذه السورة أن الرسول والمؤمنين قاموا بهذه الاصول علماً وتصديقاً وإقراراً وعملاً ودعوة وهداية وإرشاداً ، فكُتبت أهل العلم المصطفة في المقامات كلها تفصيل لما في هذه الآية الكريمة .

٣ - الله لا يلهو الخى اليوم ، لأنه جده سنة ولا يوم ، له ما في السموات وما في الأرض من ذلك الذى يشفع عنده ، لا يلهو ، نعم ما بين يديه وما خلفه - ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء ، ومع كرسىه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلى العظيم .

قد أخبر النبى <sup>ﷺ</sup> أن هذه الآية أسطر آيات القرآن على الإطلاق ، وأنها تحفظ قارئها من الشيطان والشرور كلها ، لما تحتوى عليه من معنى التوحيد والعظمة وسعة صفات الكمال لله تعالى فأخبر به الله الذى به جميع معنى الألوهية ، وأنه لا يستحق الألوهية غيره ، فألوهية غيره وسادة غيره باطله صرة في الحس والله ، وعادته وحده لا شريك له هي الحق الموصل إلى كل كمال ؛ وأنه الخى كمال الحدة ، فمن كمال حياته به السميع لصبر تدبير المحيط به كل شئ ، الكمال من كل وجه ؛ فاطلى يتضمن حمى السموات الدانسة ، وأميوم ، الذى فاه نفسه واستغنى عن جميع المحفوظات وقام به ، فأوحده وأشهد وأما ها بكل ما تنحصر فيه في قضاها ، فاليوم يتضمن جميع صفات الأفعال ، وله : ودش اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أحب ، وإذا سئ به أغنى ( الله لا يلهو ولا هو الخى اليوم ) فالهين لا يسمي الكبريين يدين فيه جميع الكلالات الداتية والعلمية ، ومن كمال حياته وفيوميته أنه لا يلهو سنة شئ به من ، ولا يوم ، لأنه إنما يعرض له مخلوق الذى يعزبه انصعف والمحر والانتحال ، ويتردد عنهما ذو العظمة والكبرياء والحلال

وأخبر به مالك جميع ما في السموات وما في الأرض . فكما عبيد وممكة لا يبرح أحد منهم عن هذا الوصف المزمع ، فهو مالك جميع أملاك ، وهو الذى انصف نفسه الملك الكامل والتصرف التام النافذ ، والسلطان والكبرياء .

ومن تمام ملكه أنه لا يشفع عنده أحد ، لا يلهو به وكل أوجها والشمع . عنده له ، ما ليث لا يفهمون على الشفعة لأحد حتى يأتى لهم ( قل الله اشفعوا جميعاً له ملك السموات والأرض ) ولا يشفعون إلا لمن ارتضاه الله ، ولا يرضى إلا لمن لله توحيد وادع رسله ، فمن لم ينصف بهدا فيبس في الشفعة نصيب ، وأشهد بان شفعة محمد <sup>ﷺ</sup> من أول لا . لا لله خالف من قد به . ثم أخبر عن علمه الواسع المحيط ، وأنه يعلم ما بين يدي الخالق من الأمور المستقلة التى لا نهاية لها « وما حفظهم » من الأمور الماضية التى لا حد لها ، وأنه لا تحصى عليه خافية ، يعلم خائنة الأعين وما تحصى الخسور ، وعدده ممتد العيب لا يعلمها ، لا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقه إلا يعلمه ولا حة في طهات الأرض ولا رطب ولا يابس ، لا في كتب مبين ، وأن الخلق لا يحيط أحد منهم بشئ من علم الله ولا معوماته إلا بما يشاء منها وهو ما اطلعه عليه من الأمور الشرعية والقدرة ، وهو حرة يدبر حسناً بالنسبة إلى علم الباري تصمحل العلوم كلها في علم الباري ومعونه ، كما قال عمر الخروف وهو « سل والملائكة » سبحانه لا علم لما لا ما علمتسا »

ثم أخرج عن عطته وجلاله ، وأن كرسيه وسع السموات والأرض ، وأنه قد حطها بما فيها من العوالم ، بالأسباب والنظامات التي جعلها الله في مخلوقاته ومع ذلك فلا يؤوده ، أي يتقله حطها إسكال عطته وقوة اقتداره وسعة حكمته في أحكامه ، وهو العلي ، بذاته على جميع مخلوقاته ، فهو الرفيع الذي يابس جميع مخلوقاته ، وهو العلي بمطمة صفاته الذي له كل صفة كمال ، ومن تلك الصفات أكملها ومنهاها ، وهو العلي الذي تهرج جميع المخلوقات ، ودانت له كل الموجودات ، وحصص له الصب وذل له الرقاب « العظيم » الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد ، الذي تحبه القلوب وتمطبه الأرواح ، ويعرف المأفون أن عطية كل موجود وإن حلت عن الصفة ، فإنها مصححة في جانب عطية العلي العظيم ، فتشارك الله ذو الجلال والإكرام .

هآية احتوت على هذه الماني التي هي أصل الماني وأفرضا على العباد ؛ يحق أن تكون أعظم آيات القرآن ، ويحق لمن قرأها متديراً متصفاً أن يعتز به قلبه من اليقين والرقان والايان ، وأن يكون بذلك محفوظاً من شرور الشيطان ، وقد تمت الباري فيه الكريمة بهذه الأوصاف في عدة آيات من كتابه :

٤ - شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولوا العلم قائماً بالنسط ؛ لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

هذه أجل الشهادات على الاطلاق ؛ فإنها صدرت من الملك العظيم ، ومن ملائكته وأبنيائه وأهل العلم على أجل مشهود عليه ؛ وهو توحيد الله وقيامه بالنسط ، وذلك يتضمن الشهادة على جميع أحكام الشرع وأحكام الجزاء ؛ فإن الدين أصله وقاعدته توحيد الله وإمراده بالعبادة ، والاعتراف بإمراده بصفت العظمة والكبرياء والمجد والعر والجلال ، وبعبود الخلود والبر والرحمة والاحسان والجلال ، ومكانه المطلق الذي لا يحصى أحد من المخلوق أن يحيطوا بشيء منه أو يبلوه أو يصالوا إلى البناء عليه ، بل هو كما أنى على نفسه ، وفوق ما يشئ عليه عباده .

وأما النسط فهو العدل الكامل والله تعالى هو القائم بالعدل في شرعه وحلقه وجزائه ؛ فإن العادات الشرعية والمعاملات وتوابعها ، والأمر والنهي كله عدل ونسط ، لا ظلم فيه بوجه من الوجوه ، بل هو في غاية الأحكام والانتظام ، وفي غاية الحكمة والحرا على الاعمال ، كله دائر بين فضل الله وإحسانه على الموحدين المؤمنين به ، وبين عدله في عقوبة الكافرين والعاصين ، فإنه لم يهضم شيئاً من حسناتهم ، ولم يهضمهم بغير ما كسبوا « ولا تزر وازرة وزر أخرى » قال تعالى : « قل أي شيء أكبر شهادة ؟ قل الله »

فتوحيد الله ودينه قد ثبت ثبوتاً لا ريب فيه ، وهو أعظم الحقائق وأوضحها ، وقد شهد الله



له بذلك بما أقام من الآيات والبراهين والحجج المتسوعة عليه ، ومن شهادته تعالى أنه أقام أهل العلم  
المعارفين بهذه الشهادة ، فانهم المرجع للمعاد في تحقيق كل حق وإبطال كل باطل ، لما حصم الله به  
من العلم الصحيح واليقين التام والمعرفة الراسخة .

وهذا من حلة فضائل العلم وأهله ، فان الله جعلهم وسائط بين عباده يبلغونهم توحيد  
ودينه وشرائعه الطاهرة والباطية ، وأمر الناس بؤاظهم والرجوع إلى قولهم ، وانهم هم الأئمة  
المتسوعون ، وغيرهم نفع لهم في الدنيا والآخرة . ولهذا لهم الكلمة الرفيعة حتى في الآخرة ، لما  
ذكر تعالى اختصاص الخلق واختلافهم ، ذكر القول الفصل في ذلك الصادر من أهل العلم ( وقال  
الذي أوتوا العلم والايان لقد لستم في كتب الله إلى يوم الميث ، فهذا يوم الميث ولكنكم  
كنتم لا تعلمون )

وفي هذا دليل على كمال عدل أهل العلم ؛ فان الله استشهد بهم على عباده ، وذلك تعديل منه  
لهم ، وفي هذا من الشرف وعلو المكانة مالا يخفى .

٥ - ~~حفظ~~ فاعلم أنه لا إله إلا الله ، واستقر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم  
مقالبكم وشواكم

العلم لا بد فيه من إقرار القلب ، ومعرفة بمعنى ما يطلب منه علمه ، ولا يتم ذلك إلا بالعمل  
بمقتضى ذلك العلم في كل مقام يحسبه ؛ وهذا العلم الذي أمر الله به فرض عين على كل إنسان لا يسقط  
عن أحد ، كائناً من كان .

والضرورة إلى هذا العلم والعمل بمقتضاه من تمام التأله فوق كل ضرورة ، والعلم بالشئ يتوقف  
على معرفة الطريق المنصبي إلى معرفته وسلوكها ، والطريق إلى العلم بأنه ( لا إله إلا هو ) على وجه  
الاجمال والعموم أمور :

أحدها : وهو أعطى وأوضحها وأقواها تدبر أسماء الله وصفاته وأفعاله الدالة على كماله وعظمته  
وحلاله ؛ فان معرفتها توجب العلم بأنه لا يتحقق الألوهية سواه ، وتوجب بذلك الجهد في التأله  
والتصد لله الكامل الذي له كل حمد ومجد وحلال وجمال .

الثاني : العلم بأنه الرب المعز بالخلق والرزق والتدبير ، فذلك يعلم أنه المنفرد بالألوهية  
الثالث : العلم بأنه المعز بالنعمة الطاهرة والباطية الدينية والدنيوية . فان ذلك يوجب تعلق  
القلب به محبة وإفابة ، والتأله له وحده لا شريك له .

الرابع . ما يراه الصاد ويسمعونه من الثواب لأولياته القائمين بتوحيده من النصر لرسله  
وأتباعهم ، ومن لسم العجلة المشهدة ، ومن عهوته لأعدائه المشركين به ، فان هذا برهان على أنه  
وحده المستحق للألوهية .

الخامس : معرفة أوصاف الأوثان والآبداء التي أعدت مع الله واتحدت آلهة وأنها فقيرة إلى الله من كل وجه ، ناقصة من كل وجه ، لا تغلك لنفسها ولا لمن عندها بفعلاً ولا ضرراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا بشوراً ؛ فالعلم بذلك يعلم به سلالن بطيشتها ، وأن ما يدعون من دون الله هو السائل وأن الله هو الاله الحق المبين .

السادس : اتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه .

السابع : اتفاق الأنبياء والرسل والعلماء الربانيين من ذلك وشهادتهم به ، وهم حواصن الخلق وأكملهم أخلاقاً وعقولا وعمداً وبقياً .

الثامن : ما أقامه الله من الأدلة والايات الاقضية والقصية التي تدل على التوحيد عظم دلالة وأوضحها وتنادى عليه بلسان المقلد واسان الخال بما أودعها من لطائف صميمه وبديع حكيمته وغرائب حقيقته التاسع : ما أودعه الله في شرعه من الايات المحكمه والاحكام الحسنة والحقوق العادلة والخير الكثير وجلب المسامع كلها ودهم المصادر ، ومن الاحسان المسبوح ، وذلك يدل على كبر دلالة الله الذي لا يستحق العبادة سواه . وأن شريعته التي رلت على السنة رسوله شاهدة بذلك

هذه الطرق التي لا تحصى أنواعها وأفرادها قد أبداه الله في كتابه وعندها ومنه ما اعداد على هذا المطلوب الذي هو أعظم المطالب وأجل نوايا ، فمن سلك طريقاً من هذه الطرق أقصت به إلى العلم واليقين بأنه لا اله الا هو ، وكلما ازداد العبد سبوكاً لهذه الطرق وورغبة فيها ومعرفة ارداد بقيقه ورسوخ بجماله ، وكان الايمان في قلبه أرسخ من الحلال ، وأحقى من كل لذبة وأخص من كل نقيس .

والطريق الاعظم الجامع لذلك كله تدر القرآن العظيم والاساس في آياته ، فانه انساب الاعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من نصيبه وجملة مالا يحصل من غيره وقوله ( واستغفر لذنبك ) أى اطلب من ربك المغفرة لذنبك فان تفعل الأسباب التي تحصل بها المغفرة من الدعاء بالمغفرة والتوبة النصوح ، وفعل الحسنة المأجيه ، وترك الذنوب والمعصية عن الخلق والاحسان اليهم ، ومن ذلك الاستغفار لهم فهذا قال ( وللمؤمنين والمؤمنات ) فهذا من ثمرات الايمان بسبب . فانهم كان هم حين على كل مسلم أن يدعوهم بالمغفرة ، وإذا كانت العبد مأموراً بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، فمن لوازم ذلك أن يكون دافعاً لهم بحب لهم من الخير ما يحب لنفسه ، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه ، ويحذر عن اجتماعهم اجتماعاً سأل فيه قلوبهم ويؤول ما بينهم من الاحقاد المفسية بلمعة دابة والشقاق ، فانه لا خلاف نقل الذنوب والافتراق تكثير الشرور والمعاصي ( والله يعلم مقاديركم ومثراكم ) أى تصرفاتكم وحركاتكم ودهانكم ومحيطكم وما ليه تنهون وبه تستقرون فهو المحيط بكم في كل أحوالكم . وهذه افية المحبوب والترغيب من الحرمان على الاعمال حسنها وسيئها

٦ - هو الله الذي لا إله إلا هو ، عالم العيوب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس ، السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

هذه الآيات الكريمة قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى التى عليها مدار التوحيد والاعتقاد ، فأحر أنه المألوه الذى لا يستحق العبادة سواه ، وذلك لكمالته العظيم وإحسانه الشامل وتديره العام وحكمه الشاملة . فهو الاله الحق وما سواه فسوديته باطلة لأنه خال من الكمال ومن الأفعال التى فيها لضعف ولضرر ، ووصف نفسه بالعلم المحيط بما حصر وقاب وما بهى وما يستقبل وما هو حاصر وما فى العلم العلوى وما فى العلم الأسفل وما ظهر وما بطن ، فلا تخفى عليه حافية فى مكان من الأمكنة ولا زمان من الأزمنة ، ومن كل علم وقدرته أنه يعلم ما تنقص الأرض من الأموات وما تفرق من أحرأهم وما استحال من حال إلى حال ، أحاط بما بذلك على وجه التفسير ولا يعجزه أعادتهم لآدمت والخرأ ، ووصف نفسه بأنه (الرحمن الرحيم) الذى وسعت رحمته الخليقة بأسرها وملأت الأوحود كله ، ووصف نفسه بأنه (الملك) وهو الذى له الملك تمام المطلق ، له صفات الملك التى هى بعون العظمة والكبرياء ولعم والسلطان ، وله التصرف المطلق فى جميع الممالك التى لا يسارعه فيه صارع ، والموجودات كلها عبيده ومملكته ليس لهم من الأمر شيء .

وأحر أنه (القدوس السلام) أى المقدس الممظم السالم من جميع العيوب والنقائص المماثلة لكمالته (المؤمن) المصدق لرسله وأنبيائه بما حاووا به من الآيات البينات والبراهين لقاطعات والحجج الواضحات ، الذى له العلم كله ويعلم من أوصافه المقدسة ونعوته العظيمة ما لا يملكه بشر ولا ملك ويحب نفسه وما هو عليه من الحلال والحلال (العزيز) الذى له نعمة كلها ، عزة القوة والقدرة ، فهو القوى المتين ، وعزة لقهر والغلبة لأكمل مخلوق ، فكلمهم بواصيهم بيده وليس لهم من الأمر شيء ، وعزة الامتناع الذى تمنع نمزته عن كل مخلوق فلا يعارض ولا يعانم ، وليس له نديد ولا منديد (الجبار) الذى فخر جميع المخلوقات ودانت له الموجودات واعتلا على الكائنات وجبر بطلفه وإحسانه انقلوب المكسرات (المتكبر) عن النقائص ولعيوب ، وعن مشابهة أحد من خلقه وعمائتهم لعظمته وكبريائه (سبحان الله عما يشركون) وهذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به من أشرك به ولم يقدره حق قدره (هو الله الخالق) لجميع المخلوقات (البارئ) بمحكمته ولطفه لجميع الريات المصور بحسن خلقه لجميع الموجودات ، أعطى كل شيء خلقه ثم هدى كل مخلوق وكل عضو لما خلق له وهى له .

فإنه تعالى قد تفرد بهذه الأوصاف المتعلقة بخلق لم يشاركه في ذلك مشارك ، وهذا من براهين توحيده ، وأن من تفرد بالخلق والبر ، والتصوير فهو المستحق للسودية وسهابة الحب وعناية الخصوع ( له الأسماء الحسنى ) وقد ورد في الحديث الصحيح أن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة - يعنى أحصى أعطائها وحفظها وسفلها وتعبد لله بها فهو تعالى الذى له كل اسم حسن ، وكل صفة حلال وكال ، فيستحق من عباده كل إحلال وتعظيم وحب وخصوع ( يسبح له ما فى السموات والأرض ) يعنى من المكين والحيوانات والأشجار والجمادات « ومن من شئ ، إلا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون » تدبره انه كان حليماً عفوراً « وهو العزيز الحكيم ، فى خلقه وشرعه .

٧ - اسم الله الرحمن الرحيم « قل هو الله أحد ، الله الصمد » يد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد « أى قل قولاً حارماً فيه معتداً به عداً بمصاهير الا يقتضاه من الاعيان بالله والتعظيم والخصوع ، هو الله أحد ، أى الذى انحصرت فيه الاحدية ، وهى التفرّد بكل صفة كان الذى لا يشاركه فى ذلك مشارك ، الذى له الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال المقدسة والخصر المطلق « الله الصمد » أى السيد الذى قد انتهى مؤداه بالعلم الذى قد كل علمه ، الحليم الذى قد كل فى حبه وفى قدرته وفى جميع أوصاف كماله ، ولأجل هذا صمته المحفوظات كلها وفصده فى كل حركاتها وقرعت اليه خلقه فى معانيها وعلانياتها .

فالصمد هو الذى صمته المحفوظات لم انصف به من جميع الكمال ، ومن كماله انه لم يلد ولم يولد ، لأنه العلى اذلك ، فاتحاد الوجود يتأى مدكه وعماه « ولم يكن له كفواً أحد » أى ليس له مكافئ ، ولا مثيل فى أسمائه وصفاته وأفعاله وتعالى .

هذه السورة أصل سائر من أصول الايمان ، وقد تضمنت توحيد الاسماء والصفات ، ومن لوازم ذلك توحيد الالهية ، ومن المتفرّد بالوحدانية من كل وجه ، الذى ليس له مثيل بوجه من الوجوه ، هو الذى لا تنبى العبادة إلا له ، لا إله إلا هو .

٨ - « وإلهكم الله واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم »

بحر تعالى وهو صدق القائلين بأنه إله واحد ، أى متوحد بمفرده فى ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فليس له شريك ولا شئ له ، ولا كفو ولا مثل ولا نصير ولا خالق ولا مدبر غيره ، فاد ضرر أنه كذلك فهو المستحق لأن يؤد ويعبد بجميع أنواع العبادة ولا يشاركه أحد من خلقه لأنه الرحمن الرحيم المتصف بالرحمة العظيمة التى لا يمتها رحمة أحد ، فقد وسعت كل شئ ، وسعت كل حى ، فبرحمته وحدت المحفوفات ، وبرحمته حصلت له أنواع الكمال ، وبرحمته اندفع



عن العباد كل نقعة ، وبرحمته عرصة عبادة تمتعهم بها آلائه ، وبين لهم كتاباً يحتجونه من أمور دينهم ومصالح دنياهم بالرسائل والرسائل المكتوبة ، فإذا سلم أن ما نالهم من نعمة دوت أو حلت من الله ، وإن أحداً من الخوفين لا يقع أحداً ، علم أنه لا يستحق العبادة إلا المتفرد بالعلم ، الدافع لسكاه ، ويعين على العباد أن يردوه بالخدمة والوقوف والرجاء والتعظيم والتوكل وغير ذلك من أنواع الطاعات ، ويرى من أظم وجه وأقبح القبيح وأعظم الضلال أن يعدل عن عبادته إلى عبادة العبيد ، وأن يشرد المخلوقين من تراب ، بالرب لعظمه ، وأن يسوى المخلوق الساجد القاصر الناقص من كل وجه ، بالرب الخالق المدير القوي الذي يهز كل شيء ، وحصنت له الرقاب .

في هذه الآية اثنتان وحدانية الناري ، وإلهيته ، وتقريرها شفيهاً عن غيره من الخوفين ، والاستدلال على ذلك بتكرره بالرحمة التي من آثرها جميع المبر والاحسان في الدنيا والآخرة ، ثم ذكر الله الأدلة التصديقية بقوله

٩ - « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في السحاب ما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون .

أخبر تعالى أن في هذه المخوقات العظيمة آيات ، أي أدلة على وحدانية الناري وإلهيته وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته ، وآية على المعبث والخرأ أقوم يعقلون ، أي لهم عقول يعملونها فيما خلقت له ، فعلى حسب ما أنزل الله على عبده من العمل وصرفه في التمكن من الآيات يستفاد بها ويعرفها ويعتقها بغيره وفكره وتذبره ، في خلق السموات في ارتفاعها وانساعها وإحكامها واتقانها ، وما جعل الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وجرياتها بانتظام عجيب لمصالح العباد .

وفي خلق الأرض : وحدهم مهدياً للخلق بمكة التقرار عليها والانضاع بعبادتها والاعتبار بما يدل ذلك على إيراد الله بالخلق والتدبير وبين قدرته العظيمة التي بها حقيقتها ، وحكمته التي بها اتقنها وأحسن ، وعلوه ورحمته التي بها أودع ما أودع فيها من منافع الخلق ومصالحهم وصوراتهم وحجبتهم ، وفي ذلك أبلغ دليل وبرهان على كماله من كل وجه ، وأن يفر دياناً عبادة لافراده بالخلق والتدبير والقيام يشنون عباده .

وفي اختلاف الليل والنهار ، وهو تمايزها على أسرارها أدهب أحدهما لخدمة الآخر ، وفي اختلافها في الحر والبرد والشمس والقمر والتوسط وما يشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح الادميين وحيواناتهم وأشجارهم ودروعهم والنباتات كلها ، كل ذلك تدبير وتسخير تجري في حسنه العقول ، ويعبر عن إدراك كنهه الرجال الفحول ، وذلك يدل على قدرة مصرها وسعة علمه وشمول حكمته ، وعموه رحمته وطفه الشامل وعظمته وكبريائه وسلطانه العظيم ، يضطر العباد إلى

معرفة ربه واخلص العدة له وحده لا شريك له .

وفي الملك أتى بحرى فى البحر ، وهى السفن والمراكب ونحوها مما أظم الله عماده صنعها وأقدرهم عليها بتدبير أسبابها ، ثم سخر لها هذا البحر لعظيم وأرياح لى تحملها بما فيها من اركاب والاموال والمصانع التى هى من مدفع الناس وبها تنظم معاشهم ، فمن الذى أظمهم صنعها وأقدرهم عليها وخلق لهم من الآلات المتنوعة ما به يعملونها ؟ أم من الذى سخر لها هذا البحر تحرى فيه بادته وتسخير الرياح ؟ أم من الذى خلق للمراكب البرية والبحرية والطوائية النار والمعدن المتنوعة المعينة على حملها وحمل ما فيها من الاموال الثقيمة جداً ، فمن هذه الامور حصلت سدقة وانمانا ؟ أم تستل عملها وخلق أسبابها هذا الخلق الضعيف انه حز الذى حرج من عقله لا يعلم شيئاً ، وليس له قدرة على شيء ، ثم أعطاه خلقه القدرة وتعلمه ما لم يكن يعلم ، أم تقول : والحق تقول بل السحر لذلك الرب الواحد العظيم لعظم الحكيم القدير ، الذى لا يعجزه شيء ، ولا يمتنع عليه شيء ، بل الآيات كلها قد دانت لربوبيته ، واستكانت لعظمته ، وحضمت لخبروته وعاية العبد الضعيف أن جعله الله حراً ، من أجزاء الأسباب التى بها وجدت هذه الامور العظام ، فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بعباده ، ويدعو العبد إلى أن يصوده وحده لا شريك له ويدعوا اليه فى كل حال .

وما أنزل الله من السماء من ماء ، وهو امطر النار من السحاب ، فأحيى به الارض بعد موتها ، فأظهرت أنواع الانوات وأصناف الاشجار والسانت التى لا يمكن العباد أن يعيشوا بدونها . أليس ذلك برهانا على قدرة من أمره وأخرج به ما أخرج ، وعلى رحمته وفضله به . ده ، وسدده افتقار الخليفة اليه فى كل أحواله وهو يحدوم الى احلاص الذين نه والانة اليه والقيام بعبوديته طاهراً واطناً .

وكذلك هو دليل على حيائه الله لموتى كما قال تعالى ( ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، إن الذى احيىها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير ) وقد ذكر الله هذا البرهان على البعث فى عدة آيات ، كما ذكر ابتداء الخلق برهانا على اعدته وكما ذكر كان علمه وقدرته ، وخلق السموات والارض ، وانه حصل للعباد من الشجر الاحصر ماراً برهانا يثبت على البعث .

وتوله ( وث فيه من كل دابة ) أى نشر فى قطار الارض من الدواب المتنوعة وسخره للآدميين يستعملون بها من وحوه كثيرة ، ومع هذا فهو قائم دائراً ، متكامل بأقواتها ، من دابة فى الارض إلا على الله رزقها ويبلغ مستقرها ومستودعها .

وفي تصريف الرياح آيات عظيمة على وحدانية الله وتفرد به الكمال المطلق ، فتارة تكون باردة وحارة وبين ذلك ، وحبوا وشمالا وشرقا ودورا وبين ذلك ، وتارة تثير السحاب ، وتارة تؤلف بينه ، وتارة تفتح وقدرته ، وتارة تمزقه وتزيل صوره ، وتارة ترسل بالرحمة وتارة ترسل بالعذاب فمن أبدى صرْفَ هذا التصريف ورتب عندها من المنافع للعباد شيئا كثيرا إلا العزيز الحكيم الرحيم اللطيف بعباده المستحق للمحبة والثناء والشكر والحمد من الخليفة .

وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على نعمته ولطافته يحمل الماء الكثير فيسوقه الله إلى حيث يشاء . ويجعله حياة للملاد والعباد ، ويروي به التول والزهود ، وينزله على الخلق وقت حاجتهم إليه ، ويصرف عنهم ضرره فينزله رحمة ولطف ، ويصرفه عناية وعظما . فاعظم سلطانه وأغزر احسانه وألطف امتنه ، ليس من أقبح القبيح وأظلم الظلم أن يتمتع العبد برحمته ويمشوا بغيره . وهم يستعميون بذلك على ما يحطه ومعاصيه ، ومع ذلك من كمال حلمه وعفوه وصفحه يوازي عليهم الاحسان . حيره عليهم على الدوام بدله ، وشرم له في كل وقت صاعده والحاصل أنه كل تدبر المدق في هذه الخلوقات وسيس فكره في بدائع الكائنات علم أنها خلقت لأحق وأحق ، وثبت صحائف آيات ، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به عن نفسه ووحدانيته وما أخبر به لرسول من اليوم الآخر ، وأنها مدرجات مسجرات ليس لها تدبير ولا امتداد . على مدرجها ومصرفها ، فتعرف أن العالم المسمى بالسفلى كلهم إليه مقترون ، وإليه صمدون وأنه أسمى بالأسات عن جميع المحفوظات فلا إله الا هو ولا رب سواه .

وستدبر على هذا الانمودج من الآيات المتعلقة بالتوحيد مع ما دخل في صميمها من الإيمان بالجراء والبعث والرسول والكتب ، وقد قرأ الله ذلك بأدلتها وبراهينه الموصلة إلى العلم التام ، واليقين الراسخ ، وبذلك يعلم أن هذه الأصول الثلاثة متلازمة : التوحيد والرسالة والمعاد ، كما أن في ضمن الآيات المتعلقة بالجراء شيء كثير من متعلقات التوحيد والرسالة ، فسخان من جمل في كلامه الهدى والرشاد ، وإصلاح العباد .

### فصل

١٠ - ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ) .

هذه الآية التي آمن الله بها على عباده المؤمنين أكبر المنن بل هي أصلها ، وهي الامتنان بنبينا رسول الكريم الذي جمع الله به جميع المحاسن الموجودة في الرسل ، ومن كاله العظيم هذه الآثار التي جعلها الله نتيجة رسالته التي بها كمال المؤمنين علما وعملا وأخلاقا وآدابا ، وبها

زال عنهم كل شر وصرده معته الله من أنفسهم وأعداءهم وقبيلتهم ، يعرفون نعمة أشرف الاسب  
وصدقه وأمانته وكأنه الذي فاق به الاولين والآخرين ، ناصحاً لهم مشفقاً خريصاً على هدايتهم  
( يتلو عليهم آياته ) فيعلمهم ألقابها ويشرح لهم معانيها ( ويركبه ) أى يظهرهم من الشرك والمعاصي  
والردائل وسائر الخصال الدنيئة ، ويركبه أيضاً أى يسميهم فيحشدهم على الأخلاق الجميلة ، فان  
التركية تتضمن هدين الامرين التطهير من المساوىء والتمية بالחסن ( ويعلمهم الكتاب ) وهو القرآن  
( والحكمة ) وهى السنة .

فالكاتب والسنة به أكل الله للرسول وفضله الدين وبها حصل العلم بأصول الدين وفروعه ،  
وبها حصلت جميع العلوم السبعة وما يترتب عليها من الخيرات ، ورواى الشرور ، وبها حصل  
العلم اليقيني بجميع الحقائق السبعة وبها الهداية والصالح للخير

محمد صلى الله عليه وسلم هو الامام الأعظم المعلم لهدى الامم من الدين بما يبيع العلوم كلها تنزه  
من معيبتها ، فلم صلى الله عليه وسلم أمته الكتاب والحكمة وتوهمه على حكم الأحكام وأسرارها ،  
وكانت حياته كلها أمراً وفعلاً وتقريراته وهدى وأخلاقه الصالحة والمطهرة وسيرته الكاملة  
المتنوعة فى كل فن من العلوم نعلماً من المؤمنين ، وشرح الكتاب والحكمة شجع لهم بين تعليم  
الأحكام الاصولية والفرعية ، وما به تدرك وتدب ، والطرق التى تفضى اليها عقلاً وتقليداً وعكس  
وتدبراً واستبحاراً للعلوم الكونية من مطاها وبما يبيعها ، وبها لهم فوائد ذلك كله ونمراة وشرح  
هم الصراط المستقيم . اعتقاداته وأخلاقه وأفعاله ، وما لسانه عند الله من الخير العاقل والآجل  
وما على المحرف عنه من العتب والضرر الماحل والآل

فكان خير المؤمنين بهذا التعمية الصادر من النبى الكريم مباشرة وتبعاً من العلماء الربانيين  
اراسخين فى العلم ، ومن الهداة المهديين ومن أكابر الصديقين ، وحصل لبشر المؤمنين من هذا  
التعميم نصيب وافر من الخير العظيم على حسب طبقاتهم ومبارهم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء  
والله ذو الفضل العظيم ، مخرجوا بهذا التعليم من جميع الصلالات ، وانحالت عنهم الشرور المتنوعة  
والجهالات ، وتم لهم النور الكامل وانقضت عنهم الظلمات  
فيا لها من نعمة لا يقادر قدرها ولا يحصى المؤمنون كنه شكرها .

١١ - وقال الدين كبروا بن هذا الإلح افتراء وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاؤوا  
طلما ووراء وقالوا أساطير الاولين اكتتب بها على عليه مكره وأصيلا . قل أنزل الذى يعلم السرفى  
السوات والارض إنه كان غفوراً رحيماً

ذكر الله تعالى فى هذا قبح المكدين محمد صلى الله عليه وسلم . وادلائهم بهذه الشبه الى



يعلم الناس بطلانها ، فرعموا أنه افترى هذا القرآن وأنه ساعده على ذلك قوم آخرون . فرد الله عليهم هذه المقالة المنبهة في الصبح بأن هذا ظلم عظيم وجراءة يعجب السامع كيف سولت لهم أنفسهم هذا القول الهراء ، وأنه من الزور والظلم ، فانه قد كانوا يعرفون بلا شك صدقه وأمانته التي لا يلحقه فيها أحد ، وأنه لم يحتج بأحد من أهل العلم ولا رحن في طرده ، وقد نشأ من أمه أمية في غاية الجهل والغبال ، وقد جاءهم بهذا الكتاب العظيم الذي لم يطرُق العالم أعظم منه . ولا أتى معاني وأعرار علماء ولا أبلغ من ألفاظه ومعانيه ، وأتم من حكمه وحكمه ومبانيه . وقد تحدى قصاصم وأدنام ، وأفرادهم وجماعتهم . وأولهم وآخرهم أن يأتي بمثله أو يعثر سور من مثله . أو سورة واحدة من مثله ، وصرح لهم أنهم إن أتوا بشيء من مثله فهم صادقون ، وهم أهل لفصاحة والبلاغة في الكلام ، معجزو غاية المعجز عن معارضته والاثبات عنثله ، وانصح لهم ولغيرهم عيهم وعجزهم ، وتبين بطلان دعواهم .

وكل من حاول أن يأتي الكلام يعارض به ما جاء به الرسول صار كلامه صحكة للصبيان فضلا عن أهل النظر والعقول ، وكل شبهة يدلون بها في معارضة الرسول من حين يوجه لها النظر لصحیح تضحل وترهق . إن الباطل كان رهوقاً ، ومن حرائثهم أنهم قالوا إن هذا انقرآن الذي جاء به محمد أساطير الأولين اكتبتم من كتب الأولين المسطورة ، فهي على عليه بكرة وأصيلاً وبها ويحكم من الذي عندهم في بطن مكة عليها ، وهل يوحد في ذلك الوقت في مكة أو ما حولها ككتب علي ؟ ولو فرض وقد ر أنه يوحد أحد لم يختص محمد وحده بالأخذ به ؟

ولما كانت هذه مقالة زور وافتراء لا يخفى كدها على أحد نشنوا وقالوا : كان محمد يجلس الى قنين حداد في مكة فارسي يتعلم منه ، ولهذا قال الله عنهم ( واقف تعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين ) بالغ في البيان والبلاغة بهائشها وعائشها ، فلا يمكن الحكم بين القيسين أن يتعلمه من هذا الالكم أعجمي اللسان الذي لم يعرف عنه علم يرجع اليه ، ولا معرفة يتمير بها ، وهذا القرآن الذي جاء به مع كمال بلاغته وحوى علوم الأولين والآخرين

ولما كان هذا القول الذي قالوه ، والمكارة التي تحرروا عليها مد علم الموافق والمخالف كدها وافتراءها ، وكان جميع أعداء الرسول لهم ورثة يقوون بالعداوة للرسول والدين ويعطونها حقها ، ولو حدث عليهم ما حدثت من الدخول في الكذب والافتراء والمكارة ، وقد عرف هؤلاء الأعداء المتأخرون مكارة إخوانهم الذين باشروا تكذيب الرسول ورأوا أن مقاتلهم قد طشت واضمحلت وبأن زورها لكل أحد ، صاغها هؤلاء المكذبون نسارة موهوها وظنوا أنها بهذا التويه تروج ، فرعموا ، وما أتمحه وأكذبه من زعم ، أن محمداً كان يتعلم من عبه ، وأنه كان يحل بالطبيعة السماء والأرض والشمس والقمر والحوم فيعطونها له ، وشاقيها

بقوله فينخيل اليه أصناف التخاييل فيأتى بها الى الناس زاعماً أنها من وحى الله على يد جبريل وأن هذه التخيلات من الأمور العالية التى يعتاد الاتيان بها أهل الرأى والحجى. ولما رأوا آثارها الحليقة فى الاسلام وأهله وتعاليمه وتقويمه للأمة وبهرهم هذا النور العظيم لحأوا الى هذا التحذلق الذى مستناه وغابته أنهم صوروا النبى صلى الله عليه وسلم ورقوه الى رجل من الطيحيين كما قال هذا القول الباطل أحدملاحدة الا فرسيين وتلقاها معه بعض الملاحدة المعصرين وهو معنى على انكار وجود رب العالمين وأنه ما ثم الا عمل لطبيعة وقد علم الناس أن هذا القول المزور أعظم مكاره وصاهته من قول الأولين وأن هذا الافتراء الذى ولدوه بعد مئات السنين أوصح ضلالاً وطمعاً وحرارة ووقاحة من زور الأولين وأن هؤلاء الارادل الذين أعصوا بأوامرهم وتاهوا بعقولهم قد بين الله كذبهم فيما قالوه وأن عقولا ولدت هذه الأقوال المؤتسكة والخيلات الفاسدة والمقالات الفاسدة لمقول ساقطة وآراء ساقطة يعرف فسادها بتأنيدها ومكاربها وامكارها أجلى الحقائق ولهذا قال تعالى (فأمر له الذى يعلم السر فى السموات والأرض) فإلى القادر العظيم الذى أحاط علمه بحميم الاسرار وعلم أحوال العباد حاسرها ومستقبلها فأنزله لهديتهم وجعله مناراً وعلماً يهتدى به المهتمون فى كل وقت وحين .

جميع الحقائق التى دعا اليها هذا الرسول وهذا القرآن حقائق نائمة نائمة للعباد لا يأتى من الحقائق ما يغيرها ، ومحال أن يأتى شئ أصح منها أو مثلها أو يقرها (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) ومن كمال علمه وقدرته أنه لو يقول عليه أحد مثل هذه المقالة لعاحله بالمقوله فمأيد من جاء بها سصره وحججه، وأرى العباد آياته فى الآفاق وفى أنفسهم انى يتبين بها أنه الحق وما سواه ضلال علم بذلك أن هذا الرسول أصدق الخلق وأصحبهم وأزهم وأعلمهم وأخشاهم وأتقاهم لربه وأن أعداءه المكذبين له أكذب الخلق وأعشبه وأعظمهم جهلاً وضلالاً وغياً وفساداً فى كل زمان ومكان .

ومن مكاره أعداء الرسول أنهم جعلوا يتناقضون فى مقالاتهم ويتفلسفون فى فكهم المكشوف كذبه فمنهم من قال به محزون ومنهم من قال ساحر وكاهن ومنهم من قال مسحور ومنهم من قال لو كان صادقاً لعانت الملائكة تؤيده ولو كان صادقاً لاعناه الله عن المشى فى الأسواق وجعل له جنات وأنهاراً وموالاً كثيرة، وكل يعلم أن هذه الأقوال مما تناقضها ليست من أشبه فصلا عن كونها من الحجج ولهذا قال تعالى معجباً (انظر كيف ضربوا لك الأمثل قصوا فلا يستطيعون سبيلاً) ومثل هذه الأقوال التى يذكرها الله عن المكذبين للرسول هى لنفسها تدل على كذبهم ومكاربهم قبل أن يعرف بطلانها من الأدلة الأخرى. وإذا وزنت هذه الأقوال الحاربية من الأولين رأيت نظيرها وأقبح منها جارئة من الملاحدة المتأخرين ويأتى الله إلا أن يتم نوره ولو كره

الكافرون (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) فإساءة الرسول من الهدى في جميع أبواب العلوم السابعة والدين الحق الذي هو الصلاح المطلق أكر الأدلة على أنه رسول الله حقاً وأكر الأدلة على ابطال كل ماناقضه من أقوال المؤتسكين والحمد لله رب العالمين

١٣- بسم الله الرحمن الرحيم . ن . والقلم وما يسطرون ، ما أتت سمعة ريك بمحزون ، وإن لك لأجراً غير محزون ، وإنك لعلى خلق عظيم ، فستصبر ويبصرون بأبيكم المقتنون ، إن ريك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .

يقسم تعالى بالقلم وهو اسم جبرئيل شامل للأقلام التي تكتب بها أنواع العلوم ، ويسطر بها المنشور والمنظوم ، وذلك أن القلم وما يسطر به من أنواع الكلام من آياته العظيمة التي تستحق أن يقسم بها على براقة بيبه محمد ﷺ بما نسبته إليه أعداد من الحقوق ، ففتى عنه ذلك بسمعة ربه عليه وأحسانه ، إذ من عليه بالعقل الكامل والرأى السديد والكلام الفصيح الذي هو من أحسن ما حوت به الأقلام وسطره الأنام ، وهذا هو السمادة والديانة ثم ذكر سعادته في الآخرة فقال ( وإن لك لأجراً غير محزون ) أي لأجراً عظيماً كما يفيد التذكير غير مقطوع ، بل هو دائم متتابع مستمر ، وذلك لما أسلمه ﷺ من المقامات العالية في الدين والأخلاق الرفيعة ، ولهذا قال ( وإنك لعلى خلق عظيم ) فعلا صلى الله عليه وسلم بحقه العظيم على جميع الخلق وفاق الأولين والآخرين . وكان حقه العظيم كما فسرته به مائسة رضى الله عنها هذا القرآن الكريم وذلك نحو قوله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل » فبها رحمة من الله لست لهم ، الآية .

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » وما أشبهها من الآيات الدالات على اتصافه صلى الله عليه وسلم بكمال الأخلاق ، والآيات التي فيها الخلق على كل خلق جميل فكان أول الخلق امتثالاً لها وسقياً إليها وإلى تسكيلاً لها ، فكان له منها أهلها وأهلها وأعلاها ، وهو في كل حصة منها في الذروة العليا . فكان سهلاً ليساً قريباً من الناس محبباً لدعوة من دعاه ، قاضياً لحاجة من استقصاه ، جابراً لقلب من سأله لا يجرمه ولا يردده حائباً ، وإذا أراد أمحاه أمراً وافقهم عليه وتابعهم فيه إذا لم يكن في ذلك محذور ، وإن عزم على أمر لم يستند به دونهم ، بل يشاورهم ويؤامرهم ، وكان يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم ، ولم يكن يعاشر جليلاً إلا أتم عشرة وأحسنها ، فكان لا يعبس في وجهه ولا يغلظ له في كلامه ولا يطوى عنه بشره ولا يعسك عليه فلتات لسانه ، ولا يؤاخذ بما يصدر منه من جفوة ، بل يحسن إليه غاية الاحسان ويحتمل غاية الاحتمال ، صلى الله عليه وسلم .

فلما أمر الله بأعلى المنازل وكان أعداؤه يقولون به مجنون مفتون قال « فاستصبروا يصبرون بأدبكم المفتون » وقد تبين أنه كان أهدي الناس وأكملهم وأنفعهم لنفسه ولغيره ، وأن أعداءه أصل لباس للناس وأنهم هم الدين فقتلوا عباد الله وأضلوه عن سبيله ، وكفى بعلم الله بذلك ، فانه الخواص المجازي « وهو أعلم بمن صل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

وفيه تهديد للصالحين ووعد للمهتدين وبيان لحكمة الله في هدايته من يصلح لهم هداية دون غيره .

## فصل

١٣- وبمح في لصور فصنع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم تمخ فيه أخرى فإذا هم قيام يصبرون ، بل آخر السورة الكريمة

من أهم أصول الإيمان : الإيمان باليوم الآخر ، وهو الإيمان بكل ما أحر الله به ورسوله بعد الموت من فتنه القبر ونعيمه وعذابه . وأحوال يوم القيامة وما يكون فيه ، ومن صفات الجنة والنار وصفات أهلها .

فالإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بذلك كله جملة وتفصيلا ؛ أما أحوال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه وتفصيل ذلك ، فقد تواترت به الأحداث الصحيحة والخبر عن رسول الله ﷺ كما هو معروف ، ولقرآن أشار إليه في عدة آيات ، وأما ما يكون بعد ذلك ، فإذا أراد الملك المقدر لموت العباد وحشرهم وحزاءهم ( ومح في الصور ) وهو قرن عظيم لا يعلم عظمه إلا الذي خلقه ، كما ورد في حديث الصور المشهور ، أو مح في الصور على وجه لا يعلم كنهه إلا الله بفضة الصمق والفرع . ارفع لهذا أهل السموات والأرض وصعقوا . لا من شاء الله من خلقه ( ثم مح فيه أخرى ) بفضة لموت ( فإذا هم قيام ) من أجسادهم كما في الحلقة يظنون ما يستقبلهم من هذه الحياة الآخروية التي يجارى فيها العباد بأعمالهم ، حسناتها وسيئها .

أما المؤمنون المفلحون فيقومون مطمئين مطمئين في فصل رهم ورحمته مستبشرين بشوائه وعمود ومفترته . يحشرون إلى موقف لقيامة وعداً مكرمين . وأما المجرمون فيقومون مرعبين حائفين متحسرين يذعنون بالويل والشور ، يقولون : يا ويلنا ، من لعنا من مرقدا ؟ فيساقون إلى جهنم وردا .

حينئذ تكثر القلائل والاهوال ويشيب الولدان من هول ذلك اليوم وقطاعته ( يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم سكارى ولكن عذاب الله شديد ) . يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه . وجود يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ، ووجوه يومئذ عليها غبرة

ترهبها فترة ، أولئك هم الكفرة الفجرة - يوم تشق السماء بالعمام ونزل الملائكة تنزيلاً الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً ) وتكود الشمس والقمر وتشتت النجوم فتذهب هذه الأنوار المشاهدة ، وتشرق الأرض نور ربها ، وتنزل الله لفضل القضاء بين عباده ، ومحاسنهم على أعمالهم . أما المؤمنون فيحاسبهم حسب يسيراً يقرهم بدنوبهم ثم يغفرها ويستترها عن الخلائق ، ويصاعف لهم الحسابات ، ويعطيهم من فضله ويحبه ملائسته أعمالهم ، ويعطون كتبهم بأعمالهم اكراماً واحتراماً ، كما نفيض وجوههم ، وتنشأ موازينهم ، ويستقبلون بذلك ويستبشرون به فيقولون لأخوانهم ومعارفهم ومحبيهم : هؤم اقرؤوا كتابي - أي طننت - أي أيقنت - أي ملأ حصابي ، فهو في عيشة راحية - الآيات - ويساقون إلى الجنة رمزاً لكل طائفة منهم مع نظرهم في الخير بحسب طيناتهم وسفهم كما يردون في عرصات القيامة حوص عليهم فيشربون منه شرية هبته لا يظأون بعدها ، ويرون في الصراط على قدر أعمالهم كالج نصر ، وكالبريق الخاطف ، وكأجاويد الخيل والآن وكسي ارحال وكشييه ، ودون ذلك .

فإذا عبروا على الصراط وقفوا على فطرة بين الجنة والنار فيقتض بعضهم من بعض مبالغ وتبعات كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هدبوا ونفوا أد لهم في دخول الجنة ، حتى إذا تجاوزوها وفتحت أبوابها شدة محمد ﷺ فتلقاهم حرمة الجنة يسعون عليهم ، ويهونهم بالرحمة من المصاب وحصول الخير والثناء والتأييد الأبدى بسبب طيبتهم ، ولهذا قالوا : سلام عليكم طمس - أي طابت قلوبكم بالمقائد الصحيحة الصادقة ، والأخلاق الحسنة ، والصدق بذكر الله والثناء عليه ، وحوارحكم بحديثه والقيام بطاعته ( فادخوها خالدس ) فإذا دخلوها ، وأما ما يب من العيم المقيم مما لا عين رأت ولا أدن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، حمدوا الله على منته عليهم ما سواق والابواب والأعمال الصالحة ، وبأنجار ما وعدمهم به على الجنة رسله ، وعلى أن الله أودنهم الجنة يتوأنون من حيراتها حيث يشاءون ، وفي يشؤون مما تشبه الأتس وتلد الأعين من نعيم القلوب والأرواح ، ومن نعيم الأبدان والاحسام « على سرر موضوعة متكئين عليها متحابين ، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأمايق ، وكأس من معين ، وما كفة مما يشتهون ، ولهم طير مما يشتهون ، وحوار عين كأمثال اللؤلؤ المسكون » حيرات الاخلاق حسان اوحوه ، قد جمع الله لمن حسن البواطن والطواهر من سرور النفس وفرة البواطر .

ونعم ذلك أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يحبط عليهم ساء ، وأنه يقدر لهم إن سكم أن تشبوا فلا تهرموا أساء ، وإن لكم أن تصحوا فلا ترضوا أبداً ، وإن لكم أن تعموا فلا تناسوا أبداً ، وإن سكم أن تحموا فلا تموتوا أبداً ، فله كل ما يشتهون فيها وتنطق به أم نهم ، ولهم فوق ذلك ما لم تعلمه أمانهم ، ولهم نعيم أعلى من ذلك كله وهو انتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم ، وسماع





## ( فصل )

١٤ - « وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون »

الايمن بالملائكة أحد أصول الايمان ، ولا يتم الايمان بالله وكتبه ورسله إلا بالايمان بالملائكة وقد وصفهم الله بأكل الصفات ، وأنهم في عتبة القوة على عبادة الله والرغبة العظيمة فيها ، وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وأنهم لا يستكبرون عن عبادة الله ، بل يرونها من أعظم نعمه عليهم ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويعصون ما يؤمرون .

في هذا بين كمال محبتهم لله وقوة انقيادهم اليه وبتطهرهم التمس في طاعته ، وأنهم لا يعصونه طرفة عين ، وهم اوسائط بينه وبين رسوله ، وخصوصاً حبرين أنفسهم وأقوامهم وأرفعهم عند الله منزلة ، فانه ذو قوة عتد دى العرش مكين ، مطاع ثم من ، وما هو على العيب بصين وانه لتتزلزل رب العالمين ، نزل به الروح الامين ، على قلبك لتكون من المنذرين ) وكما أنهم الواسط بينه وبين عباده في تبليغ الوحي والشرائع إلى الانبياء ، فهم الواسط في التدبيرات القدريّة ، فان الله وصفهم بأنهم المدبرون أمراً ، فكل حكمة منهم قد وكله على عمل هو قائم به يادن الله ، فمنهم الموكلون بالميث والسمات ، والموكلون بحفظ الماد مما يصرفهم ، ويحفظ أعمالهم وكتابتها ، والموكلون بقض الأرواح وتصوير الاحياء في الارحام وكتابه ، يجرى عليهم في الحال والماكل ، والموكلون على الجنة والنار ، ومنهم حملة العرش ، ومن حوله من الملائكة المقربين ، إلى غير ذلك مما وصفوا به في الكتاب والسنة .

فيجب الايمان بهم اجمالاً وتفصيلاً ، وكثير من سور القرآن فيها ذكر الملائكة والظن عنهم فعلياً أن يؤمن بذلك كله ، ولا تكاد نجد أحداً يسكر وجود الملائكة إلا الزنادقة المنكرين لوجود ربهم ، ومن تسر بالاسلام منهم فانه يسكر الملائكة حقيقة ، ويسكر حبر الله ورسوله عنهم ، ويقرر الملائكة تفسيراً ونحرياً حيثما يزعم أن الملائكة هي القوى الخيرية والصفات الحسنة الموحودة في الالاس ، وأن الشياطين هي القوى الشريرة فيه ، وغرضهم من هذا التحريف دفع الشبهة عنهم ، وقد اردادوا بهذا التحريف شراً إلى شرهم ، وراج هذا التحريف الحديث على بعض الذين يحسبون الظن ببؤلاء الزنادقة ، وليس عسدم بصيرة في أدیان الرسل ، وإن أظهرها تعطيلهم ، فان زنادقة العلامسة أعظم في قدرهم من الرسل ، وكفى بالعبد ضلالاً وعمياً أن يصل إلى هذه الحال ، ونعوذ بالله من مصلات القتن .

ولم نزل بهم هذه الجراءة والنصوع لأقوال حملة الرماقة حتى قسروا الملائكة بذلك التحريف وحتى دعم بعضهم أن سحود الملائكة لآدم ليس حقيقة ، وإنما ذلك تسخير الله للآدميين جميع ما في الأرض من القوى والمعادن وغيرها ، فأفكر ما هو معلوم بالضرورة بخبر الله الصريح في كتابه وخبر رسوله ، وقال هذه المقالة التي فيها مع تكذيب الله ورسوله تسوية كفار الآدميين وجبرتهم وأولهم وآخرهم مآدم ، ومضمون ذلك دل صريح قولهم إن الملائكة سجدت لجميع الآدميين برغم وفاجرم ، فأبى قول الناس في موقف القيامة : يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده وفتح فيه من روجه وأسجد لك ملائكته .

ولولا أن مثل هذه التحريجات والتكذيب لله ورسوله موحود في كتب من يشار إليهم بالعلم لم يكن بها حاجة إلى دفع هذا القول الجريء الذي يعلم كل مسلم لم تميزه العقائد السائلة بطلانه ، ولتقتصر على هذا المقدار من الإشارة إلى العقائد المتعلقة بالتوحيد والرسالة واليوم الآخر والحجاء وإن كان القرآن معطيه في تقرير هذه الأصول العظيمة لشدة الحاجة والضرورة إليها في كل وقت وحال ، ولكن حصل والله الحمد التنبيه الذي يحصل به المقصود ويبين على غيره والله أعلم

## فصل

( في ذكر العوائد والثمرات المترتبة على التحقق بهذه العقائد الجميلة )

اعلم أن خير الدنيا والآخرة من ثمرات الإيمان الصحيح ، وبه يحبي الصدقية طيبة في البارين وبه ينحو من المكارة والشرور ، وبه تحب الشدائد وتدرك جميع المطالب ، ولذا شر إلى هذه الثمرات على وجه التفصيل ، فان معرفة فوائد الإيمان وثمراته من أكبر الدواعي إلى التزود منه .

فمن ثمرات الإيمان أنه سبب رضا الله الذي هو أكبر شيء ، فإنا نال أحد رضا الله في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان وثمراته ، بل صرح الله به في كتابه في مواضع كثيرة ، وإذا رضي الله عن العبد قبل اليسير من عمله ونعماءه ، وغفر الكثير من ذلله ومجناه .

ومنها : أن ثواب الآخرة ودخول الجنة والتسم بتعيمها والسجدة من النار وعقابها ، إنما يكون بالإيمان ، فأهل الإيمان هم أهل الثواب المطلق ، وهم الناجون من جميع الشرور .

ومنها : أن الله يدفع ويدافع عن الذين آمنوا شرور الدنيا والآخرة ، فيدفع عنهم كيده شياطين الانس والجن ، ولهذا قال تعالى « إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » ولم يذكر إنجاءه ذا النون قال ( وكذلك ننحى المؤمنين ) أي من الشدائد والمكارة إذا وقوا فيها والإيمان بنفسه وطبيعته يدفع الأقدام على المعاصي ، وإذا وقعت من العبد دفع عقوباتها بالمسادة

إلى التوبة كما قال ﷺ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . إلى آخر الحديث . فبين أن  
الايان يدفع وقوع الفواحش ؛ وقال تعالى ( إن الدين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا  
فإذا هم مبصرون )

ومنها : أن الله وعد المؤمنين القائمين بالايان حقيقة بالنصر وأحقه على نفسه ، فمن قام بالايان  
ولو أزمه ومتمماته فيه النصر في الدنيا والآخرة ؛ وإنما يقتصر أعداء المؤمنين عليهم إذا ضيعوا  
الايان وصيعوا حقوقه ووحدانه المتنوعة

ومنها : أن الهداية من الله للعلم والعمل والمعرفة الحق وسلوكه ، هي بحسب الايمان والقيام  
بمحقوقه ، قال تعالى ( يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ) ومعلوم أن اتباع رسول الله  
الذي هو حقيقة الاحلاص ، هو روح الايمان وسبقه الذي يقوم عليه ، وقال تعالى ( ومن يؤمن بالله  
يهد الله له صراطاً مستقيماً ) هداية توفيق وإعانة على القيام بوظيفة الصبر عند حلول المصائب  
إذا علم أنها من عند الله فرضي وسلم وانقاد .

ومنها : أن الايمان يدعو إلى الزيادة من علومه وأعماله الطاهرة والباطنة ؛ فالؤمن بحسب  
إيمانه لا يزال يطلب الزيادة من العلوم الناصية ومن الأعمال الناصية ظاهراً وباطناً ، وبحسب قوة  
إيمانه يزيد إيمانه ورجسته وعمله ؛ كما قال تعالى « إنما المؤمنون آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا »  
الآية « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً  
وعلى ربهم يتوكلون . قام الدين آموا مرادهم إيماناً وهم يستبشرون »

ومنها : أن المؤمنين بالله وبكلمه وعظمته وكبريائه ومجده ، أعظم الناس يقيناً وطمانينة وتوكلًا  
على الله وثقة ، وعده الصادق ورجاء لرحمته وحقاً من عقابه ، وأعظمهم احسلاً لله ومراقبة ،  
وأعظمهم احسلاً وصداً ، وهذا هو صلاح القلوب ، لا يسيل اليه إلا بالايان .

ومنها : أنه لا يمكن العبد أن يقوم بالاحلاص لله ومعاد الله ونصيحتهم على وجه الكمال إلا  
بالايان ، فإن المؤمن تحمده عبودية الله وطلب النصرة إلى الله ورجاء ثوابه والخشية من عقابه على  
القيام بالواجبات التي لله والتي لمعاد الله .

ومنها : أن السمات بين الخلق لا تتم وقاوم إلا على الصدق والصح وعدم النش بوجه من  
الوجوه ، وهل يقوم بها على الحقيقة إلا المؤمنون ؟

ومنها : أن الايمان أكبر عون على تحمل المشقات والقيام بأعباء الطاعات وترك الفواحش  
التي في النفوس داع قوي إلى فعلهم ، فلا تتم هذه الأمور إلا بقوة الايمان

ومنها : أن العبد لا بد أن يصاب بشيء من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس  
والثمرات ؛ وهو بين أمرين : إما أن يجرع ويصعب صدره فيفونه الخير والثواب ويستحق على ذلك

العقاب ، ومصيبته لم تزل ، ولم تنف ، بل الجزع يريد ، وإما أن يصبر فيحظى بشوائب ، والصبر لا يقوم إلا على الإيمان ، وأما الصبر الذي لا يقوم على الإيمان كالصبر ونحوه ، فما أقل فائدته ، وما أسرع ما يمتد به الجزع ، فالذين أعظم الناس صبراً وبقياً وثباتاً في مواضع الشدة ومنها : أن الإيمان يوجب للمسلم قوة التوكل على الله تعالى ، ويعينه أن الأمور كلها راجعة إلى الله ومسدرة في قصائه وقدره ، وأن من اعتمد عليه كماله ، ومن توكل على الله فقد توكل على القوى العزيز لقهار ، ومع أنه يوجب قوة التوكل ، فإنه يوجب السعي والخد في كل سبب نافع لأن الأسباب النافعة نوعان : دينية ودنيوية .

فالأسباب الدينية هي إيمان ، وهي من لوازم الإيمان .

والأسباب الدنيوية قسمان : سبب معين على الدين ويحتاج إليه الدين ، فهو أيضاً من الدين ، كالسعي في القوة المعنوية والمادية التي فيها قوة المؤمنين .

وسبب لم يوضع في الأصل معيناً على الدين ، ولكن المؤمن لقوة إيمانه ورغبته فيما عند الله من الخير يسلك إلى ربه ويفقد إليه مع كل سبب وطريق ، فيستخرج من المباحات بيته وصيق معرفته ولطف علمه ما لم يكن به معيناً على الخير محملاً للنفس سعياً على القيام بحقوق الله وحقوق عباده الواجبة والمستحقة ، فيكون هذا المباح حسناً في حق ، عبادة الله ، صحبه من البية الصادقة حتى أن بعض المؤمنين الصادقين في إيمانهم ومعرفتهم ربهم نوى في نومه وراحاته ولذاته التقوى على الخير وتركيبه البدن لفضل العبادات وتقويته على الخير ، وكذلك في دويته وعلاجه التي يحتاجها ، وربه نوى في اشتغاله في المباحات أو تعصم الاشتغال عن الشرور بما نوى بذلك حبس من خالطه وعاشره بمثل هذه الأمور على فعل خير أو إسكاف عن شر ، وربما نوى بمباشرة الحسنة إدخال السرور والانبساط على قلوب المؤمنين ، ولا ريب أن ذلك كله من الإيمان ولوازمه ولم كان الإيمان بهذا الوصف ، قال تعالى في عدة آيات من كتابه « وعلى الله فتوكوا إن كنتم مؤمنين » .

ومنها : أن الإيمان يشجع المسلم ويريد الشجع شجاعة ، فإنه لا عبادة على الله العزيز الحكيم ولقوة روحه وطعمه فيما عنده فهو عليه المشتت ، ويقصد على الخوف وانقائاً بره راحياً له راحب من ترويه من عييه خوفاً من الخلقين ، ومن الأسباب لقوة الشجاعة أن المؤمن يعرف ربه حقاً ويعرف الخلق حقاً ، فيعرف أن الله هو الدفع الصار المعطى المانع ، الذي لا يأتي بالحسنة إلا هو ولا يدفع السيئات إلا هو ، وأنه المهيمن من جميع الوجوه . وأنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها وألطف به من كل أحد ، وأن الخلق بخلاف ذلك كله ، ولا ريب أن هذا داع قوى عظيم يدعو إلى قوة الشجاعة والصبر خوف المبدور رجائه على ربه ، وأن يستتر من قلبه خوف الخلق ورجاءهم .



ومنها أن لا يبرهن هو السبب الأسطر لتعلق القلب بالله في جميع مظاهره الدينية والدنيوية ،  
والإيمان الذي يدعو إلى هذا السبب الذي هو أعلى الأمور على الإطلاق ، وهو غاية سعادة العبد ،  
وفي مقابلة هذا يدعو إلى التحرر من رقب القلب المحتويات ، ومن التعلق به ، ومن تعلق بالخلق ،  
دون الخلق في كل أحواله حصلت له الحياة الطيبة ، وانراحة الحمة ، وإتمام حيد السكامل ،  
كما أن من عكس لفضله نفس يمانية وتوحيد ، وانفتحت عليه الميود والعمود والحشرات  
ولا ريب أن هذين الأمرين مع بقوة الإيمان وضعفه ، وضعفه وكسبه ، وتحمفه حقيقة أو  
دعواه والقلب خل منه .

ومنها أن لا يبرهن مستعبر إلى حسن الخلق به جميع صفات الناس كما قال النبي صلى الله عليه  
وسلم : « كل مؤمنين يومئذ أحسنهم خلقاً » وجمع حسن الخلق أن يتحلى به الأذى منهم  
وبعد أن لا يستغنى عن معرفة الله في الدنيا ، وأن يحافظهم بحسب أحوالهم بما  
يحبون ، والم يكن في ذلك محدود شرعي ، وأن ينفذ السيرة التي هي أحسن ، ولا تقوم بهذا الأمر  
إلا المؤمنون أو الذين ( وما ينالها إلا الذين صنعوا بها ولا يدرى ذلك إلا الله عز وجل )  
« مع الإيمان في نفس أو بحرف » أن ذلك في حال من حال ، فأحب بعدد عن الأعمال

« مع أن الإيمان الكامل يمنع من دخول النار بالكمية » مع صحته في الدنيا من عمل  
المعصية ، ومن الأسر إلى ، وفيه منه من ، الإيمان بالنفس مع الخلق في السر والعلن  
« وانترنت بذلك الخصوص أنه يخرج من الله من كان معه مثقال حبة خردل من بيتان .

ومنها أن الإحسان يوجب تصدقه أن يكون معبوداً لله سبحانه وتعالى ، ويوجب للعبد العفة  
عن دماء الله وأمواله وأعراضه ، وفي الحديث : « مؤمن من آمن على دمه وماله »  
وفي شرف دمه أي أبلغ من هذا الشرف الذي يبلغ تصدقه أن يكون من الطبقة العلية من الناس  
بقوة إيمانه وتقدمه ، ويكون محباً لله وإليه يرجع في أمورهم ، وهذا من ثمرات  
الإيمان الجليلة الحاضرة .

ومنها أن توى الإيمان يجد في قلبه من دوق حلاوته ولذة طعمه واستحلاؤه آثاره ، والتدبر  
بخدمته ربه وأداء حقوقه وحقوق عباده التي هي موجب للإيمان وأثره فيرى بذات الدين كلام  
أنسرها ، فإنه مسرور وقت قيامه بواجب الإيمان ومستعجبه ، ومسرور بما يرحوه ويؤمله من  
ربه من ثوابه وحرائه العبد والآخر ، ومسرور بأنه ربح وأنه الذي هو ربه عمره وأصل  
مكسبه ، ومحبوبه أيضاً من لذة معرفته بربه ومعرفته بكلمة وكمال برده ، وسعة حوده وأحبه  
ولذته محبته واللاية إليه الناشئة عن معرفته بأوصافه ، وعن مشاهدة محبته ومنه ، فأنؤمن

يقطب في لذات الایمان وحلاوته المتشوعة ، ولهذا كان الایمان مسلياً عن المتعبات ، هو ناطقات ، وما من وقوع الحوادث ، جاعلاً لإرادة العبد وهو ان يحمي الله ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما حئت به »

ومنها ان الایمان هو السبب الوحيد للقيام بدعوة سماء الدين وهو الجهد البدني والمالي والقولي جهاد الكفر بالسيف والسنان ، وجهاد الكفار والمذنبين والمخرفين في أصول الدين وفروعه بالحكمة واللمحة والبرهان ، فكما قوى إيمان العبد علماً ومعرفة وإرادة وتزينة قوى جهاده ، وتام نكله ، يقدر عليه بحسب حاله ومرتبته ، من الدارحة العالية والمترتبة الرفيعة ، وإذ ضعف الایمان ترك العبد مقدوره من الجهاد القولي والعلمي واللمحة والصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وضعف جهاده البدني لعدم الحمل له على ذلك . ولهذا قال تعالى ( يا أيها المؤمنون آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتدوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصديقون ) صدق الایمان بحمله صدقه على القيام بهذه المراتبة التي هي مرتبة الصفتين الصليتين بعد ادبيس : طبقة الصديقين المجاهدين بالعلم واللمحة والتعليل والصيحة ، وطبقة الشهداء الذين قاتلوا في سبيل الله ثم دنوا أو ماتوا من دون قتل ، وهذا كله من ثمرات الایمان ومن ثمراته ، وباجلته خير لدين والآخرة كله فرع عن الایمان ومرتب عليه ، وخلق والخص إلى يكون مقدراً الایمان أو نقصه والله المستعان

## فصل

في ذكر بعض الآيات الخاتمة على القيام بحقوق الله وحقوق الحق

قال تعالى ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والوالدين إحساناً ، وسى القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً خوراً ) . والآيات التي في سورة الاسراء ( وقصص ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وهو الدين احدها ) إما يسلطن عندك السكر أحدهم وكلامه فلا تقل لها أف ولا تشبهها وقيل لها قولاً كريماً ) إلى قوله ( ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تفعل مع الله إلهاً آخر فتتقى في جهنم ملوماً مدحوراً ) .

هذه الآيات الكريمة فيها الأمر بتسادة الله وحده لا شريك له ، والدخول تحت رفق عوديته التي هي عبادة شرف العبد ، والالتقاء بالأوامر واحتساب نواحيه بحسنه ودلاله ، وإخلاص الله وإنيانة له في جميع الحالات وفي جميع العبادات الظاهرة والباطنة ، وفيها النهي عن الشرك به شيئاً سواء كان

أكثر أن يصرف نوعاً من أنواع العسدة لغير الله ، أو شر كما صغر مثل وسائل الشر كالحطب بغير الله والرياء ، وبحو ذلك مما يندرج به إلى الشرك ، من الواجب امتياز إحلاص العسدة لمن به الكمال المطلق من جميع الوجوه ، والتدبير الكامل الشامل الذي لا يشركه ولا يميئه عليه أحد .

ثم بعدما أمر ، بقيام بحق الله المأمور على كل حق . أمر ، بقيام بحق ذوى الحقوق من الحق الأم فالأمر قال ( ووالدين إحساناً ) أى أحسوا إليهما بالقول الكريم ، والخطب اللطيف ، وبالعمل بالقيام بصنعتهما ، واحتساب معصيتهما والخير من عقوقهما والاتق عبيهما وإكرام من نه تعلق بهما وصلة أرحم التي لأرحم لك إلا من حوتهما ( إياي يلعن عبدك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لها أف ولا تنهرهما وقل لهما تولاك كريمة ، واحض لهما حرج الل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ) والأمر بالاحسان إلى الوالدين وإطلاعه يسجل فيه كل معصية الناس إحساناً ، وذلك يختلف باختلاف الأوقات والأحوال والأشخاص ، وفيه لهنى عن صد الاحسان إليهما وهو أمران : الاساءة والعقوق الذى هو إيصال الأذى القولى والعللى إليهما ، وترك القيام ببعض حقوقها الواجبة ، والأمر الثانى ترك الاحسان وترك الاساءة ، فان ذلك داخل فى العقوق ، فلا يسع الولد أن يقول إذا قتت بواجب والدى وترك معصيتهما فقد قتت بحقوقهما ، فيقال ان عليك أن تسد لهما من الاحسان الذى تقدر عليه ما يملكك فى مرتبة الأب والابن بوالديهم ، وقوله ( كما ربياني صغيراً ) بيان لبعض الأسباب الموحدة للبر ، وأن الوالدين اشتركا فى تربية سديك وروحك بالتعدي والكسوة والحفاصة والقيام بكل المؤن والتلميم والارشاد والارام بطاعة الله والآداب والأخلاق الجميلة ، وفى هذا دليل على أن كل من به عليك حق تربية بقيام بمؤنة نفقة وكسوة وغيرها أن به حقاً عليك بالاحسان والبر والدعاء ، وأنى من ذلك من له حق عليك بتربية عقلك وروحك تربية عدية تهديبه أن له الحق الأكبر عليك ، وهذا من جملة فضائل أهل العلم المعلمين العاممين ومن حقوقهم على الناس ، فأنهم ربما فاقوا فى هذه التربية تربية الوالدين بأضعاف مضاعفة وذلك نص الله يؤتيه من يشاء ، وقوله ( وبذى القربى ) أى أحسنوا إلى أقاربكم القريب منهم والعميد بالقول والفعل ، وأوصلوا لهم من الهدايا والصدقات والبر والاحسان المتنوع ما يشرح صدورهم وتيسر به أمورهم ، وتكونوا بذلك واصلين وللأجر من الله حائرين .

واليتامى وهم الذين فقدت آماؤهم وهم صغار ، من رحمة أرحم الراحمين أمر الناس برحمتهم والحو عليهم والاحسان إليهم وكفالتهم وجبر حواطهم وتاديبهم ، وأن يربوهم أحسن تربية كما يربون أولادهم ، سواء كان اليتيم ذكراً أو أنثى ، قرماً أو غير قريب .

( وإساكين ) وهم الذين أسكتهم الحاجة والفقر فلم يحضوا على كفالتهم ولا كعديه من يعونون فأمر تهالى سد خلته ، ودفع فاقهم ، والخص على ذلك ، وقيام العبد بما أمكنه من ذلك من غير

صرد عليه (واخاردي القرني) أي اخار الرب ابي في حق الخوار وحق القرية (الجار الج -)  
 ابي ليس قريب ، فعلى اعداء القية بحق حارة مطهارة مسعة كل كافر ، قريب أو بعيد ،  
 تكفي اذاعته ، وتحسن أداءه ، ومن ما يورثه ويستغفره من الاحسان ، وكيفية من لا يتابع  
 بخداره أو طريق ماء على وجه لا يضر احد ، ومن لا يحسن إليه على الاحسان على من اسبح بحمده  
 وكلما كان الخوار أقرب نأماً كان آكده حمة ، فيسعي للحد أن يتعاهد حارة بالسدقة والهدية ، ومن  
 وانطافة بالأقوال والآراء ، نقرأ ما في الله وإحساناً إلى حية صاحبه الحق .

(والصاحب الج - ) قيل هو : فيق في اسير ، ومن هو ارواحه ، ومن هو الرقيق معصية  
 في خسر والده ، وهذا أشمل فانه يشمل التقويين الأولين ، فعلى صاحب حية حق الله على  
 محرد سلامه من مسعدته على أمه ، ذبيحة ودية ، وتضحية ، ومن في المسيرة ، ومن  
 ويستشط والكره ، وأن يحرم ما يحب لعمه ويكرهه ما يكره لعمه ، وكذا أدت لعمه  
 تأكد الحق ورد

(واول السبعين) وهو العري - في ميراثه سو ، كل محبة حارة سيرت - ، تحت ثمة على الاحسان  
 في العري ، يكون في مسه وحشة واحدة وتعد ما يتمكنون حية في يوم ، فيمتد بهم على  
 محبتهم ويحرم حاص غير محتج - بالأكراه وحده والدعوة والهدية - من مسه (ومن كان كذا)  
 أي من الرقيق ، ومن لم يمتد به كذا ، ومن لا يمتد به كذا ، ومن لا يمتد به كذا ،  
 ومن يمتد به تقويته ، ومن يمتد به كذا ، ومن يمتد به كذا ، ومن يمتد به كذا ،  
 المقاد لأمر الله وشرعه ابي يستحق الثواب اجرين ، ومن يمتد به كذا ، ومن يمتد به كذا ،  
 معرض عن دية ، عات على الله ، من كبر على عبد الله معجبه كذا ، ومن يمتد به كذا ،  
 والعبد ، وحقه خلق ، وهو في الحقيقة اسفل المختار ، وطاقل (إن الله لا يحب من كان  
 محتالاً خوراً) هؤلاء ما يمتد به من الآدميين المبيحة كذا ، على من يمتد به كذا ، ومن يمتد به كذا ،  
 من تأويله وأفعاله ، فاعلم فاعلم ، ما يمتد به كذا ، ومن يمتد به كذا ، ومن يمتد به كذا ،  
 من يمتد به كذا ، من يمتد به كذا ، من يمتد به كذا ، من يمتد به كذا ،  
 حمة ، من يمتد به كذا ، من يمتد به كذا ، من يمتد به كذا ، من يمتد به كذا ،  
 وهذه هي - مات الكافرين ، ولهذا قال (استعد بكموا من عدا الله) أي كما استعدوا بالخلق  
 وتكبروا على الخلق واسموا بغيره ، بل خلقوا ، أهدى الله ، أعداء الأليم والخرى الله

وقل - (ولا يمتد به كذا) معناه إلى عتلك ولا تسعه كل كذا ، أي احذر هذين  
 الخدين اللذين يمتد به كذا ، ولو احذرت في بدل كذا فيما يسعي بده فيه ، والله - ير الحقيقة فيما لا يسعي و  
 - يارحني ما يسعي (فمتد) من عتلك ذلك (منه ما) أي نأله على ما عتلت من الاسراف لأن كل عاقل

يعرف أن الأمر في منافع العقل الصحيح كما أنه منافع الشرع ، فإن الله جعل الأموال قايما لمصالح الخلق ، فكما أن منافعها وإمساكها عن وضعها فيها جعلت له مدموم ، فكذلك يدبها في الأمور الصادرة أو الزيادة غير الملائمة في الأمور العادية وغيرها مدموم ، لأنه يلائف لفساد بعير ، صالحة وبحرف في حسن التصرف ، التدبير ، وصف التدبير وعدم انتظامه مدموم في كل شيء ، كما أن حسن انتة بعير محمود ودفع له عنه وإميره (مخسوا) أي طارح اليد فلا يبقى ما في يده من المال ، ولا ختمه مدح وث .

وهذا الأمر ما به أي الغنى ، غيرهم به القدرة ، فأما مع المدموم أو تهر لعملة لحاصرة فأمر به أن يراد دأ جديلا فعل ( وأما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ) أي تعرض عن إعطائهم حصاراً ، وسكت برحوا فيما به ذلك فيسير الأمر من الله ، قل لهم قولاً ميسوراً أي طمأنينة أو رفق ووعد بحسين عند أو حود . وإدبار بعد الامكان في الوقت المحاصر ليقبلوا سكت مطمئنة فله . عاد بن راحيل كما قال تعالى ( قول معروب ومعرفة خير من صدقة يتبعها أدى ) وهذا من أحب الله بالعباد ، أمرهم بانتظار الرحمة والرزق منه ، لأن انتظار ذلك عبادة ، وسبب لحسنه . قال الله عند من عبده به . وكذلك وعدم أن يعاومهم إذا وحدوا عبادة حاصرة لم يعبدوا إلا الله . لم يعمل الخير والخدمة خير ، لهذا يدعى العبد أن يفعل ما يقدر عليه من الخير ويشوى فعل ما يقدر عليه . قد قدر استجاب على ذلك . ومن الله يسره به . وفي قول ( ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ) فيه دلالة على تعليق القلب والرجاء والتمسك بالله ومصرفه عن المحنات ، فالوقوف في حال وجود والمعنى فله متعلق بحمد الله وشكره والثناء عليه لا يدس ولا يطر الامة وفي حال العبد والتقر صبر راض راح من الله فضله وخيره ورحمته ، وهو من أهل عبادات القلوب المقربة إلى علام الغيوب .

( ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ) الآية ، وذلك أن الله أرحم عباده من أوالده بولده فنهى الوالد عن هذا الخلق الذي هو من أرض الأخلق وأسقطها قتل أولادهم خشية من فقر والاملاق فعليه عدة حيات قتل النفس الذي هو من أعظم العباد ، وأشنع من ذلك قتل الأولاد الذين هم في الأكباد وسوء الظن برب العالمين ، وحمهم وصلاهم السليح ، إذ طواؤا وجودهم بصيق عليهم الأرزاق ، فتكفل لهم قدامه برون الجميع ، فأن هذا الخلق الشنيع من أخلق خواص المؤمنين الذين كلما كثرت أولادهم وسوائهم ، قوى طمأنينة بالله ورجوا زيادة فضله وقاموا بمؤتمتهم ونامشة نفوسهم ، حامدين ربه أن جعل رزقهم على أيديهم ، ومشتين على ربه إذ أقدرهم على ذلك ، وراحين ثواب ذلك عبده ، ومشهدين لمة الله عليهم بذلك ، قال عليه السلام « هل تصرون وترزقون إلا بصفتكم بدعته ورضيته إلى الله .



واللهي عن قربان الزمان يشمل النهى عنه وعن جميع دواعيه ومقدماته ، كالطهر المحرم ، والخلوة بالأجنبية ، وخطاب من يحشى العتمة بخطه ونحو ذلك ، ووصف الرذائل بأقبح الأوصاف ، وأنه فاحشة ، أي حريصة عظيمة تستعشش شرعاً وعقلاً ، لأن فيه انتهاك حرمة الشرع والتهاون به وفيه افساد المرأة وافساد الأساب واحتلاط المياه ، وفيه اضرار بأهلها وبزوجها وبكل من يتصل بها ، وفيه من المفسد شيء كثير .

وأمر تعالى بابقاء المكاييل والمواريث والمعاملات كلها بالنقض من غير بخس ولا نقص ولا عش ولا كتمان ، وفي ضمن ذلك الأمر بالصدق والنصح في جميع المعاملات ، فإنه بذلك يصلح الدين والدنيا ولذلك قال ( ذلك خير وأحسن تأويلاً ) أي هو خير في الحاضر وأحسن عاقبة في الآجل يعلم به العبد من الثبوت ، ونحو البركة في هذه المأملة .

وقوله ( ولا تنف ما ليس لك به علم ) الآية . أي ولا تنفع ما ليس لك به علم ، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله ، فإن التثبت في الأمور كلها دليل على حسن الرأي وقوة العقل ، ومنه تنوضح الأمور ويعرف بعد ذلك هل الاقدام خير أم الاحجام ، لأن التثبت لا بد أن يعمل فكره ويشور في الأمور التي عليه أن يتثبت فيها ، والفكر والمشاورة أكبر الأساب لاصابة الصواب والسلامة من التبعة ومن الدم الصادر من لحظة ومن عدم استدراك العارط . ولهذا قال ( إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ) أي لا بد أن تتل عن حركة هذه الجوارح وهل هي حركات نافعة بأن وضعت فيما يقرب إلى الله ، أم صادرة بأن وحيث لمعصية الله ، فليتعاهد العبد بمحفظها عن الأمور الصادرة ليمسكها الزوال حواً ، فمن استعملها بطاعة الله فقد ركاها ونماها وأثمرت له الصبر المقيم ، ومن استعملها في ضد ذلك فقد دساها وأسفها وأوصلته إلى الهاب الأليم .

وقوله ( ولا تمش في الأرض مرحاً ) أي لا تشكر على الحق ولا على الخلق ، فإن التشكر من أرذل الأخلاق ، والتشكر الممجب نفسه لن يسمع ما يبطه وتصيح له نفسه من الخيالات العاسدة أنه في مقام رفيع على الخلق ، بل هو بمقتضى عهد الله وعده خلقه ، معروض محقر قد نزل بخلقه هذا إلى أسفل سافلين ، فانه مطلوب من كبره وعظمته ، وحصل على تقيصه ، ومن مصار الكبر أنه صح الحديث عن النبي ﷺ أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ، وإنار مثوى التكبرين ، والكبر هو بطل الحق ، وعظم الناس ، أي احتقارهم وادراؤهم ، وهذه الأوامر الحسنة والارشادات في هذه الآيات من الحكمة العالية التي أوحاها الله لرسوله ﷺ وهي من أعظم محاسن الدين ، فالدين هو دين الحكمة التي هي معرفة الصواب والعمل بالصواب ومعرفة الحق والعمل بالحق في كل شيء .

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » الى آخر السورة

العبودية لله نوعان : عبودية لرؤية الله وملكوته ، وهذه يشترك فيها سائر الخلق مسلمهم وكافرهم ، فكأنهم عبيد لله مربيون مدبرون ، وعبودية لألوهيته ورحمته ، وهي عبودية أنبيائه وأوليائه ، وهي المراد هنا ، ولهذا أضافها إلى اسمه (الرحمن) تليها على أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال برحمته بهم وعطفه وإحسانه ، وذكر صفاتهم أكمل الصفات ، وبالاتصاف بهم يكون العدد متحققاً لعبوديته الخاصة الباهرة المثمرة للعادة الأبدية ، فوصفهم بأنهم ( يمشون على الأرض هونا ) أى سائكين متواضعين لله والحق ، فهذا وصف لهم بالوفاء والكيفية والتواضع لله ولعبدده ( وإذا خاطبهم الجاهلون ) أى خصص محل ، فانه أضاف الخطاب لهذا الوصف ( قالوا سلاماً ) أى خاطبهم خطاباً يسلمون فيه من الاتم ولا يقابلون الجاهل بمجهله ، وهذا ثناء عبيدهم بالبرادة والعلم العظيم والعفو عن الجاهل ومقابلة المسمى بالأحسان

« والذين يفتنون لربهم حسداً وقياماً » أى يكثر من صلاة الليل مخلصين فيها لربهم متدللين له كما قال تعالى « نتدعى ذويهم عن المصالح يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » الآية  
« والذين يقولون ربنا صرف عنا عذاب جهنم » أى ادفع عنا بالعصاة من أسامة ومفطرة متوقع ما مما هو معتص للعذاب « إن عذابها كان غراماً » أى ملالاً لأهلها ملالة العريم لغيره « أنها ساءت مستقراً ومقاماً » وهذا منهج على وجه التضرع لربهم ، وبيان شدة حاجتهم اليه ، وأنه ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب وليتذكروا معة الله عليهم ، فان صرف الشدة يعظم وقعه بحسب شدته وقطاعته  
« والذين إذا أنفقوا » أى النفقات الواحدة والمستحقة لم يسرفوا أى يزيدوا على الحد فيسرفوا في قسم التدبير وأعمال الحقوق الواحدة ، ولم يفتروا فيدخلوا في باب الشح والاحتل ، وكان اتفاقهم بين الأسراف والتقتير (قواماً) يقوم به الاحوال ؛ فانهم يندلون في الواجبات من الزكوات والكفارات والنفقات الواحدة ، وفيما يسمى من الأمور الباهية على المحتجين ، وفي المشرع الخيرية ، وفي الأمور الضرورية والكالمية الدينية والديوية من غير ضرر ولا اصرار ، وهذا من اقتصادهم وسقلمهم وحسن تدبيرهم .

« والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر » لا دعاء عادة ولا دعاء مسئلة من يصدوه وحده مخلصين له الذين حذوا مقيل عايه معرضين عما سواه « ولا يقتلون النفس التي حرم الله » وهي نفس المسلم والكافر المهدد « ولا بالحق » كقتل النفس بالنفس والزاني المحصن والذاريك لديمه المذرى للجماعة « ولا يربون ومن يفعل ذلك » المذكور من الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله والزنا ( يلقى أثاماً )

يصاعف له العذاب يوم اقيامة ويحلب فيه « أئى العذاب » بماء »

فالوعيد بالخلود لمى فعلها كلها ثابت فى الكتب والسنن واجماع الامة ، وكذلك لمن أشرك بالله ، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل واحد من هذه الثلاثة ، لكونها كلها من أكبر الكبائر ، وأما خلود القاتل معيرحق وإرائى ، فى العذاب ، فقد دلت النصوص القرآنية وتواترت الأحاديث النبوية أن جميع المؤمنين - وإن دخلوا النار - فيخرجون منها ولا يجحد فيها مؤمن ، طار الإيمان بالكلام يجمع من دخولها ، ومطابق الأيدى ولو مثقال درة يجمع من الخلود فيها كما تقدم .

ونص الله على ثلاثة هذه الأشياء ، لآنها أكبر الكبائر ، وفسدها كبير ، وذكر في هذه الأديان الملكية ، والقتل فيه فساد الأبدان ، وإثراء فيه فساد الأسرار « إلامن ذنب من هذه المعاصى وديرها بأن قلع عنها فى الحال ، ويده حتى فعلها وعمره عرماً حراماً أن لا يعود ( وآمن ) بالله إيماناً صحيحاً يقتضى فعل الواجبات ، وترك المحرمات » وعن ملاح صا « فيدخل فيه جميع الصالحات من واحد ومستحب » فأولئك من الله سيئاتهم حسنت « بأن يوفقهم للخير ، قدس أقوالهم وفعلهم التى كانت مستعدة لفعل السيئات فتبدل حسنت . فتبدل شرهم بما كانوا معصيته طاعة ، وتبدل من السيئات الى عملها ، ثم أخذوا عن كل ذنب ثوبة وثقة وديانة وطاعة تبدل حسنت كما هو ظاهر الآفة . وورد فيه حديث الرضى الذى حاسبه الله بعض ذنوبه ، فهدده عليه ، ثم أبدل مكان كل سيئة حسنة إلى آخر الحديث « وكان الله سبحانه بالمعصية دونه كلها » رجباً » بماء يذرعهم إلى التوبة بعد ما رثه بالعصية ، ثم وهدده لما فيه من ذنب وعمل صالح ، فانه يتوب إلى الله . بأن أى فصيل أن توبته فى عاقبة الحال ، لآنها رجوع إلى الطريق الموصل إلى الله الذى هو عين سعادة العبد وفلاحه ، فيخلص بها وليخلص من سوءات الاعراض المعاصرة .

والمقصود من هذا الحديث على تكفير التوبة ، وأن تكون على أكمل أحواله وأحبها لتفصل نه ثمراتها الجليلة ( ولذين لا يشهدون ) أى لا يحضرون الزور ، أى القول المحرم والنفس المحرمة ، فيحتسبون جميع المحاسن المشتملة على كل قول وفعل محرم ، كالخوص فى بيت الله بالسطل ، والجبل الساطل ، والعيبة والخميرة ، واللب والنفوس ، والانسهار وشرب الخمر ، ولعبة المحرم ، وفرش الخمر والصور ونحو ذلك ، وإذا كانوا لا يشهدون الزور ، فانهم من باب أولى لا يفعلونه ولا يقولونه وشهادة الزور داخلة فى قول الزور « وما مروا باللعو » وهو الكلام الذى لا طائفة فيه دينية ولا دنيوية ، ككلام النعفاء ونحوهم « مروا كراماً » أى نزهوا أنفسهم وكرموا عن الخوض فيه ورأوه سفهاً منافياً لمكارم الاخلاق .

وفي قوله ( وإذا مروا باللغو ) إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا مجامعهم ، ولكن يحصل  
دلت بعير قصد ، فيكربون أنفسهم عنه ( والذين إذا ذكروا آيات ربهم ) التي أمروا بالاستماع لها  
والإهتمام بها ( لم يجرؤوا عليها صما وعمياناً ) أي لم يقابوها ، بالأعراض عنها والصمم عن سمعها  
وصرف لقلب عنها كما يعلم من لم يؤمن بها ويصدق ، وإنما حال هؤلاء الأحمق عند سمعها  
كما قال تعالى ( إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا دُكروا بها حروا سجداً وسمعوا بحمدهم وهم  
لا يستكبرون ) يقابونها بالقول ، لا بقلوبهم ، والانقياد والتسليم لها ، وتجد عندهم أذاناً سامعة ،  
وقوفاً واعية ، فيزداد بها إيمانهم ، ويتم بها جنتهم ، وتحدث لهم فرحاً ونشاطاً واعتباطاً ، ف  
يعلمون أنها فصل المثل الواصلة إليهم من ربهم ( والذين يقولون ربنا هب لنا من أرواحنا ) أي  
قربنا من أصحاب وأحباء وأقران وروحات ( ودرنا قرأ أعين ) أي تقر بهم أعيننا ، وإذا  
استقر أنا حالهم وصحتهم عرفنا من غيرهم ومراتبهم ، أن مصودهم بهذا السوء لدرجاتهم ، أن  
يطلبوا منه صلاحهم ؛ فإن صلاح المديونة عائد إليهم وإلى والديهم لأن النفع يعود على الجميع ، بل  
صلاحهم يعود إلى نفع المسلمين عموماً ، لأن صلاح أحد كورين صلاح لكل من له تعلق بهم ، ثم  
ينسل الصلاح والخير ( واحصلنا لمتقين إماماً ) أي أوصنا بإرنا إلى هذه الدرجة العالية درجة  
الصدقين والكامل من عباد الله الصالحين ، وهي درجة الإمامة في الدين ، وأن يكونوا قسوة  
المتقين في أقوالهم وأفعالهم ، يقتدى بأقوالهم وأفعالهم ، ويطمئن إليها ثقة المتقين بعلمهم ودينهم ،  
ويقتدى المهتدون بهم ، ومن المعروف أن الدعاء يحصل شيء دعاء به وبما لا يتم إلا به ، وهذه الدرجة  
درجة الإمامة في الدين لا تتم إلا بالصبر واليقين .

كما قال تعالى ( وحملهم ) أي يهدون بأمرهم لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ( فهذا الدعاء  
يستلزم من حصول الأعمال الصالحة والصبر على طاعة الله ، وعن مصيبته وعلى قدره ، مؤثمة ومن العلم  
السامع التام الراسخ الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين خيراً كثيراً وعصاه خيراً ، وبكأن كانت  
هممهم وأعمالهم عالية كان الحراء من حسن العمل ، فخرهم من حسن عملهم فقال ( أولئك يجرون  
العرف ) أي المسار العالية الرفيعة الجامعة لكل بيم روحى وبذنى سبب صبرهم على القيام بعبادة  
الأعمال الجليلة ( ويلقون فيها نحية وسلاماً ) من ربهم ومن الملائكة الكرام ومن نصيبهم على بعض  
ويسلمون من جميع المنصات والمكدرات .

والحاصل أن الله وصفهم بالوقار والسكينة والتواضع له ولعماده وحسن الأدب والحلم وسعة  
الخلق والعفو عن الجاهلين والأعراض عنهم ، ومقابلة إساءتهم بالاحسان وتيمم اللين والإخلاص  
منه والخوف من البار والتضرع لربهم أن ينجيهم منها وأنهم يحرجون الواجبات والمستحبات في  
الصفات على وجه الاقتصاد ، وإذا كانوا مقتصدين في الصفات التي جرت عادة أكثر الخلق

بالفرط فيها ، والافراط ، ماقتصدهم وتوسطه في غيرها من باب أولى ، ووضعها بالسلامة من كثائر الذنوب وقواحيشها ، وبالتوبة مما يصدر منهم منها .

ومنها الاخلاص لله في عبادته ، ونهيه لا يحضرون محال المسكر والمقوق القولية والعمالية ولا يعمون ؛ ونهيه يتزهون عن اللغو والأقوال الرديئة التي لا خير فيها ولا منع ، وذلك يستلزم كمال انسانيتهم ومروءتهم وكاملهم ورفعة نفوسهم عن كل أمر رذيل ، ونهيه يفلون آيات الله بالقول والسمع والتفكير والعمل بها والاحتشاد في تنفيذ أحكامها ، وأنهم يدعون ربهم بأكل دعاء يستعون به ، ويستعين به من يتلقى بهم ، ويستعين به المفلون من صلاح رواحهم وذريتهم ، ومن لودم ذلك سعيهم في تعميمهم ووعظهم ونصحهم ، لأن من حرص على شيء ودعا الله في حصوله لا بد أن يكون محتشداً في تحصيله بكل طريق ؛ مستعياً بره في تسهيل ذلك ، وأنهم دعوا الله في حصول أعلى الدرجات الممكنة لهم ، وهي درجة الامامة والصدقية ، فلهذا أعلى هذه الصفات وأرفع هذه الهمة وتحل هذه المطالب وأركب تلك النفوس ، والله فصل الله عليهم ولطف به الذي وسعهم إلى هذه المقدمات والبدائل ، والله الحمد من جميع ساداته إذ بين لهم أوصافهم وحنهم عليها وأعال السالكين ويسر الطريق لمن سلك رصواها ، والله الموفق الأمين

### ( حذ العفو واهصر بالعرف وأعرض عن الجاهلين )

هذه الآية الكريمة جامعة لمعان حس الخلق مع الناس وما يسعى للعند مسوكة في معاملتهم ومعاشرتهم ، فأمر تعالى « بأخذ العفو » وهو ما سمحت به أنفسهم وسهت به أخلاقهم من الأعمال والاحلاق ، بل يقل ما سهل ولا يكلفهم ، لا تسمح به طائفتهم ولا مالا يطيقوه ، بل عليه أن يشكر من كل أحد ما قابله به من قول وعمل وحلق جميل وما هو دون ذلك ، ويتجاوز عن تقصيرهم وبعض طرفه عن نقصهم ، وعما أتوا به وعاملوه به من النقص ولا يتكبر على صدير لصممه ولا تافس العقل لنقصه ولا القبح لغيره بل يعامل الجميع باللطف وما تقتضيه الحال الحاضرة ، وبعد تشرع له صدورهم ويوقر الكبير ويحمو على الصغير ويعدل الصغير

« وأمر بالعرف » وهو كل قول حسن وعمل جميل وحلق كامل للقرين والصديق ، فاحسن ما يأتي إلى الناس منك إما تعليم علم ديني أو دنيوي أو نصيحة أو حث لهم على خير من عبادة الله وصلة رحم وبر لوالدين ، وإصلاح بين الناس أو رأي مصيب أو معاونة على مروءة قوي أو رحر عن قبيح ، أو إرشاد إلى مصلحة دينية أو دنيوية . أو تحذير من ضد ذلك .

ولم كان لا بد للعند من أذية الجاهلين به بالقول أو بالعمل أمر الله بالأعراض عنهم وعدم مقابلة الجاهلين بجهالهم ، فمن آذاك بقوله أو فعله فلا تؤذه ، ومن حرمك فلا تحرمه ، ومن تعلمك



قصده ، ومن صلحت فأعدل فيه ، فذلك يحصل لك من الثوب من الله ، ومن راحة لقلب وسكونه  
ومن السلامة من الخديش ، ومن انقلاب العدو صديقاً ، ومن التوبة من مكارم الأخلاق ، علاها  
أكبر حظ وأوفر نصيب ، قال تعالى « ادعوا إلى ما هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة  
كأنه ولي حميم ، وما بيننا ولا بين صبروا ، وما بينهما إلا ذو حظ عظيم » ولتقتصر في هذه  
الموضوع على هذه الآيات ، فميم الهدى والشفاء والظهير كله .

## فصل

في أحكام الشرح الفروعيه المتنوعة في الصلاة والركعة ، مع ما يصحم اليه من المهاني الأخرى

قال تعالى ( أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر  
كان مشهوداً . ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً )

هذا الأمر من الله لعمدة الصلاة التي أمر بها في آيات متعددة ، ويأتي الأمر بها في القرآن  
بمعنى الإقامة كمنه الآية ، ومثل « وأقيموا الصلاة » ونحوها وهو يمنع من قوله أقموها ، فإن  
هذا أمر بعملها ، وبتهيئتها ، وشروطها ومكالاتها صراً وباطناً ، وبمعنى شريعة طاهرة قائمة  
من أعظم شعائر الدين ، وفي هذه الآية زيادة عن قيمة الآيات ، وهي الأمر بها لأوقاتها الحقة أو  
الثلثة ، وهذه هي الفرائض وإصابتها إلى أوقاتها من باب إضافة الشيء إلى سببه الموحى له  
« فدولك الشمس » أي روالها وانقطاعها من المشرق نحو المغرب ، فيدخل في هذا صلاة الظهر  
وهو أول الدولك ، وصلاة العصر وهو آخر الدولك « إلى غسق الليل » أي حلت به فدخل في ذلك  
صلاة المغرب وهو ابتداء المسق ، وصلاة العشاء الآخرة ، وبها يتم المسق والنظرة « وقرآن الفجر »  
أي صلاة الفجر ، وسماها قرآناً لشروعها إطالة القراءة فيها ، وبفضل قيامها لكونها مشهودة  
يشهدها الله وتشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ، وفي هذه الآية الكريمة فوائد .

منها ذكر الأوقات الحقة صريحاً ، ولم يصرح به في القرآن في سائر هذه الآية . وأنت طاهرة  
في قوله « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » الآية . وفيها أن هذه المأمورات كلها فرائض  
لأن الأمر بها مفيد في أوقاتها ، وهذه هي الصلوات الخمس وقد تستمع ما يتبعها من  
الرواتب ونحوها .

ومنها أن أوقت شرط صحة الصلاة وسبب لوجوبه ، ويرجع في مقادير الأوقات إلى تقدير  
الحج صلى الله عليه وسلم كما يرجع اليه في تقدير ركعات الصلاة وسجداتها وهيتها .

وفيها أن العصر والظهر يحتملان للمدر ، وكذلك المغرب والعشاء ، لأن الله جمع وقتها في وقت واحد للمعذور ، ووقتان لغير المعذور .

وفيها فضيلة صلاة المعمر وصيلة أطالة القرآن فيها ، وأن القراءة فيها ركن ، لأن العادة إذا سميت سمع آخراتها دل ذلك على فضيلته وركبته ، وقد عمر الله عن الصلاة بالقراءة وبالركوع وبالسجود وبالقيام ، وهذه كلها أركانها المهمة .

قوله ( ومن الليل فأتخذه ) أي صلاة به في أوقاته ( ماطلة لك ) أي لتكون صلاة الليل زيادة لك في علو المقامات ورمي الدرجات بخلاف غيرك ، فإنها تكون كفارة لسيئته

ويحتسب أن يكون المعنى أن الصوت الحسن فرض عليك وعلى المؤمنين ، وإنما صلاة الليل فإنها فرض عليك وحدك دون المؤمنين لكرامتك على الله . إذ جعل وطيعتك أكثر من غيرك ومن عليك بالقيام بها ليكثر ثوابك ويرتفع مقامك ، وتساو بذلك المقام المحمود ، وهو المقام الذي يحمد فيه الأولون والآخرون ؛ مقام الشفعة المعطى ، حين يستنفع الخلائق بأكابر الأنبياء ، آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وكلهم يمتدح ويتأخر عنها حتى يستشفوا بسيد ولد آدم ليرحمهم الله من هم الموقف وكرهه ويفصل بينهم ، فيشفعه الله وبقية مقدماً ينسبته له الأولون والآخرون ، وتكون له اليد البيضاء على جميع الخلق <sup>بإذن الله</sup> تسبوا كثيراً وادخلوا في شفاعته ، ومن أعياها بالسمي في أسباب شفاعته التي أمها خلاص الأعمال لله ، وتحقيق مقدراته في هديه وقوله وعمله .

« ولكل وجهة هو مولي » استشفوا الخيرات أيتها المكونوا بأن بك الله جميعاً ، الله على كل شيء قدير »

لما أمر الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - وللمؤمنين عموماً باستبدال بيته الحرام ، أخيراً كل أهل دين هم وجهه يتوجهون إليها في عباداتهم ، وأيس الناس في القبل والوجهات المعينة ، فإنها من الشرائع التي تختلف باختلاف الأمانة ، ويدخلها المسح والقبل من جهة إلى أخرى ، ولكن الشأن كل الشأن في امتثال طاعة الله على الاخلاق والتقرب إليه وطلب الرضى عنده .

هذا هو عنوان السعادة ومشور الولاية ، وهو الذي إذا ما تنصبت به المؤمن حصلت لها الحساسة في الدنيا والآخرة ، كما أنها إذا انصرفت به فهي إراحة على الحقيقة ، وهذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع ، وهو الذي حقق الله له الخلق وأمرهم به ، والأمر بالاستئاق إلى الخيرات قدر رائد على الأمر معها ؛ فإن الاستئاق إليها يتضمن الأمر بجمعها وتكليفها وإيقاعها على أكل لأحوال وامتددة إليها ، ومن سقى في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنت

قال يقول أعلى الخلق درجة ، والخيرات تشمل جميع الرأى والسوافى من صلاة وصيام وركعة وصدقة وحج وعمرة وجهد ومع تمتد وقاصر ، هذه الآية تحت على الاتيان بكل ما يكمل هذه العبادات من ركن وواجب وشرط ومستحب ومكمل ويتم طاهراً وباطناً كالمبادرة فى أول الوقت وصل التمسك كالات والمبادرة إلى إبراء للدم من الواجبات وصل جميع الآداب المتعلقة بالعبادات فله ما أحسنها من آية وأحسنها ؛ ولما كان أقوى ما يحث النفوس إلى المسارعة إلى الخيرات ما رتب الله عليها من الثواب ، وما يحثى بتعويضها من الحرمان والعقاب قال ( أيما تكوّنوا بات بكم الله جميعاً إن الله على كل شىء قدير ) فيجمع الله لعدد يوم القيمة قدرته ويحاربهم بما أسلفوه من الأعمال خيرها وشرها .

« حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين ، فان ختم فرجالاً أو ركبناً » إلى آخر الآية .

يأمر تعالى بالحذوطة على الصلوات عموماً ، وعلى الصلاة الوسطى وهى صلاة العصر خصوصاً ، لفصلها وشرها وحضور ملائكة الليل والنهار فيها ، ولكونها ختام النهار ، واحتافضة على الصلوات عناية المصطفى من جميع الوجوه إلى أمر الشارع ببحث عليها من مراعاة الوقت وصلاة الجماعة والقيام بكل ما به تكمل وتم ، وأن تكون صلاة كاملة تنهى صاحبها عن المعاش والمسكر ، ويرداد بها إيمانه ، وذلك إذا حصل فيها حضور القلب وخشوعه الذى هو لبها وروحها ، ولهذا قال ( وقوموا لله قانتين ) أى مخلصين خاشعين لله ، فان القنوت هو دوام الطاعة مع الخشوع ؛ ومن تمام ذلك سكون الأعضاء عن كل كلام لا تعلق له بالصلاة .

ومعها أن القيام فى صلاة الفريضة ركن من كل المراتب فقيامها هو التوف ، فان أريد به القيام بأفضل الصلاة عموماً دل على الأمر بإقامتها كلها وأن تكون قائمة بتمامها غير ناقصة ( فان ختم فرجالاً أو ركبناً ) أى صلوا الصلاة رجالاً أى ماشين على أرجلكم أو ساجدين عليه ، أو ركبناً على الأبل وغيرها من الركوبات ، وحذف استعنى ليهم الخوف من العدو والسم ومن هوات ما يتصرر بقواه أو تفويته ، وهى هذه الحال لا يلزمه استكمال القنوة ، بل قبلته حينما كان وجهه .

ومثل ذلك إذا اشتبهت القبلة فى السفر ، ومثل ذلك صلاة النافلة فى السفر على الراحة ، وكل هذا داخل فى قوله ( والله امشرق والمغرب فأينما تولوا فمه وجه الله إن الله واسع عليم ) فهذه صلاة المسافر بالخوف ، فإذا حصل الأمن صلى صلاة كاملة ، ويدخل فى قوله ( فإذا أمنوا فادكروا الله ) تسكين الصوت ؛ ويدخل فيه أيضاً الاكثار من ذكر الله شكراً له على نعمة الأمن وعلى نعمة

المعلم ، وفي الآية الكريمة فضيلة العلم وأن على من علمه الله ما لم يكن يعلم الاكثر من ذكر الله وفيه تنبيه على أن لا كثار من ذكر الله سلب ليس عبوه أخر لم يكن لعدد ليعرفها ، فان الشكر مقرون بالمزيد ، وقد ذكر الله صلاة الخوف في سورة النساء في قوله ( وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة ) فأمر بها على تلك الصفة تحصيلاً للجماعة لها وقياماً للألفة وجمعاً بين القيام بالصلاة والجهاد حسب الامكان والقيام بالواجبات مع التحرز من شرور الأعداء ، مسحان من جعل في كتابه الهدى والبر والرشاد واصلاح الأمور كلها .

### فصل

قال تعالى ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) وقال ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ) وقال ( يا أيها الذين آمنوا حقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون . ولستم بأخذه إلا أن نفمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد ) وقال ( وآتوا حقه يوم حصاده )

قد جمع الله في كتابه في آيات كثيرة بين الأمر بتمام الصلاة وإيتاء الزكاة لأهمها مشتركان في أهمها من أهم فروع الدين ومبادئ الاسلام العظيمة ، والايان لا يتم إلا بهما ، ومن قام بالصلاة والزكاة كان مقبلاً لدينه ، ومن صيمهما كان لما سواهما من دينه أصيب . فالصلاة هي الاخلاص التام لله وهو ميراث الايمان ، والزكاة فيها الاحسان إلى الخلق وهي برهان الايمان ولهذا اتفق الصحابة على قتال مانعي الزكاة ، وقال أبو بكر رضي الله عنه ، لا قتال من فرق بين الصلاة والزكاة . فقوله تعالى ( خذ من أموالهم صدقة ) هذا الأمر موجه للنبي ﷺ ومن قام مقامه أن يأخذ من أموال المسلمين صدقة وهي زكاة ، وهذا شامل لجميع الأموال المتنوعة من الثمار وحروث وتقود وعروض كما صرح به في الآية الأخرى ( من طيبات ما كسبتم ) من الثمار والعروض والماشية المملاة ( ومما أخرجنا لكم من الأرض ) من الحبوب والثمار ، وقد وضع النبي ﷺ النصب في هذه الأنواع كلها ، وبين مقدار الواجب منها وأنها عشر الخارج من الأرض مما يستقى بلا مؤنة ، ونصف عشره فيما سقى بمؤنة ، ورسم لعشر من أموال التجارة وذلك إذا حال الحول في أموال التجارة . وحصل الحصاد والجذذ وقت حصول الثمار كما هو صريح الآية المذكورة .

وأمر تعالى باخراج الوسخ فلا يظلم رب المال فيؤخذ له من ماله إلا أن يختار هو ذلك

ولا يحل له أن يتيم الخبيث وهو الرديء من ماله فيهرجه ، ولا تبرأ بذلك دمه إن كانت مرصاً ، ولا يتم له الآخر والثواب إن كانت مالا ، وبين تعالى الحكمة في ذلك وأنها حكمة معقولة ، فسكنا أسكنكم لا ترضون ممن عليه حق لكم أن يعطيكم الرديء من ماله الذي هو دون حقكم إلا أن تقبلوه على وجه الكراهة والامعاض ، فكيف ترضون لربكم ولاخوائكم مالا ترضونه لأنفسكم فليس هذا من الانصاف والعدل .

وبين تعالى الحكمة في الزكاة وبين مصالحتها لمطبعة فقال ( تطهرهم وتركيبهم بها ) فهذه كلمة جامعة يدخل فيها من المنافع للمعطي والمعطى والمال والامور العمومية والخصوصية شيء كثير . فقوله ( تطهرهم ) أي من الذنوب ومن الاخلاق الرذيلة ، فان من أعظم الذنوب وأكبرها مم الزكاة ، وأيضاً أعطوا لها سبب لمغفرة ذنوب أخرى ، فلها من أكبر الحسنات ، والحسنات يذهب السيئات

ومن أشم الاخلاق الرذيلة الحبل . والزكاة تطهره من هذا الخلق الرذيل ، ويتصف صاحبها بالرحمة والاحسان والشفقة على الخلق وتطهر المال من الاوساخ والآفات ، فان للأموال آفات مثل آفات لابدن ، وأعظم آفات . أن تحاطها الاموال المحرمة ، فهي للأموال مثل الجرب تسحقه وتحمل به البكتات والوائب المرعبة ، فخراج الزكاة تطهير له من هذه الآفة المانعة له من البركة والنماء ، فيستعد بذلك للماء والبركة وتوجيهه للامور النافعة ، وأما قوله ( وتركيبهم بها ) فالزكاة هي البناء والزيادة ، فهي تسمى المؤتي للزكاة ، تسمى أحلافه وتحمل البركة في أعماله ويرداد بالزكاة ترقياً في مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ، وتسمى المال روال ما به ضرره وحصول ما فيه حيره وتحمل فيه البركة من الله ، ولهذا قل النبي ﷺ : ما نقصت صدقة من مال ، بل تزيده وتنمي أيضاً المخرج اليه فتسد حاجته ، وتقوم المصلحة الدينية التي تصرف فيها الزكاة كالجهاد والعلم والاصلاح بين الناس والتأليف ونحوها ، وأيضاً تدفع عادية الفقر والعقراء ، فان أبواب الاموال اذا احتكروها واحتجزوها ولم يؤدوا منها شيئاً للفقراء ، اضطر الفقراء وهم جمهور الخلق وثاروا بالشر والفساد على أبواب الاموال ، وبهذا ونحوه تسلطت ابلاشفة على الخلق ، فالقيام بالدين الاسلامي على وجهه نعمائده وحقائقه وأخلاقه وأداء حقوقه هو السد المانع شرطا وقدرأ لهذه الطائفة التي بها فساد الاديان والدنيا والآخرة ، وأمر تعالى الآخذ منهم الزكاة أن يصلى عليهم فيدعو لهم بالبركة ، فان في ذلك تطميناً لخواطرهم وتسكيناً لقلوبهم وتنشيطاً لهم وتشجيعاً على هذا العمل النافع ، وكما أن الامام والساعي مأمور بالدعاء للزكاة عند أخذها فالفقير المحتاج اذا أعطى من باب أولى أن يشرع له الدعاء للمعطي تسكيناً لقلبه ، وهو هذا اعانة على الخير .

ودل تحليل الآية الكريمة أن كل ما أعان على فعل الخير ونشط عليه وسكن قلب صاحبه

أنه مطلوب ومحبوب لله ، وأنه ينبغي للعبد مراقبته وملاحظته في كل شأن من شئنه ، فإن من تغفل عنه فتح له أبوابا دعة له ولغيره فلا تعب ولا مشقة ، وأنه ينبغي ادخال السرور على المؤمنين ولما أمر في آية النقرة بالنفقات قال « واعلموا أن الله غني حميد » غنى بذاته عن جميع المخلوقين وهو الغنى عن نفقات المستحقين ومدايات الطائعين ، وإنما أمرهم بها وحثهم عليها لمحض مصلحتهم ونفعهم ، وبمحض فضله وكرمه عليهم ، إذ تفضل عليهم بالامر بهذه الأعمال والتوفيق لفعلها التي توصل أصحابها إلى أعلى المقامات وأفضل الكرامات . ومن كمال غناه وسعة عطاياه فهو الحميد فيما يشعره لعباده من الأحكام الموصلة لهم إلى دار السلام ، وحميد في أعماله التي لا تخرج عن الفضل والعدل والحكمة ، وحميد الأوصاف لأن أوصافه كلها بحسن وكمالات لا يدرك العباد كلها ولا يقدرونها حق قدرها فلما حثهم على الاتقان بالمقامات عن الامساك بالمار ، وبين لهم أنهم بين داعين : داعي الرحمن يدعوهم إلى الخير ويعدهم عليه الفضل والثواب العاجل والآجل ، وداعى الشيطان الذي يحثهم على الامساك ويحودهم إلى أتعقوا افتقروا ، فمن كان مجيباً لداعى الرحمن وأتقى مما رزقه الله فليبشر بحمرة الذنوب ، وحصول كل مطلوب ومن كان مجيباً لداعى الشيطان فإنه إنما يدعو حربه ليكونوا من أصحاب السعير ، فليختر لعبه أى الأمرين أليق به ، وحتم الآية بالأخبار بأنه « واسمع عليم » أى وسمع الصفات كثير الهبات ، عليم بمن يستحق المصاعفة من العاملين المحلصين الصادقين ، وعليم بمن هو أهل لذلك فيوفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات .

( إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ؛ وفي الرقاب ، والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم )

المراد بالصدقات هنا الزكاة ، فهؤلاء النماية هم أهلها ، إذا دعت إلى حبة من هذه الحبات أحرأت ووقعت موقعها ، وإن دعت في غير هذه الحبات لم تحز ، وهؤلاء المذكورون فيها قسمان قسم يأخذ لحاجته كالفقراء والمساكين والرقاب وابن السبيل والغارم لنفسه ، وقسم يأخذ لنفسه لعمومى والحاجة إليه ، وهم القية فأما الفقراء والمساكين فهم خلاف الأغنياء ، والفقير أشد حاجة من المسكين لأن الله بدأ به ، والأهم مقدم في الذكر غالباً ، ولكن الحاجة تحجم الصنفين « والعاملين عليها » وهم السعاة الذين يحبونها ويكتبونها ويحفظونها ، ويقسمونها على أهلها فهم يعطون ولو كانوا أغنياء لأنها بمنزلة الأحرار في حقهم « والمؤلفة قلوبهم » وهم سادات العشائر والرؤساء الذين إذا أعطوا حصل في إعطائهم مصلحة للإسلام والمسلمين ، إما دفع شرهم عن المسلمين وإما رجاء إسلامهم وإسلام نظرائهم ، أو جبايتها ممن لا يعطيها أو يرجى قوة إيمانهم « وفي الرقاب » أى في فكها من الرق كإعانة المكاتبين وكبذلها في شراء الرقاب لعنتها



وفي هاتين الآيتين من آيتين من الآحاد «والعالمين» للاصلاح بين الناس إذا كان الصلح يتوقف على بدل مال فيعاون على قيام بهذه المهمة والمصلحة العظيمة وهي الاصلاح بين الناس ، ولو أعياء ، ومن العدمين من ركنهم ديون الناس وعمرؤا عن وظائفهم من تركاة لو طائم (وفي سبيل الله) أي بسلامة عامة المحاهدين بالزاد والمراد والمركوب والصلاح ونحوها مما فيه رعاية المحاهدين ، ومن الجهاد التحلي لطلب العلم الشرعي والتحرر للاشتغال به (وابن السبيل) وهو العرب المقطع به في غير مله فيعان على سفره من الزكاة

فانه تعالى عرّفها لظلال الأوصاف بحسب حكته وعلمه ووصفه الأشياء مواضعها ، ومن سد الكفريات وقيل المصالح العمومية النعمة من العروض على المسلمين ، وهي على أهل الأموال شكر منهم لله تعالى على نعمته بالذل وتطهيرهم ولد وعاء وركزة وانصف نعمات الأحبار ، وسلامة من دعوت الأشرار

### فصل في الطهارة بالماء والتيمم

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم - إلى قوله - لعنكم تشكرون)

هذه الآيات جمع الله فيها أحكام طهارة الماء وطهارة التيمم والتبسة على شروطها وبيان كيفية تيممهم وذكر فوائد دينية ونزاهة القبيح بين فيها الأحكام وحكمها ونسارها ، وهي أحكام كثيرة تستفاد من هذا الموضع

منها أن لصورة من الحديث شرط لصحة الصلاة لقوله (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا) الخ ومن ذلك عدم الفرائض من أصوات واسواق ، فكل ما يمسى صلاة فلا بد فيه من هذه الصورة ومنها اشتراط النية للصلاة لقوله «إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم» أي لأحد الصلاة من متطهرين ، أن يسوى رفع ما عليه من الأحداث أو يسوى الصلاة ونحوها مما يحتاج إلى الطهارة ، أو ينويها

ومنها أن سس هذه الأعضاء لا بد منه في الحدث الأصغر ، فحد الوجه ما يدخل في مناء وما تحصل به المواجهة . وذلك من الأذن إلى الأذن عرساً ، ومن ماست شعر الرأس إلى ما انحدر من اللحية وإن طولا مع سس اللحية ، لأن هذا هو الذي يخص به المواجهة ، وأما اليدين فحددهن الله إلى المرفقين فقال العلماء «إن» إلى «بمعنى مع المرضين» وأيدوا هذا بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أدار الماء على مرفقيه ، وكذلك يقال في الرحين إلى الكعبين ، وأما الرأس فانه يتمين استيعاب مسحه فان الله أمر بمسحه ، والماء لا للصاق الذي يقتضي لصاق المسح بهذا المسوح ،

ويستلزم التعيين ومنها أن الترتيب بين هذه الأجزاء الأربعة شرط ، لأن الله رتبها وأدخل  
عصاً مسحاً بين الأجزاء المسولة ، ولا يعلم لهذا فائدة سوى الترتيب وعموم قوله عَلَيْهِ السَّلَام «ابدأ  
بأمر الله به» فهو وإن كان وارداً في الخلق فإنه يعلم كل شيء ، مع أن جميع الواضحين ووضوئه  
عَلَيْهِ السَّلَام ذكره مرتين

ومنها أن الموالاة شرط أيضاً ، ووجه ذلك أن الله تعالى ذكر الرصوة مقترناً بمص الأجزاء  
مصح بالواو الدالة على اجتماع هذه العبادة بوقت واحد ، فإذا فرقها في وقتين لم تكن عبادة واحدة  
كأن فرق الصلاة ، وعمل النبي صلى الله عليه وسلم الدائم «أي كأنك تشاهده» أنه كان يوازي بين  
أجزاء وضوئه ، وهذا أولى من استدلال كثير من أهل العلم بقصة صاحب اللعة الذي أمره النبي  
صلى الله عليه وسلم أن يعيد الرصوة كله ، فهو وإن كان فيه بعض الدلالة على هذه المسألة ، لكن  
يحتمل أن أمره بالعادة كأمر النبي في صلاته أن يعيد ، لأنه رآه مخلاً بوضوئه غير متمم له .

ومنها بيان الظاهرة الكبرى ، كيفيتها وذكر سبب ، فكيفيتها أن يظهر الصديق جميع ظاهر  
بدنه ، لقوله (وإن كنتم حسداً فاطهروا) فلم يحصه بمصوات أو بأجزاء معينة ، بل جعل الله التطهير  
لجميع البدن ، على أنه يظهر أن يعم التطهير لجميع ظاهر بدنه وما تحت الثوب ، حافية أو كشيعة ، وأن  
يكون ذلك غسلًا لا مسحاً .

ومنها أن ظاهرة الحدث الأكبر لا ترتب فيه ولا موالاة . ومنها أن من أسباب الحفاة ،  
والحفاة قد عرفها المصنف عن أبيه صلى الله عليه وسلم أنها الزوال أي بقطة أو مندماً وإن لم يكن  
جمع أو الخلع وإن لم يحصل الزوال ، أو وجود الأمرين كليهما

وقد بين الله أيضاً في سورة النقرة سبباً آخر للاغتسال وهو الخيض في قوله (ولا تقربوهن  
حتى يظهرن ، فإذا تعهرن فاقربوهن من حيث أمركم الله) فأضاف التطهير فيجب إلى البدن كله  
كالخفاة ، ويشمل ذلك النفس ، وأما التطهير من أسلاف الكافر وتطهير أميت فإنه يؤخذ  
من السنة

ومنها ما استدل به كثير من أهل العلم في قراءة الخبر في قوله (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم)  
أنها تدل على مسح الخفين الذي يستلزم المسح وصرحت به ، وأما قراءة النصب (في أرجلكم)  
فإنها معطوفة على المسحولات .

ومنها مشروعية التيمم ، وأن سببه أحد أمرين ، إما عدم الماء لقوله (فلم تجدوا ماء) أو  
التضرع باستمالة لقوله (وإن كنتم مرضى) فكل ضرر يترى العبد إذا استعمل الماء ، فإنه يسوع  
به العدول إلى التيمم ، وأنواع الضرر كثيرة ، وما ذكره السر فلائنه مظنة الحاجة إلى التيمم لفقده  
الماء كتهيبه من الفرس ، لأن السر وحده مسوغ للتيمم كما أنه بعض الناس وهو متساق

هو ( فلم تجدوا ماء ) ومنها أن التيمم بكل ما تصاعد على وجه الأرض سواء كان له غدر أم لا ، إذا كان طيباً غير خبيث ، وأحيث هو النجس في هذا الموضع .

ومنها أن التيمم خاص بعصوين ، بالوجه واليدين ، وأن اليدين عند الإطلاق وعدم التقييم هما الكفان كما في آية السجدة ، وإذا قيدت كما في آية الوضوء إلى المرفقين بقيت بذلك

ومنها التيمم على ما يوجب الطهارة الصغرى ، وهو الاتيان من الغائط ، يسمى خروج الخارج من أحد اليدين وملازمة النساء للشهوة ، والسنة بيت الوضوء من اليوم الكثير ، ولمس المخرج وأكل لحوم الأبل على اختلاف من أهل العلم في ذلك .

ومنها أن التيمم كما أنه مشروع في الحدث الأصغر ، وكذلك في الحدث الأكبر ، لأن الله تعالى ذكره بعد سبب الطهارتين .

ومنها أنه في طهارة التيمم تستوى فيه الطهارة الصغرى بالكبرى في مسح العصوين ، وطهارة التيمم ، لأن الآية الكريمة تدل على أن طهارة التيمم تنوب وتقوم مقام طهارة الماء عند عدمه أو التضرر باستعماله ، لأن الله أنابه منابه ومما طهارة .

وكذلك الأحاديث الكثيرة تدل على هذا ، ويهدأ يعرف أن الصحيح أن طهارة التيمم لا يطل بمخرج وقت ولا دحوه ولا غير ذلك مما قاله كثير من أهل العلم بل يجب تطل مأخذ أمرين : ما حصول ناقض من نواقض الطهارة ، وإما وجود الماء أو رد ال الضرر المانع من استعمال الماء .

ومنها أن الماء المتميز بالطهارات ، ولو تميزاً كثيراً ، أنه يجب تقديمه على طهارة التيمم ، لأن قوله ( فلم تجدوا ماء ) نكرة في سياق انفي فيم أي ماء سوى الماء النجس .

ومنها ما استدلل به كثير من أهل العلم أن من كان في موضع ليس فيه ماء وهو يشك في وجوده فيما يقدره أن عليه أن يطله ويغتسل فيه حوله قبل أن يعدل إلى التيمم ، لأن قوله ( فلم تجدوا ) لا يقال إلا بعد طلب ما يمكن طهاله فيه من دون مشقة ، وهو استدلال لطيف .

ومنها أنه لا بد في الطهارة من النية لقوله في طهارة الماء ( إذا فم إلى الصلاة فاعسلوا ) إلى آخره وفي طهارة التيمم « فتمسوا » أي اقتصدوا « صعيداً طيباً » ومن لازم ذلك النية

ومنها أن هذه الأحكام التي شرعها الله لعباده ، في ذلك رحمة منه بعباده ليقيموا بالعبادات التي تتوقف سعادتهم وفلاحهم عليها ، وأنه يريد إتمام نعمته عليهم بالأوامر الشرعية التي لا مشقة فيها ولا حرج لينالوا العسل العظيم من ربهم ، فتنه التفصيل على عباده بالسبب والمسبب

ومنها أن طهارة التيمم ، وإن لم يشاهد فيها نفاثة حية ، فإن فيها طهارة معوية ناشئة عن امتثال العبد لأمر الله ورسوله .

ومنها : التساعدة السكية في قوله ( ما يريد الله ليصنع عليكم من حرج ) وثان اخرج منى شرعاً في جميع ما شرعه الله لعباده ، فأصل العبادات في غاية السهولة على المكلفين ، ثم إذا عرصت فيها عوارض عجز أو مرض أو تعذر لبعض شروطها ، فإن الشارع يحتملها تخفيفاً بما سبب ذلك العارض .

ومبني أن هذه الأحكام وغيرها من محاسن الدين الاسلامي . لما فيها من اسراع للعبد في قلبه ، وبذلهاهم وأخلاقهم ، والنظر بها إلى الله ، والتوسل بها إلى توفيقه العاجل والآجل ، لجميع الأحكام من أكبر الأدلة على حسن دين الاسلام ، وأنه الدين الحق الذي فيه اصلاح والأصلاح . وثان سعادة الدين والآخرة موطنة به ، مبرمة عنيه . فتأمل أحكام الله وما فيها من الحكم والأسرار والمدامع ودفع المصير ، فلهذا هذا مشاهد فيها .

### فصل في صلاة الجمعة والسفر والأذان

قال تعالى . يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسمعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانثربوا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، وادكروا لله كثيراً لعلكم تفلحون . وإذا رأوا تجارة أو لهواً امضوا إليها وتركوا قانتاً ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الراغبين ﴿

بأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة ، وامسادة إليها من حين يسدى ها . والمراد بالسعي هنا الاهتمام بها وعدم الاشتغال بغيرها ، لا المراد به العدو الذي ينبى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، عند المضي إلى الصلاة ، فالمضي إلى الصلاة سكية ووقفة ، هو المراد بالسعي هنا ( وذروا البيع ) أي تركوه في هذه الجمعة إلى أمرتم بالمضي إليها إلى الصلاة . وإذا أمر بترك البيع الذي يربح فيه السعوس . وتحرص عليه ، فتركه غيره من الشوائب من باب أولى ، كالصناعات وغيرها ( دلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ) حقائق الأمور ونزاهتها . وذلك الخير هو امتثال أمر الله ورسوله ، والاشتغال بهذه المريضة . التي هي من أهم المرائض ، واكتساب خيرها وثوابها ، وما رتب الشارع على السعي لها والمبادرة والتقدم والوسائل . والمتمم لها من الخير والثواب ، وما في ذلك من اكتساب الفضائل ، واحتساب الرذائل ، فإن من أراد التخلص من الحرص والحزم الذي يحتمل العبد على تقديم الكتب التي ، على الخير الضروري ، ومن الخير أن من قسم أمر الله وأثر طاعته على هوى نفسه ، كان ذلك به من إيمانه ، ودليل رغبته ، وإثباته

إلى ربه ، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، ومن قدم هواه على طاعة مولاه ، فقد حسر ديه ، وتبع ذلك حارة دنياه سوهدا ، الأمر بترك البيع موقت الى انقضاء الصلاة ( فاذا قصيت الصلاة فامشروا في الأرض ) لطلب المكاسب المباحة ( واشتروا من فضل الله ) أي يسعى المؤمن الموفق وقت اشتغاله في مكاسب الدنيا ، أن يقصد بذلك الاستعانة على قيامه بالواجبات ، وأن يكون مستعيناً بالله في ذلك ، طائفاً لفصله جاعلاً الرجاء والطمع في فضل الله نصب عينيهِ فإن اتفق الله والطمع في فصله من الآيات ومن العبادات ، ولما كان الاستعداد بالتجارة مطية العقلة عن ذكر الله وطاعته أمر الله بالكثير من ذكره ، قال (ادكروا الله كثيراً لعلكم تفلحوا) أي في حال قيامكم وقعودكم وفي نصراتكم وأحوالكم كلها ، فإن ذكر الله طريق الفلاح الذي هو المورد بالمطلوب والسجدة من المرحوب ، ومن المناسب في هذا أن يحمل المعاملة الحسنة والاحسان على الخلق نصب عينيهِ ، فإن هذا من ذكر الله ، فكل ما قرب إلى الله فإنه من ذكره ، وكل أمر يحتسبه العبد فإنه من ذكره ، فاذا فصيح في معاملته وترك الغش تقرب في هذه المعاملة إلى الله لأن الله يحبها ، ولأنها تمنع العبد من المعاملة الضارة وكلها مع أحداً أو جاهاً في ثمن أو مئمن أو نيسير أو إنظار أو نحوه ، فإنه من الاحسان والفصل ، وهو من ذكر الله . فإن تعالي « ولا تنسوا انفضل ينكم » وإذا رأوا تجارة أو لهواً انقصوا اليها وتركوا قائماً » أي خرجوا من المسجد حرصاً على تلك التجارة واللهو ، وتركوا ذلك الخير الحاضر ، حتى أنهم تركوا النبي ﷺ قائماً يحط ، وذلك لحاجتهم لتلك العير التي قدمت المدينة ، وقبل أن يعلموا حق العلم ما في ذلك من اللبس والوه ، فاحتج الأبرار بحلام على ما ذكر به وإلا فمضى الله عنهم كانوا أرباب الحاس في الخير ، وأعظمهم حرصاً على الأحكام عن الرسول وعلى توقيده وتبجيله وحاجته المعلومة في ذلك كبر شاهد ، ولكن لكل جواد كوة ، ثم إن الكوة التي عونت عليها العبد ، وتب عنها وتب وعمرها الله وأبدل مكانها حسنة ، لا يحل لأحد اليوم عليها ، قل لمن قدم اللهو والتجارة على الطاعة : ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، التي وإن حصل منها بعض المنة صد في ذلك قليل معص من الموت خير الآخرة ، وليس الصبر على طاعة الله مقوتاً للرقى ؛ فإن الله خير المرارقين ، فمن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب ، ومن قدم الاشتغال بالتجارة على طاعة الله ، لم يدارك له في ذلك ، وكان هذا دليلاً على خب قلعه من ابتغاء الفصل من الله ، واقتطاع قلعه عن ربه وتعلقه بالأسباب وهذا ضرر محض يعقب الخسران . وفي هذه الآيات فوائد عديدة . منها : أن الجمعة فريضة على المؤمنين يجب عليهم السعي لها والاهتمام بنائها ، وأن الخير المتربة عليها لا يقابلها شيء .

ومنها مشروعية الخطتين ، وأنها فريضة ، وأن المشروع أن يكون الخطيب قائماً ، لأن قوله ( واسعوا إلى ذكر الله ) يشمل السعي إلى الصلاة وإلى الخطتين ، ويصاً فإن الله ذم من ترك استماع الخطبة

ومنها مشروعية النداء يوم الجمعة وغيرها ، لأن التثنية بيوم الجمعة دليل على أن هناك نداء لبقية الصلوات الخمس ، كما قال تعالى ( وإذا نذيت إلى الصلاة اتخذوها نزواً ولعماً )

ومنها . النهي عن البيع والشراء بعد نداء الجمعة ، وذلك يدل على التحريم وعدم النفوذ . ومنها . أن الوسائل لها أحكام المقاصد ، فإن البيع في الأصل مباح ، ولكن إذا كان وسيلة لترك الواجب نهى الله عنه .

ومنها : تحريم الكلام والاماء بخط . لأنه إذا كان الاشتغال بالبيع ونحوه ، ولو كان المشتغل بعيداً عن سماع الخطبة محرماً ، فمن كان حاضراً فعين عليه أن لا يشتغل بغير الاستماع ، كما أيد هذا الاستنباط الأحاديث الكثيرة :

ومنها . أن المشتغل بعبادة الله وطاعته إذا رأى من معه الطموح إلى ما يلهيها عن هذا الخير من اللذات الدنيوية والخطوط النفسية شرع أن يذكرها ما عبد الله من الخيرات ، وما لمؤثر الدين على الهوى ، وما يترتب من الضرر والضرر على صده .

( وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ، إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً )

أي إذا ضربتم في الأرض لتجارة أو عبادة أو غيرها ، فقد خفف الله عليكم ورفع عنكم الجرح وأباح لكم من أحب لكم أن تقصروا الصلاة الرباعية إلى ركعتين ، فإن حصل مع ذلك خوف ، فلا حرج في قصر كيفية الصلوات كلها ، وهذا والله أعلم بالحكمة في تقييد القصر بالخوف ، لأنه من المعلوم المتواتر عن النبي ﷺ حوار القصر في السفر ، ولو كان ليس فيه خوف ، ولكن إذا اجتمع السفر والخوف ، كان رحمة في قصر العدد للرباعية والهيئة بسببها ، فإن وحد الخوف وحده ، ترتب عليه قصر الهيئات على الصفة التي ثبتت عن النبي ﷺ ، وإن وحد السفر وحده ، لم يكن فيه إلا قصر العدد ، ولهذا لما سئل النبي ﷺ عن هذا القيد قال : صدقة تصدق الله عليكم بها ؛ فقلوا صدقته ، أو يقال هذا القصر المذكور في الآية الكريمة مطلق ، والسنة عن النبي (ص) تقيده وتبين المراد به .

﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ، ولا تقم على قبره ﴾ ، إنها كفروا بالله ورسوله وسائرهم وسائرهم .



أى ولا تصل على أحد مات من المصدقين ولا تم على قبره بعد الدفن لتدعوه ، فإن الصلاة عليهم والوقوف على قبورهم للدعاء لهم شفاعتهم وهم لا تنفع فيهم الشفاعة (إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) خارجون عن دين الله بالكيفية ، ومن كان كافراً ومات على ذلك فما تنفعه شهادة الشاهدين ، وفي ذلك عبرة لغيرهم ورحمة ونكال لهم ، وهكذا كل من علم منه الكفر والفاق فإنه لا يصل على عليه ولا يدعى له بالمعزة ، وفي هذه الآية مشروعية الصلاة على المؤمنين والوقوف على قبورهم ، خصوصاً وقت دقتهم للدعاء لهم ، وإن هذا كان عادته صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين ، وقد يست السنة وحب تجهيز الميت المسلم بالتعميل والتكفين والصلاة عليه وحمله ودفعه كما هو معلوم .

### « فصل في الصيام وتوابعه »

قال الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ) إلى قوله ( ولتكملوا العدة ولتشكروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون )

يخبر تعالى بحته على عباده المؤمنين مخرجه عليهم الصيام كما فرسه على الأمم السابقة ، لأنه من الشرائع الكبر التي هي مصالحة للخلق في كل زمان ، وفي هذا حث للأمة أن يراعوا الأمر في المصلحة إليه وتكميله وبيان عموم مصلحته ونعماته التي لا تنفص عنها جميع الأمم ، ثم ذكر حكمته بقوله ( لعلكم تتقون ) فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى ، لأن فيه امتثال أمر الله واحتساب نبيه ، فالصيام هو الطريق الأعظم للوصول إلى هذه العاية التي فيها معادة العبد في ديبه ودينه وآخرته ، فالصائم يتقرب إلى الله بترك المشتبهات تقديماً لمحبة ربه على محبة نفسه ، ولهذا اختصه الله من بين الأعمال حيث أضافه إلى نفسه في الحديث الصحيح ، وهو من أعظم أصول التقوى ، فإن الاسلام والايمان لا يتم بدونه .

وفيه من حصول زيادة الايمان والتمرن على الصبر والمشتقات المقررة إلى رب العالمين ، وأنه سبب لكثرة الطاعات من صلاة وقراءة وذكر وصدقة وغيرها ما يحقق التقوى ، وفيه من ردع النفس عن الأمور المحرمة من أقوال وأفعال ما هو من أصول التقوى .

ومنها أن في الصيام من مراقبة الله ترك ما تهوى نفسه مع قدرته عليه ، لعله باطلاع ربه عليه ما ليس في غيره ، ولا ريب أن هذا من أعظم عون على التقوى .

ومنها أن الصيام يصيق محاربي الشيطان « فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدهر » فما للصيام يصعب نفوذه وتقل معاصي العبد .

ومنها أن الغنى إذا داق ألم الجوع أوجب له ذلك وجعله على مواساة الفقراء أعمد من ، وهذا كله من خصال التقوى .

ول ذكر أنه فرض عليهم الصيام أحبر أنها أيام معدودات ، أي فدية سهلة ، ومن سهولتها أنها في شهر معين يشترك فيه جميع المسلمين ، ولا ريب أن الاشتراك هذا من الموهبات المسهلات ومن لطف المولى ومودته للصائمين ، ثم سهل تسبيلاً آخر فقال « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » وذلك لمشقة غالباً رحص الله لها في الفطر ، ولا كان لا بد من تخصيص العبد لمصلحة الصيام أمرهم أن يقصوا في أيام أخر إذا زال المرض وانقضى السفر وحصلت الراحة وفي قوله ( فعدة من أيام أخر ) دليل على أنه يقضى عدد أيام رمضان كاملاً كان أو ناقصاً ، وعلى أنه يجوز أن يقضى أياماً قصيرة باردة ، عن أيام طويلة حارة كالمكس .

ويهدأ أحسا عن سؤال ورد عني : أنه يوحد مسلمون في بعض البلاد التي يكون في بعض الأوقات ليلاً نحو أربع ساعات أو تنقص ، فيوافق ذلك رمضان ، فهل لهم رخصة في الاطعام إذا كانوا يعجزون عن تنميتها

فأجبت : إن العاجز منهم في هذا الوقت يؤخره إلى وقت آخر يقصر فيه النهار ويتمكن فيه من الصيام كما أمر الله بذلك المريض ، بل هذا أولى ، وأن انذى يقصر على الصيام في هذه الأيام الطوال يلزمه ولا يحل له تأخيرها إذا كان صحيحاً مقياً ، وهذا حاصل الجواب .

وقوله ( وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مكين ) قيل هذا في ثوب الأمر وفي ابتداء فرص الصيام لما كانوا غير معتادين للصيام ، وكان ابتداء فرضه حتماً فيه مشقة عليهم ، درأهم الرب الحكيم بأسهل ما يكون ، وحتر المطبق للصوم بين أن يصوم ، وهو الأفضل الأكمل ، أو يعظم ويجريه ، ثم لما تمرنوا على الصيام وكان ضرورة على المطيقين فرضه عليهم حتماً . وقيل إن قوله ( وعلى الذين يطيقونه ) أي يتكلمون بالصيام ويشق عليهم مشقة لا تحتل ، كالكبير والمريض الميتوس من برئه فدية طعام مسكين عن كل يوم يعطره .

وقوله ( شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ) أي الصوم المفروض عليكم هو شهر رمضان ، الشهر العظيم الذي قد حصل لكم من الله فيه الفصل العظيم ، وهو أنزال القرآن الذي فيه هدايتكم لجميع ، صالحكم الدينية والديوية ، وفيه بيان الحق وتوضيحه ، والفرقان بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، وأهل السعادة من أهل الشقاوة ، تحقيق شهر هذا فصله ، وهذا إحسان الله العظيم فيه عنيكم أن يكون معظماً محترماً ، موسماً للعباد معروفاً فيه الصيام ؛ فلما قرر فرضيته وبين حكمته في ذلك وفي تخصيصه قال ( من شهد منكم الشهر فليصمه ) أي من حضر الشهر وهو قادر تخم عليه صيامه ( ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ) أعاد ذلك تأكيداً له ، ولئلا يظن أنه

أصلاً منسوخ مع ما نرجح من التحصيل في در (يريد الله نكاح اليسر) أي يريد الله أن يسر ويسهل  
 عليكم لطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير يسهل سهوكم . ويعين عيها بكل وسيلة ليرغب  
 فيها العبد ، وهذا أصل عظيم من أصول الشريعة . من الشريعة كلها تدور على هذا الأصل ، فإن  
 جميع الأصول لا تنشق على المسكبين ، وإذا حصل بعض المشاق والعجز حجب الشريعة من الواحات  
 بحسب ما يناسب ديث ، فيدخل في هذا جميع التحصيلات في حوار الطائر ، وتحصيلات السفر  
 والأعدار لترك الجمعة والجماعة .

وفيه (ولتذكروا العدة) وذلك لتلايتهم متروك أن صبه رمضان يحصل انقشود سعته دفع  
 هذا الزم بقوة (ولتذكروا العدة) وأمر شكره على نعمه ، لأن من أكر من الله على نعمه  
 بوصفه لآدمه ونعمته وتبين حكمه للعبد (ولتذكروا الله على ما هذاكم) هداية التلميح وهداية  
 التوفيق والآثار

﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان . فاستجبوا لي ،  
 وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾

هذا سؤال وجواب . أي إذا سألك العبد عن ربه . ودني طريق يذكر كونه معطاهم .  
 فاجبه بهذا الجواب الذي يأخذ بجميع القلوب ، ويوحى أن يعق العبد بره بكل مصلوب ديني  
 وديني . فاجبه أن الله قريب من الداعين . ليس على فانه حجب ولا يوب . ولا دونه . ومع  
 في أي وقت وأي حال . عاد أتى العبد بالسبب والوسيلة . وهو الدعاء لله المقرون بالاستجابة له  
 بالإيمان به والالتقاد لطاعته ، فيبشر بالإجابة في دعاء . أصب ومثله ، وبالثواب والآخر والرسد  
 إذا دعا دعاء العدة ، وكل سموات الطاهرة واسطة تدخل في دعاء العدة . لأن المتعبد لله طالب  
 بلسان مقاله وليس حانه من ربه فهو تلك العدة والائبة عيب

وفي هذه الآية تنبيه على لاسبب الموصلة لإجابة الدعاء التي مدارها على الإيمان بالله وتحقيقه  
 بالانقياد لله مثلاً لأمره وحسن أمره ، ونسبه أيضاً على أن مواعيد الإجابة نزلت لتحقيق الإيمان  
 وتذكير الانقياد . كل الحرام وعن المعصية من مواعيد الإجابة ، وهي تدعى بالاستجابة لله ، وفيه  
 تنبيه على أن الدعاء لله والاستجابة له سبب إلى حصول العلم ، لأن ارشد هو الهدى التام عملاً  
 وعملاً ، ونظير هذا قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إن تنقوا الله يحمل لكم فرقاناً» أي علماء  
 يرفعون به بين الحق والباطل وبين كل ما يحتاج إلى تفصيله .

﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم . إلى قوله . كذلك بين الله آياته للناس  
 لعلهم يتقون﴾

كان أول ما فرض الصيام منع المسمون من الأكل والشرب في الليل إذا ناموا ، فحصلت المشقة لكثير منهم ، فحلف الله ذلك وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب واجمع ، سواء نام أو لم ينام ، لكونهم يحثثون أنفسهم بترك بعض ما أمروا به ببقى الأمر على ما كان أولاً ، فتاب الله عليكم بأن وسع لكم أمراً بولا توسعته لكان داعياً إلى الاتم والاقسام على المعاصي ، وعف عنكم ما سلف من التحور

فالآن بعد هذه ابرحة والسعة من الله (عاشروهن) وطناً وقلة ولماً (واستقواماً) كتب الله (نكم) أى قصدوا في مباشرتكم بروحانكم تقرب إلى الله بذلك ، وانصدوا أيضاً حصول التربية واعمال لرج وحصول جميع مقاصد السكاح . وانتوا أيضاً ليلة القدر ، فإياكم أن تشتتوا بهذه اللذة وتو نغها ونصيغوا ليلة القدر ، وهى التى كتبه الله لهذه الأمة ، وفيها من الخير العظيم ما يمد تعويته من أعظم الخسران ، فاللذة مدركة وليلة النذر إذا طالت لم تدرك ، ولم يعوض عنها شيء (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود من الفجر) هذا غاية حوار الأكل والشرب واجمع في ليالى الصيام . وفيه أن هذه ثلاثة إذا وقعت وصحب شاك في طلوع الفجر فلا حرج عليه ، ودليل على استحباب السجود ، وأنه يستحب تأخيرها أخذ من معنى رخصة الله وتسهيله على العبد ، ودليل على أنه يجوز أن يدركه الفجر وهو حبس من الجوع قبل أن يعتدل لأن من لارم إحاجة الجوع إلى طلوع الفجر أن يدركه الفجر وهو حبس ، ولارم الحق حق ، ثم إذا طلع الفجر أنتموا الصيام ، أى أمسكوا عن منغرات ليالى ، وهو غروب الشمس

ولم كانت إحاجة لوط . في ليالى الصيام ليست بإحاجة سمة أكل أحد ، استثنى تعالى امتكف بقوله (ولا تشربوه) وأتمه كهمون في المساحة) أى وأتمه متصلاً بذلك ودلت الآية على مشروعية الاعتكاف ، وهو لزوم أحد اصعدة الله ، وبب الاعتكاف لا يصح إلا يسجد به ويستعد من تعريضه بالآلاف والآلاف أنها المساحة التى يعرفها المسمون ، وأنها التى تقدم فيها الصلوات الخمس وفيه أن لوط . من مميزات الاعتكاف . تلك المذكورات وهى تحريم الأكل والشرب والجوع وبحوها من منغرات الصيام ، وتحريم لوط . على المعتكف ونحو ذلك من المحرمات التى حدها لعمده ونهاهم عنها « فلا تقربوه » أى لا تعملوه ولا تحوموا حولها ونعموا وسائلها ، والعبد مأثور بترك المحرمات والعبد عنها بترك كل وسيلة تدعو إليها .

وأما الأوامر فيقول الله فيها « تلك حدود الله فلا تعتدوها » فينهاى عن محاورتها ، كذلك الذين سبق والبصير « اتقوا الله من الله لعمدة » يعين الله آياته لله من لعلهم يتقون « فإن العلم الصحيح سبب للتقوى لا شيء ، إذا بار لهم الحق اتبعوه ، وإذا بار لهم الساطع احتسبوه . ومن علم الحق فتركه والباطل فامتنعه كان أعظم حرمة وأشد لائمة .

## (فصل في الحج وتوابعه)

قال الله تعالى ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً . ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ وقال ﴿ واتموا الحج والعمرة لله ﴾ إلى آخر الآيات المتعلقة بالحج

لما قال الله تعالى ( أول بيت وضع للناس للذي بمكة وحدي العالمين ) فيه آيات بيّدت ، مقدم إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ) وكان في ذلك تنبيه على الحكم والأسرار والمصالح والركائز المتنوعة المحتوية هذا البيت العظيم عليها ، وكان ذلك داعياً إلى تعظيمه بعبادة ما يمكن من التعظيم أوجب الله على العباد حجه وقصده لاداء مساسك التي فعلها رسول الله ﷺ وعمه أبيه وأمرهم أن يأخذوا عنه مساسكهم ، فأوجبه على من استطاع إليه سبيلاً ، بأن قدر على الوصول إليه بأي مركب متيسر وبرد يتزوده ويتم به السبيل ، وهذا هو الشرط الأعظم لوجوب الحج وهذه الآية صريحة في فرضية الحج ، وأنه لا يتم للعمد اسلاء ولا بدن وهو مستطيع بالإيجاد ، وأن الله إنما أمر به العباد رحمة منه بهم وإيصالهم إلى أحسن مصالحهم وعلى مطالبهم ، وإلا فالله غنى عن العالمين ومطاعهم ، فمن كفر فلم يلتزم لشرع الله فهو كافر ولن يضر إلا نفسه

وأما آية لقرة فإن الله أمر فيها بإتمام الحج والعمرة بأركانها وشروطها وجميع متبناها ، ولا فرق في ذلك بين العرض والصل ، وبهذا تميز الحج والعمرة عن غيرهم من العبادات ، ووب من شرع فيها وحب عليه إتمامها لله محلاً ، ويدخل في الأمر بإتمامها أنه ينسب للعمد أن يجتهد غاية الاجتهاد في فعل كل قول وفعل ووصف وحادثة بها تمام الحج والعمرة ، وذلك شيء كثير منقضى في كتب أهل العلم ، وأن من دخل فيها فلا يخرج منها إلا بإتمامها والتحلل منها إلا استثناء الله وهو الحصر ، وهذا قول ( فان أحصرتم ) أي منقضى من الوصول إلى البيت ومن تقيم مساسك يمرض أو عدو أو ذهاب ثقة أو صلته الطريق أو غير ذلك من أنواع الحصر الداحلة في عموم قوله ( أحصرتم ) فادبجوا ما تيسر من الهدى وهو شاة أو نسج بدنة أو نسج بقرة يدبجها المحصر ويحقق رأسه ويحل من إحصاءه ددب الحصر ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما صدم المشركون عن البيت وهم محرمون عام الحديبية ، فإن لم يتيسر الهدى على المحصر فهل يكفيه الخلق وحده ويحل ، كما فعله الصحابة الذين لم يكن معهم هدى ، وهو الصحيح ، أو ينوب عن الهدى صيام عشرة أيام قديماً على هدى التمتع كما قاله آخرون ثم يحج ؟ ثم قال تعالى ( ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله )

وفي هذا أن الحيرة بحره عليه دالة شيء من شعريته تعطيها هذا التسك ، وقاس عليه أهل العلم

أزالة الأظفار بجميع الترفه ، ويستمر أسبوع من ذلك حتى يبلغ الهدى محله ، وهو وقت دبحه يوم النحر ، والأفضل أن يكون الخلق بعد النحر ، ويجوز أن يقدم خلق على النحر كما رخص في ذلك النبي ﷺ حين سئل عن فداء الخلق أو أرمي أو أبيع أو احتواج بعد ، سئل بعض قتال أفضل ولا حرج .

ويستحب بالآله الكريمة على من يتمتع كالزمن والمهرد لا يبحر من عمرته ، إذا كان سائماً للهدى حتى يبلغ الهدى محله ، وبالهدى إذا حل من عمرته من فرع من أطواف وأسعى بادر بالتحول بالخلق بأسية ، وقيل إنه : ومنه للهدى ص ، فارماً . وأن الهدى الذي استصحبه حيث أنه كان للسكينة كليهما مخرج بين السكينة وقد صاحبه قارماً ، وهو لقول الصواب ، ويذكر مع بعض من الحل من سبق الهدى قبل محله ، لم يبق سوى الهدى ومن يسعه من كثر رأس وتر أحد اشعو ونحوها من الأدل والخصوص لله والأسكينة والتواضع للهدى هو روح هذا السبت وعين صلاح عبده وكلامه ، وليس غيبه في ذلك ضرر ، فإذا حصل النحر من كان به ذى من رأسه من مرس يتمتع بحق رأسه أو قروح أو قمل ونحو ذلك ، فإنه يباح له أن يخلق رأسه ، ولكن يكون غيبه ، فإنه تحبير ، يحبر بين صيده ثلاثة أيام ، أو يطعم ستة ، كبش ، أو دجاجة ، وهذه تسمى فدية الأذى وألحق بذلك إذا قد أصدره ، أو ليس الذكر الخيط ، أو غص رأسه ، أو تذيب المحرم من ذكر ونثى ، فكل هذا فديته فدية تحبير بين الصية ، والأطعمه أو السبت

وأما فدية قتل الصيد فقد ذكر الله التحبير فيها بين ذبح اثنين من البعير ، وتؤتيه بصدقه فيعظم كل مسكين منه بر أو نصف صاع من غيره ، أو يصوه عن أطعمه كل مسكين يوماً ، ثم هذه الأنواع فديتها تحبير .

وأما المتمتع والغزل ، فإن هذين هدى سب ، غير هدى حبر ، وهو على امرئ ، أن يسير الهدى وحسب الهدى ، فالهدى يتيسر هديه ، صيرة أيام ، ثلاثة في الحج ولا يباح هدياً يوم التشريق ، وسبعة إذا رجع . أي فريش من جميع سنون السبت . وذلك صلاته يحجب صيده من أنه يجوز فيها لتتابع والتريق (د) أي وجوب الهدى على المتمتع والله ، والله من لم يحرم من الصيام ، من لم يكن أهله حاضري أمجد أخيراً ، ومع الأضحية ، لأن من سحكة في إيجاب الهدى على الأضحية ، أنه لم يحصل نسك في صيرة واحدة ، كان هذا من أعظم نعم الله ، فكل من غيبه أن يشكر الله على هذه النعمة الجملة ، ومن حلة اشكر إيجاب الهدى عليه

وأما المقيموں في مكة أو كواحي فرس بحيث لا يقبل هم مسفرون ، وليس عليه هدى ولا يذبحه لما ذكره من الحكمة (وأنابوا الله) في جميع أموره كما امتثل أو امره واحتساب بواهيته ، ومن ذلك امتثالكم هذه أموره في هذه العادة حليته واحتسابكم لحجوه ، (وأنابوا الله



شديد العيب ) أى من عصه ، وذلك موحد للتقوى ، فإن من حاف عقاب الله انكف عن  
السيئات ، كما أن من رجا ثواب الله عمل لما يوصله إلى الثواب ، وأما من لم يحف الله فانه لا بد أن  
يتجراً على المحارم ويتهاون بالفرائض .

ثم أحبر تعالى أن الحلي واقع في أشهر معلومات عند المحاطين ، بحيث لا يحتاج إلى تعيين كما  
احتج الصيام لتعيين شهره ، وكما بين تعالى أوقات الصلوات الحس ، وأما الحلي فقد كان من مدة  
إبراهيم التي لم تزل مستمرة في دريته معروفة بينهم ، والمراد بالأشهر المعلومات عند الجمهور ، شوا  
ودون بقعة ، وعشر وثلاثة عشر من ذى الحجة ، فهي التي يقع فيها الإحرام بالحج عسا . وهي  
التي تقع فيها أفعال الحج ، أو كانه وواحاته ومكلائه . من فرض وبين الحج أى علة منه وأحرم  
به ، لأن الشروع فيه يصيره فرضاً ولو كان قبل ذلك نفلاً .

واستدل بيده الآية الشافعية ومن قال بقوله : انه لا يجوز الإحرام بالحلي قبل أشهره ، ولو قيل  
بأن الآية فيها دلالة لقول الجمهور ، فصحة الإحرام بالحلي قبل شهره لكان قريباً . لأن ثوب ( فمن  
مرض بين الحدي ) دلل على أنه مع مرض من بين وغيره ، ولا يمكن في تعبد فائده فلا  
رفق ولا فسار . ولا في - أى يجوز - حكى أن تعلموا حرمة الإحرام بالحلي ، وخصوصاً  
الواقع في شهره ، وتصونوه عن كل ما يفسده أو يفسده من ارتك ، وهو الجمع ومقدماته  
العملية والقولية ، خصوصاً التكليف في أمور التكليف بمسيرة بساء « ولا فوق » وهو جميع  
المعاصي ، ومنه محظورات الإحرام « ولا إحداث » والجدال هو المنة وإسارعة وانحطتها لكونها  
تثير الشر وتوقع لعداوة ، والمقصود من الحج بدل والانكسر لله والتفرد له بما يمكن من  
التقربات ولتفرد عن مقدرة السيئات ، فانه يكون بذلك مبروراً ، والحلي المبرور ليس له حر ، إلا  
الحلة : وهذه الأساء وإن كانت متنوعة في كل زمان ومكان ، وبه يتأكد المنع منها في الحلي .  
واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله بترك المعصية حتى يعمل الأوامر فهذا أنته بقوا ( وما فعلوا  
من حبريمه الله ) أى عن المفيدة لتخصيص الصوم بكل عبادة وقربة ظاهراً تدخل في هذا ، والأخبار  
بعله يتضمن الحث على فعل الخير خصوصاً في تلك النطاق الشريعة والحرمات المبيعة فانه ينبغي  
اغتنم ظليرات والمفيدة فيها من صلوات وصيام وصدقة وقراءة وطواف وإحسان قولى وعلى ( وتروءوا )  
هذا السفر المبرور من التروء فيه الاستعانة عن الخلق وعدمه الفشوف لما عديم واعانة المسافرين  
والتوسعة على الرفقة والانقباض والسرور في هذا السفر وزيادة لتقرب إلى الله تعالى وهذا الزاد  
المراد به اغامة السبيلة سعة ومتاع وأما الزاد الحقيقي المستمر فله لصاحبه في دينه وأحراه هو راد  
المتقوى الذي هو راد إلى دار القرار وهو الموصل لا كل لذة ونحن نعم دائماً أئذا ومن تروء هذا  
أد هو المنصع به السبى هو عرضة لكل شر ومنوع من الوصول إلى دار استبين وقد يتمكن

الموفق من جعل الزاد الحسى يحسم الزادى بأن يقصد به وجه الله والقيام بواجب النفس والرفقة ومن يتصل به ، وتقيام بالأحسان المستحب وقصد امتثال أمر الله ، فالبية هي الأساس لكل حير التي تحمل الناقص كاملاً ولعمادة عادة ، ثم قال « واتقون يا أولى الألباب » أى يا أهل العقول الرزينة اتقوا ربه الذى تقواه أعظم ما تأمر به العقول ، وتركها دليل على فساد العقل والرأى .

ولما أمر بتقواه أجب أن اشغاف فعله ، الاشتغال بالتكسب فى التجارة فى مواسم الحج وغيرها ، ليس فيه حرج ، إذ لم يشغل عما يجب إذا كان المقصود هو الحج وكان التكسب حلالاً ميسوفاً إلى فضل الله معترفاً بعبادة الله ، لا ميسوفاً إلى حدوث العبد والوقوف مع السبب ونسيان المسبب ، فإن هذا هو الحرج لعينه فى كل وقت ، وكيف إذا قارن البعث لمحصل ، وفى قوله « فاداً أقصم من عرفات فادكروا الله عند المشرع الحرام » دلالة على أمور : أحدها : أن الوقوف بعرفة من المشاعر الجليلة ، ومن أركان الحج ، فإن الإفاضة من عرفات لا تكون إلا بعد الوقوف الذى هو ركن الحج الأعظم بعد الطواف .

الثانى ، الأمر بذكر الله عند المشرع الحرام ، وهو المزدلفة ، وذلك أيضاً معروف يكون الحاج ليلة النحر بائساً بها ، وبعد صلاة الفجر يقف فى المزدلفة داعياً حتى يسمر حداثاً . ويدخل فى ذكر الله عند المشرع الحرام ما يقف فى المشرع من الصلوات فرضها وتقبلها الثالث : أن الوقوف بمزدلفة متأخر عن الوقوف بعرفة ، كما يدل عليه الاء المفيدة للترتيب الرابع والخامس ، أن عرفات ومزدلفة كليهما من مشاعر الحج المقصود فعلها وإظهارها . السادس : أن مزدلفة فى الحرم كما يقيد بالمشرع الحرام

السابع : أن عرفة بالحل كما هو مفهوم التقييد بمزدلفة « رادكروا كما هذاكم وبن كستم من قلله لمن الصالين » أى اذكروا الله كما من عليكم بالهداية بعد الصلاة ، وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، فهذه من أكبر النعم التى يجب شكرها ومقابلتها بالاكثار من ذكر المسمى بالقلب واللسان « ثم أفيضوا » أى من مزدلفة من حيث أفاض الناس من لذن إبراهيم إلى هذا الوقت والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفاً عدم ، وهو رعى الحمار ودبح الهدايا والطواف والسعى والمبيت بمعنى ليل إلى أيام التشريق ، ولا يكمل بقية المساسك .

ولما كانت هذه الإفاضة يقصد بها ما ذكر ، والمذكورات آخر المساسك ، أمر تعالى بعد الفراغ منها باستغفاره ، حشية الخلل الواقع من العبد فى أداء العادة وتقصيره فيها ، وبالاكثار من ذكره شكراً له على نعمة الوفاء لهذه العبادة العظيمة وتكليفها ، وهكذا يسنى للعمد كلما فرغ من عبادة أن يستغفر الله عن القصير ويشكره على التوفيق ، فهذا حقيق بأن الله يحجر له ما نقص منها ويتقبلها ويريده نعماً أخرى ، لا من أهل حق ربه فرأى نفسه أنه قد كمل حقوق

العادة فأعجب نفسه ومن عادته على ربه ، وتراعى له أنه قد جمات له محلا ومزلة رفيعة ،  
فهذا حقيق بالمقت ويخشى عليه من رد العمل .

ثم أحر تعالى عن أحوال الخلق ، وأن الجحيم يسألونه مطالبهم ، ويستدعونه ما يضرهم ،  
ولكنهم همهم ومقاصدهم متباينة ، فمنهم من يقول « رب آتني الدنيا » أي يسأل ربه من  
مطالب دنياه وشهواته فقط « وما له في الآخرة من حلاق » لا رغبة له فيها ولا حفظ له منها ،  
ومنهم على الهمة من يدعو الله لمصلحة الدارين ، ويعتقر إلى ربه في مهمات دنياه ودنياه ، وكل  
من هؤلاء وهؤلاء له نصيب من كسبهم وعملهم ، وسيحازيهم الله على حسب أعمالهم وبيئاتهم ،  
جزاء دائراً بين الفصل والاحسان والكرام للعقول ، وبين العدل والحكمة بغيرهم ، وفي هذه  
الآية دليل على أن الله تعالى يقبل دعوة كل داع سدا كان أو كافراً ، برأ أو ظالماً ، ولكن ليست  
أجابته دعاء من دعاء دليلاً على محبته وقربه منه إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين ، فمن  
أجبت دعوته في هذه الأمور الدائم بفعها كان من الشرى ، وكان أكر دليل على ربه  
وقربه من ربه .

والحسنة المطبوعة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند المد وما به تكمل حياته ،  
من رزق هي ، واسم حلال ، وزوجة سالحة ، وولد تفرته العين ، ومن راحة وعلم ناعم وعمل  
صالح ، وما يتيم ذلك من المطالب النافعة المحسنة والمالحة .

وأما حسنة الآخرة ، فهي السلامة من العقوبات التي يستقبلها العباد من عذاب القبر  
ولوقوف وعذاب النار ، وحصول رضا الله والتمور بالنعيم المقيم وانقرب من الرب الرحيم ،  
فهذا الدعاء أجمع الأدعية وأكملها وأولها بالبشارة ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر  
من الدعاء به ويحث عليه

ولما أكل الله تعالى أحكام الفسك أمر بالاعتكاف من ذكره في الأيام المعدودات . وهي أيام  
التشريق في قول جمهور المفسرين ، وذلك لمزيتها وشرفها وكون بقية المساء لك بعمل بها ،  
والكون لها أضيافاً لله ، ولهذا حرم صيامها ، فلذلك فيها مزية ليست لغيرها ، ولهذا  
قال النبي صلى الله عليه وسلم « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله » ويدخل في ذكر الله  
رمي الجار ولتكبير عند رميها ، والدعاء بين الجنتين ، والتذبح والتسمية فيه ، والصلوات التي  
تعمل فيها من فرائض ونوافل ، والذكر للمقيد بعد الفرائض فيها ، وعند كثير من أهل العلم  
أنه يستحب فيها التكبير المطلق كالعشر ، خميس ما يقرب إلى الله داخل مذكره ( فمن تعجل في  
يومين ) أي خرج من مي ونفر منها قبل غروب الشمس فلا إثم عليه ، ومن تأخر بأن مات بها  
ليلة الثالث من أيام التشريق ليرى من غده فلا إثم عليه ، وهذا تخفيف من الله على عباده حين

أباح الأمرين مع أن التأخر أرجح لموافقته فعل النبي ﷺ وزيادة العبادات ، وقوله ( لمن اتقى )  
 هذا من الاحتراز العالي ، لأن نبي الحرج يوم العموم ، فقبل ذلك بهذا الشرط لدى هو شرط  
 لنبي الحرج في كل شيء ( واتقوا الله ) بامثال أوامره واجتناب نواهيه ( واعلموا أنكم اليه  
 تحشرون ) فجازيكم بأعمالكم ، من اتقاء وجد عنه منه جراه المتقين . ومن لم يتقه عاقبه عقوبة  
 تترك التقوى ، فإن التقوى هي ميزان الثواب والعقاب في القائم بها والمصير لها ، فالعلم بالحجاء  
 والایمان به هو أعظم الدواعي للقيام بالتقوى .

وإذ نونا لأبراهيم مكان أثبت أن لا تشرك بي شيئا ؛ وطهر بيتي للطائفين  
 والقائمين والركع السجود

يذكر الله تعالى عظمة البيت الحرام وجلالته ، وعظمة اسمه ، وهو حرم الرحمن معقل « و »  
 نونا لأبراهيم مكان البيت « أي هيئناه له وأرسلناه إليه » بيتا حراما من درجته في مكانه  
 وأمره الله ببنيانه ، مناه وأسمه على تقوى الله ورسوائه هو واسمه استماعين بنية صادقة وحضور  
 لله وإخلاص ودعاء منهما أن يتقبل منهما هذا العمل الخليل . فتقبله الله

فهذه آثار القول لهذا البيت في كل وقت وحين متواصلة ، ووصاه أن لا يشرك به شيئا ،  
 بأن يبي الشريك عنه وعن دريته وعن ومن وصلت إليه دعونه « وسهر بيتي » أي من الشرك  
 والمعاصي ، ومن الأحاس ولأدناس ، وأضافه إلى نفسه ليكتسب شرفاً بل شرفه ، ولتعلم  
 محنته في القلوب ، لا يكونه بيت محمونها الأعظم ، ونصب ونهوى إليه لأفئدة من كل حاس  
 وليكون أعظم لتطهيره وأعظم للطائفين به ، ولقائمين عنده للعبادات المتنوعة « والركع  
 السجود » أي المصلين ، أي طهره هؤلاء لفصلاء الذين ليس لهم عز إلا طاعة مولاهم وما يقرهم  
 إليه ، هؤلاء لهم الحق ، ومن أكرامهم تطهير هذا البيت لهم ونهيته لما يريدونه عنده ، ويدخل  
 في تطهيره ، تطهيره من الأصوات اللاغية المرتفعة التي تشوش على المتعبدين « الصلاة و » طوف  
 والقراءة وغيرها وقدم لطواف لاحتصاصه بهذا البيت ، ثم الاعتكاف لاحتصاصه بحسن  
 المساجد ( وأذن في الناس بالحج ) أي أعلمهم به وأدعاهم إليه . وبلغ دأبهم وهوسهم حرصه  
 وفضيلته ، فأنك إذا دعوتهم عن أمر الله أنوك حجاً واحداً وعساراً « رجالاً » أي مشاة على  
 أرجلهم من الشوق ، وعلى كل ضامر ، أي نافقة ضامر تقطع لمهامه والمواوز وتواصل السير حتى تأتي  
 إلى أشرف الأماكن « من كل فج عميق » أي مكان وبلد بعيد ، وقد فعل الخليل صلى الله عليه  
 وسلم ذلك ، ثم من بعده ابنه محمد صلى الله عليه وسلم فدعيا الناس إلى حج هذا البيت ، وبديا  
 وأعاد فيه فحصل ما وعد الله به ، أتاه الناس رجالاً وركباناً من مشارق الأرض ومغاربها ؛

ثم ذكر فوائد ربه ، في الحرة حرسه فيه فقال ( يشهدوا معكم في أي شيء يوصلهم  
 لبيت الله في الدنيا مدفع متنوعة دينية ، ومدفع دينية كالشكسب حصول الأرباح ، وهذا أمر  
 مشاهد يعرفه كل أحد ، فجميع العلوم والعدوات الدينية التي تقع في تلك المقاع العاصلة ، وما حمل  
 الله لها من التصعب داخل في هذه المدفع ، وجميع المدفع الدينية التي لا تعد ولا تحصى داخل في ذلك  
 فصدق الله وعده ، وتوحيده ما شاء ، وكان ذلك آية ويرى على توحيد وصدق رساله

وفيه ( ويذكروا اسم الله على ما درهم من زينة الأمام ) وهذا تجمع الأمرين الدينية  
 والدينية في ليس ذكر اسم الله عند ذبح الهدايا سكرًا لله على ما درهم منها ويسرها لهم ، فإذا  
 دبحوها ( فكأوا اسم وطعموا الناس لغير ) أي سديد لغير ، والآية الأخرى ( القانع ) وهو  
 الغني الذي لا يسأل الناس ( واعلم ) الفقير الناس وفي هذا الأمر بالأكل الإهداء والصدق على  
 الأمر يشمل أهل أهله منب وإهداءهم للأغنياء ( ثم ليصوا فذهب ) أي يستكملوا نية إنهم  
 ويرى أيا عنهم محظورات الأحرام وما ترتب عليها من الشمت ونحوه ( وليؤدوا بدورهم ) التي أوجهاها  
 على أنفسهم من الحج والعمرة والمهدي فليس عند العبد للأحرام يحل منه على نفسه ( وليطوفوا  
 بالبيت العتيق ) أي لتقديم قسم المجد على الإصلاق ، معتق من نسلط الجارية عليه ، وتخصيص  
 الطواف به دون غيره من المسالك لصله وشرفه ، ولكونه المعصود وما قبله وما بعده وسائل  
 وتوابع ، ولأنه يعتمد به لله مع الأساك ووحده وأما نية الأساك فلا تكون عبادة إلا إذا  
 كانت تابعة لنفسك

### فصل في آيات تتعلق بالجهاد وتوابعه

قال الله تعالى ( أدن مسلمين قتالوا في سبيل الله ) أي نصرهم بقدر ( الآيات

كل مسلمون في أول الأمر مأمورين بكف الأيدي عن قتال الكفار ، وإيما جهدهم بالدعوة  
 بذكره صهرة ، ولم يصطدوا واصبرهم الأسداء إلى تره ملادم وأوطانهم وقتلوا من قتلوا وحسوا  
 من حبسوا ، وحسوا في له ساوه سيرة بكل طريق ، وهجر المسلمون بسبب ذلك إلى المدينة  
 وقوام الله على قتال الأعداء ، وقد رمد الأعداء من موسى واحدة ، فحشد أدن الله لهم في القتال  
 ولهذا فن ( أدن مسلمين يفتون منهم طموا ) سبهم من دينهم وإخراجهم من ديارهم ومطاردتهم لهم  
 في كل مكان ( وإن الله على نصرهم لقدير ) وهذا مع أمره لهم من الأسباب ومقومة الأعداء بكل  
 مستطاع أمر لهم بالتوكل عليه واستنصاره والطلب منه

ثم ذكر صفة عدوانهم فقال ( الذين أخرجوا من ديارهم ) بالاذية والعقبة بغير حق ، لأن  
 دينهم يدينهم بالله واعتبراهم بأنه دينهم وديارهم ، وأنهم أحصوا له الدين وتبرؤ من عبادة المخوفين

وهذا كما قال تعالى ( وما تقوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ) وهذا طاهر في حكمة الجهاد وعظم مصلحته ، وانه من الصروريات في الدين فان المقصود به إقامة دين الله والدعوة إلى عباده التي خلق الله المكلفين لها ، وأوجبها عليهم ودفع كل من قاوم الأمر الصرورى ومقاومة الظالمين المعتدين على دين الله وعلى المؤمنين من عباده كما قال تعالى ( وقتلوه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ) ولهذا قال ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ) فلولا مدامعة الله للناس بعضهم ببعض بأسباب متعددة وطرق متنوعة قدرية وشرعية وأعنتها وأحلها وأركاها الخلد في سبيله لاستولى الكفار الظالمون وخنقوا دين الرسل فقتلوا المؤمنين بهم وهدموا معابدهم . ولكن أطف الله عظيمته ، وأياديه حسية . وهذا وشبهه يعرف حكمة الجهاد الدينى ، وأنه من الصروريات لا كقتال لطلقة المسمى على العدوات والجشع والظلم والاستعداد للحق ، بل الجهاد الاسلامى مرماء وغرضه الوحيد إقامة العدل وحصول الرحمة واستعداد الخلق لخالقهم ، وأداء الحقوق كلها ونصر المظلومين وقمع الظالمين ، وشر الصلاح والاصلاح المطلق لكل وجه واعتبار ، وهو من أعظم محسن دين الاسلام

( يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ؛ واصبروا إن الله مع الصابرين ولا تسكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط )

هذه الآيات تضمنت الأمر بجهاد الأعداء ، والارشاد إلى الأسباب التي ينبغي للحيوش والمجاهدين الأخذ بها ، فمن أعظمها وأهمها أمران : الصبر وهو الثبات التام وبقاء كل مجهود في تحصيل ذلك ، والثانى استوكل على الله وانتصرع اليه والاكتمار من ذكره . ففى اجتماع الأمرين على وجه الكمال والتمكين فقد أتى المجاهدون بالأسباب الوحيدة للصبر والعلاج فليبشروا بعصر الله وليتقوا بوعده

فيدخل بالأمر بالصبر واشتت تحريم النفوس على ذلك فانه من يتصبر يصبره الله ، وتعلم الرمي والركوب والفنون العسكرية المناسبة للزمان ، فان التعليم وتعلم أمور الجهاد من أكبر العون على الثبات والصبر ، ومن ذلك الحدث على الشجاعة والسعى فى أسبابها والترغيب فى فضائل الجهاد وما فيه من انجازات العاجلة والآجلة وما فى نصيبه من صيغ الدين والدنيا واسنيلاء الأعداء والذل والدمار ، فان النفوس الآتية والهمم العلية لا ترضى لاصح سبيل هذا الخلق الفاضل الذى هو أعلى الاخلاق وأصحها قال تعالى ( إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترحون من الله ما لا يرجون ) ففهم على الصبر تأملهم وطههم فى الآخر والثواب وإدراك المقامات العالية



وقال أيضا في دم الكلبين وترتيب له ثياب الصابرين ( ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب  
ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يميظ الكفار - ولا من عندهم إلا كتب لهم  
به عمل صالح ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا يفتنون فئة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا  
كتب لهم ليحزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ) وقال عن المنافقين وتكولهم عن مشقة اسم ( وقوله )  
لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يتقنون ) أي لو كان عندهم قوة دفع في تنزيل  
الأشياء مبارها وتقديم ما يدمي قديمه لأثروا مشقة الجهاد على راحة القعود الصار عاجلا وآحلا

وفي هذا أنه بحسب هذه العبد وعلمه وقيمه يكون قيمه بالحمد وصبره عليه وثباته ، ومن دواعي  
الصبر وهو من الفقه أيضا أنه إداعيل المحامد أنه على الحق ويحسد أهل الساطل أن هذا على إعياءات  
وأشرفها وأحقها وأن الحق منصور وعاقبته حميدة

ومن دواعي لصبر الثقة بالله وبوعده فإن الله وعد الصابرين العون والنصر . وأنه معهم في  
كل أحوالهم ومن كان الله معه فهو احتج عليه من بأقطارها لم يخف إلا الله ؛ وما يعين على الصبر  
والثبات ( الأمر الثاني ) وهو التوكل على الله وقوة الاعتماد عليه والتضرع إليه في صب الصبر  
والإكثار من ذكره كما قال تعالى هما حيث رتب على هذا العلاج ( وادكروا الله كثيرا لما كن  
تخلصون ) وقال تعالى ( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة فنادى الله والله مع الصابرين ) وقال تعالى  
( وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهوا لما أصيبهم في سبيل الله وما صمفوا وما استكفروا  
والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم إلا أن قالوا رب اعمر لنا دنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت  
أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فاتم الله ثواب الذين وحسن ثواب الآخرة )

وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ) أي تقوموا بهديه وبالخلق الذي جاء به رسوله  
مخلصين لله قاصدين أن تكون كلمة الله هي العليا ينصركم وتثبت أقدامكم وقال تعالى ( إن يصبركم  
الله فلا غالب لكم وإن يجذبكم من ذا الذي يصبركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) فاحذره  
بأنه المنتفرد بصبرهم وأن غيره لا يملك من الصبر شيئا وأمرها بتوكل عليه أمر لهم بالقوى الأسباب  
المساعدة في هذا المقام العظيم ، وقال تعالى ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه - أليس الله بكاف عبده )  
أي الذي قام بعبوديته فيحسب توكلهم عليه وقيامهم بعبوديته يحصل لهم النصر والكفاية التامة

ومن أسباب النصر والصبر والثبات اتفاق القلوب وعنده التمرق والتسارع ، فإن ذلك محلل  
للقوة موجب للفشل وأما اجتماع الكلمة وقيام الأئمة بين المؤمنين واتفاقهم على إقامة دينهم وعي  
نصره فهذا أقوى القوى المعنوية التي هي الأصل والقوة المادية تبع لها ، والسكال الجمع بين الأمرين  
كما أمر الله بذلك في هذه الآية وفي قوله ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون  
به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تطعونهم ) الآية

ومن أسباب الثبات والصبر حسن النية وكمال الاخلاص في إعلاء كلمة الحق فهذا حذر

تعالى من مثله الذين خرجوا من ديارهم بصراً ورثة الناس ويصدون من سدس الله . هؤلاء ما يعتمدوا على ربه . وأعصوا بأمره وخرجوا شرس بطرين ، وكان قهرهم ليعزلوا طين ما ، وأباحتهم ولعشوا وخلدوا ، ولهذا أدبهم بالخلق لما حصل من نصيبه الايمان بالكثرة في سرورة حين حيث قال القائل : ان نصاب اليوم عن قلة . فقال : « يوم حين إذا أغتكت كثير نكحتم نص عنكم شيئاً وصاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » فداروا هذا الأمر به وسرفوا بضعفه وعافاة الاعمال « انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزم حدوداً بنزوله » الآية

ومن لأسباب لتي أرشد الله إليها في القتال لثوب واحدة وحسن تدبير واحدة . اسكامل في جميع الحركات العسكرية . في بعض وبتدوين من هفت سوتى ، ثم ما بين وقتها للقتال والله جميع علم »

وكان <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> يرتب الجيش ويترهم مدرطاً ، ويعمل في كل حصة كعظه . وسيد يعرف في يحشى أن يقرب منها العدو . يحفظ المكاس . ويشت اعينهم ثم تقف حول العدو ويسعين بمشاوره أصحبه كما أمر الله به ، خصوصاً في هذا الأمر مهم ، وتعرف أنه العدو وشت اعينهم ووضع الخوايس السريين الذين لا يكاد يشعر بهم ، كما أن من مهمته تنج من خوايس العدو وعن الأسباب لأحد الحذر من ذلك بحيث ما سبق وبناست ما كان والله كل

ومن أهم أيضاً أن تعمل جميع الأسباب الممكنة في خلاص الحيوس وقتها عن الحق ، وأن تكون عايتها كلها واحده لا يفرق من هذا امر من الذي قد رئيس ، أو خراف كبير أو نزع مرار . ثم أو توفى في سموده في طريقها سبع على أمه واحدة ، فانه من كتاب هذه العادة العنيفة هي التي يسعى لها كل الحن والعهد ، ويمنه في الاستعداد له لية ، العملية ، الحيوش التي على هذه الوصف مصير امثال في السكك وسداد الآجال ، حصول المقصد الحليته . ولهذا أرشد الله المؤمنين يوم أخذ إلى هذا المقصد المحيى ، « فمن من ( وما نجز ) لا سول من حدث من قبله الرسل ، أظان مات أو قتل انقلب على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين )

فبهم على أنه وإن كان مجر هذا الامه الأعظم والاسل اسل ، فانه لا يسعى كما أن هت فده في عريقتكم وبالحال فوكم . من أنته فهاكون لله . وعلى الحق مدى تمت به رسوله ، والذبح الباطل والشرور ، فاحلوا هذه العدة نصب أسبكم وأسس محكم ، وامضوا قدامى سبيل الله غير هائين ولا متثرين إذا أنت الأمور على خلاف مرادكم . فان الأمور هكذا تكون نرة لك ونارة عليك ، والكمال كل السكال أن يكون العبد عبداً لله في الخليل ، في السر ، ولصاه ، في حال اتبال الأمور على ما يجب ، أو صد ذلك ، وهذا الوصف هو كمال امر دوكن احداث والله الموفق

ومن الأمور المهمة جداً أن يكون الرئيس رجلاً برعته ، ناصحاً محمداً للحير ساعياً فيه حده ، كثير المراودة والمشاورة لهم ، حصوف لأهل الرأي والحجى منهم ، وأن تكون الرعية مطيعة متقدة ليس عندهم منازعات ولا مشغلت ، قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ) أى إذا حصل النزاع في شئ أمر من الأمور ، حصوف في الأمور المتعلقة في سياسة الحرب ، ردت إلى هذا الأصل الذى يطمئن اليه المؤمنون ، ويلجأ اليه كبارهم وصغارهم ، لعمري أنه فرض على جميعهم ، ولعلمهم أن حكم الله ورسوله هو الخير والصالح ، وأن الله يعلم من مصالحهم ما لا يعلمون ويرشدكم إلى كل ما به ينتفعون

ومن الأمور المهمة جداً سيوف صديق الحق والعدل في خدمة العظمى ، وأن لا تكون طاملة مستعدة بها الأقوياء ، محروما منها الضعفاء ، أو تكون فوضى ، فإن هذين الأمرين مع صردهم في الدين ، وأن هذا لا يخل ولا يحو ، وهو من أعظم المحرمات ، فأنما بصران غاية الضرر في الجيوش في وقوع المداوات وحصول الجشع والطمع وكون وحياتها تكون متباينة ، فبذلك يخل النظام ووقع الفشل ويكون هذا الأمر أعظم سلاح للأعداء على المسلمين

ومن الأمور المهمة جداً أيضاً ، وهي عون كبير في الحروب ، السعى بقدر الاستطاعة في إيقاع الاشتقاق في صفوف الأعداء ، وفعل كل سبب يحصل به تفريق لشملهم وتفريق وحدتهم ، ومهادنة من يمكن مهادنته منهم ، وبذل الأموال للرؤساء إذا غلب على الظن أن يسكب شرهم عن المسلمين وسكب حصل بهذا الطريق من نكابة العدو ما لا يحصل بالجيوش الكثيرة ، ولهذا قال ( يا أيها الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فقتلوكم ) فذكر الله هذه المصلحة العظيمة في السكب عن أمثال هؤلاء الموصوفين .

والدوقتين من الرؤساء ، وقواد الجيوش في هذه الأمور مقامات معروفة صار لهم فيها اليد البيضاء على المسلمين .

فانظر إلى هذه التعاليم الالهية التي هي النظم الكامل الوحيد في جميع الارمنة والامكنة ، واستدل بذلك على أن الاسلام الحقيقى هو الدين الحق الذى اليه ملجأ الخليفة ، وسعادته وسلامتها من الشرور ، وأن القص والحذو بتصنيع تعاليم هذا الدين الذى أكله الله وأنتم به العمدة في المؤمنين

## فصل في البيوع وأنواع المعاملات

قال الله تعالى ( وأحل الله البيع وحرم الربا ) الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ﴾ الآية ، وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض مكم ﴾ الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه .. إلى قوله - واتقوا الله ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم »

اشتقت هذه الآيات الكريمات على أحكام جمة وهوائد مهمة ، منها أن الأصل في البيوع والمعاملات والتجارات كلها الحلال والاطلاق ، كما هو صريح هذه الآيات ، لافرق بين تجارة الإدارة التي يديرها التجار بينهم ، هذا يأخذ العوض ، وهذا يعطى الموص ، ولا بين التجارة في الديون الحال ثمنها المؤجل مشتملها كائناً ، وبيع السلع بأنما مؤجلة لمعوم قوله ( إذا تداينتم بدين ) ولا بين تجارة القرض والانتظار ، بأن يشرى السلع في أوقات رخيتها وينتظر بها العرص من مواسم وغيره ، ولا بين التميرة بالتصدير والتوريد من محل إلى آخر ، ولا بين التجارة والتكسب أفراداً ومشتريين ، فكل هذه الأنواع وما يتبعها قد أباحها الشارع وأطلقها لصاحبه رحمة بهم وقياماً لمصالحهم ودفعاً للأضرار عنهم ، وكلها حائزة بما يقترن بها وينتفع من شروط ووثائق ونحوه . إذا عدلت من المحاذير الشرعية التي نهى الله عليها ورسوله ، يدخل في هذا المعوم جميع أخماس الميسمات وأرواعها وأفرادها من عقارات وحيوانات وأمتعة وأواني وأشربة وأكسية وفرش وغيرها وكلها لا بد أن تقترن بهذا الشرط الذي ذكره الله ، وهو التراضي بين المتعاضدين ، الرضا الصادر عن معرفة ، وأما السفينة والمحوى ومن لا يعتبر كلامه ، فويله يقوم مقامه في معاملاته

وأعظم المحاذير المانعة من صحة المعاملات : الربا والنذر والظلم .

فالربا الذي حرمه الله ورسوله يدخل فيه ربا العسل ، وهو بيع المكييل بمكييل من جنسه متفاضلاً ، وبيع الموزون بالموزون من جنسه متفاضلاً ، ويشترط في هذا النوع في حله ما شرط الشارع ، وهو التماثل بين الميسمين بمعييره الشرعي ، مكيلاً كان أو موزناً ، والقضض للمعوض قبل التفرق . وربا البيئة : وهو بيع المكييل بالمكييل إلى أجل ، أو غير مقبوض . ولو من غير جنسه . وبيع الموزون بالموزون إلى أجل أو بلاقض ، ويستثنى من هذا العلم .

وأشد أنواع هذا النوع قلب الديون في الذمم ، وهو الذي ذكره بقوله ( لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ) وذلك إذا حل ما في ذمة المدين ، قال له التريم : إما أن تقصيني ديني ، وإما أن تزيد ما في ذمتك ، فيتصاعف ما في ذمة المعسر أضعافاً مضاعفة بلا نفع ولا انتفاع ، وذلك أن

المعسر قد أوجب الله على غريمه إنظاره كما قال تعالى ( وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة )  
وسواء كان قلب الدين المذكور صريحاً أو يتحيل عليه بحيلة ليست مقصودة ، ويتم ايراد بها التوصل  
إلى مصاعمة ما في ذمة لغريم ، فهذا الذي قد توعد الله بهذا الوعيد الشديد ، وأن الذين يأكلون  
الربا لا يقومون من قبورهم إلى معتهم وشورهم إلا كما يقوم الذي يتحبطه الشيطان من المس ، أى  
من الخنون فيقومون صرعوين مترعجين قد احتلت حركاتهم لما يعلمون ما أمامهم من القلاقل  
والأحوال المرعبة والقنومات لأكلة الربا ، وقد آذنتهم الله بمحارته ومحاربة رسوله إذا لم يتوبوا  
ومن كان يحارماً لله ورسوله فانه محمول وين عواقبه وخيمة ، وإن استدرج في وقت فأحرأمره  
الحق والسوار ، فل تعالى ( يحق الله الربا ويربى الصدقات ، وما آتيتم من رب ليربو في أموال  
الناس فلا يربو عند الله ) فإراي بأحده الأمن والبرور الحاصر ولا يدري ما حبي له في مستقبل  
أمره ، وأن الله سيجمع له بين عقوبات الدنيا والآخرة ، إلا إن تاب وأمان ، فإذا تاب فله مسلف  
وأما العقود الحاضرة فالريادة لا تبح ، وعليه أن ينزل على رأس ماله ، كما قال تعالى ( وإن تبتم  
فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ) فأخذ اريادة ، ولا تظلمون بأحد من رؤوس أموالكم

ومن أنواع الربا القرض لدى يجر معاً ، فإن القرض من الاحسان والمرافق بين العباد ،  
فإذا دخلته المعاوضة وشرط المقرض على المقرض رد حيز منه بالصفة أو المقدار أو شرط نفعاً أو  
محاباة في معاوضة أخرى . فهو من الربا لأنه في الحقيقة دراهم بدرام مؤخرة ، والربح ذلك النفع  
المشروط ، والله تعالى وعط المؤمنين عن تعامل الرب كله والمعاملة به ، وأن يكتفوا بالمكاسب  
الطاهرة التي فيها البركة وصلاح الدين والدنيا ، وفيها تركوا الاحلاق ويحصل الاعتناء وحسن المعاملة  
والصدق والعدل وأداء الحقوق والسلامة من جميع التبعات .

ومن المحاذير في المعاملات محذور الميسر والقرر ، فإن الله حرم في كتابه الميسر وفقرته بالحر  
ودكر مصدر ذلك ومفاسده ، والميسر يدخل في المعاملات كما يدخل في المعاملات ، فكما أن المراهبات  
والمقامرات وتواسها من الميسر ، فالبيع التي فيها غرر ومخاطرات وحالات داخلية في الميسر ،  
ولهذا قال عليه السلام كلمة جامعة نهى عن بيع المرر ، فيدخل في ذلك بيع الحل في النطن ، وبيع الآبق  
والشرد والشيء الذي لم ير ولم يوصف ، ودخل فيه بيع الملامسة والمباينة وجميع العقود التي فيها  
جهالة يينة ، وذلك لأن أحد المتعاملين إما أن ينعى ، وإما أن يعمر ، وهذا محال لمقاصد المعاوضات  
التي يقصد أن يكون الموض في مقابلة الموض على وجه يستوى فيه علم المتعاضين ، فإذا حل الثمن  
أو المثمن ، أو كان الأحل في الديون غير مسمى ولا معلوم دخل هذا في بيع المرر والميسر الذي  
زجر الله عنه .

ومن المحاذير المعنى عنها في المعاملات ، الغل والغش والتدليس ونحو المكاييل والموازين

وبحس الحقوق أحداً وعطاءاً ، بأن يأخذ أكثر مما له ، أو يعطي أقل مما عليه ، وهذا من أعظم المحرمات ، وقد توعد الله عليه بالعقوبات في الدين والآخرة ، وهلك أمة عظيمة بسبب هذه المعاملة الخبيثة ، وهذه المعاملات المحرمة تدخل في قوله ( لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ) كما يدخل فيه النصب والسرقة ونحوهما .

وفي آية الدين من القوائد سوى ما تقدم ، الأمر بكتابة المعاملات والاشهاد عليها ، وأن يكون الكاتب عدلاً عارفاً بالكتابة وبما ينبغي أن يكتب ، وهذا الأمر للدين والاستحباب عند جمهور العلماء ، إلا إذا وجب حفظ المال وكان على دين مؤجل أو غير مقبوض ، فإنه لا يتم حفظه إلا بذلك ، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وفيه أن الكاتب لا يكتب إلا ما أملاه من عليه الحق إن كان رشيداً ووليه إن كان عاجزاً صعباً ، كالخون والصغير والسفيه ، وإن على صاحب الحق أن يقر بالحق كله من غير بحس ، أي بعض لعدده أو صفته

وتدل الآية أن الإقرار من أعظم الطرق التي تثبت بها الحقوق في الدين ، كما يثبت فيها براءة الذمم المشتعلة بالحقوق إذا أقر من له الحق بالانقضاء أو الإبراء المعتبر ، وأنه لا يعذر من أقر لو ادعى القسط أو الكذب ونحوه .

وفيها الإرشاد إلى حفظ الحقوق بالاشهاد والكتابة والزهر إذا احتيج إليه في سفر أو غيره وإن نصاب الشهادة في المعاملات كلها من عقود وسوحي وثبوت وشروط وإبراء ونحوها رحلان مرضيان إن أمكن ، وإلا فرحل واحد وامرأتان ، وثبت في السنة قول شهادة الواحد مع عين صاحب الحق .

وفيها أن شهادة المساق والمجهولين غير مقبولة ، وأن الاعتبار بمن يرضاه الناس ويعتبرونه . وفيها أن شهادة المرأتين تقوم مقام شهادة الرجل لكامل حفظ الرجل وقوة ذاكرته ، كما أنه عليه بقوله ( أن فصل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى )

وفيها دلالة أن من نسي شهادة فتذكرها ، أو ذكرها فتذكرها أن شهادته صحيحة . وفيه أنه لا يحل أن يشهد إلا بما علمه وتيقنه ، فإن شك فيه لم يحل له أن يشهد .

وفيها بيان الحكمة العظيمة في هذه الارشادات من الرب في حفظ المعاملات ، وأن ذلك صلاح للعباد في معاملاتهم ؛ وأن تكون حارية على قسط ، أي أنها تقضي الخصومات والمصارعات وتبهيء الذمم وتمنع الظلم من طمع ، ولهذا قال ( ذلكم أوسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى أن لا ترتبوا ) فكم حصل بهذه الوثائق التي أرشد الله إليها من مصالح عظيمة ، وكم اندفع بها من مفاسد وشروط كثيرة ، فسبحان من جعل شرعه صلاحاً لدين العباد ودنياهم

وفيها أن التجارة الحاضرة لا بأس بترك كتابتها لكون التبايض يضي غالباً عن ذلك ، ولشفقة



كثرة ذلك ، وأما الشهادة فلا يسمى تركها خصوصاً في الأمور المهمة ، وقوله ( ولا يصار كاتب ولا شهيد ) يحتمل أنه منى للعامل أو للمعول ، والمعنى يشمل الأمرين ، فالكاتب والشهيد يجب عليه أن يعدل في كتابته وشهادته ، ولا يحل له أن يمس مع أحدهما لعرض من أغراضه ، ولا يصارعه مأخذه أخرى لا يحل له على شهادته . أو يماطل في شهادته وكتابته مماطلته نصرهما أو أحدهما ، وكذلك العاملان لا يحل أن يصارا الكاتب والشهيد بأن يكامده ما لا يطيقه ، أو يتصرر به ، لأن الشاهد والكاتب محضان ، حقه أن يشكر على ذلك ، فيصارتهم تدعى ذلك . وفيها أن تسمى الكتابة من الأمور المحبوبة لله . وأنه نعمة من الله على من علمه الله الكتابة من شكر هذه النعمة - أن لا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله .

ويستعد من المعنى المقصود أن الله شرع هذه الأمور حفظاً للحقوق أنه يسمى تسمى كتابة الوثائق والاصطلاحات الحارمة بين الناس في المعاملات ، حتى يكون الكاتب بهذه الصفة التي يحرر فيها معاملات فيستقيم الناس بحفظ حقوقهم ، فلا يكتفى بمجرد الكتابة من غير معرفة بهذه الأمور ، كما أنه لا بد أن يكون لكاتب معتبراً ثقة لحصول الاعتماد على كتابته والطبعية اليقينية . ويستعد من هذا أن الخط المعروف صاحبه وثقته أنه معتبر معول به ليتم المقصود من الكتابة في حياة الكاتب وبعد موته .

وفيها وجوب أداء الشهادة ونعمتها على من تحملها ، وإن كان الشهادة من كائنات الذنوب وكما أن شهادة الزور بأن يشهد بنبوت ما ليس بشئ ، أو بالبراءة من الحق الثابت وهو كاذب من أكبر الكبائر ، وكذلك السكوت عن أداء الشهادة ، وكلا الأمرين طلم لصاحب الحق بتعويت حقه ، وطلم أيضاً للنفس بوقوع الائم ، وطلم للعالم لأعاقبه على الائم والمدوان

وفيها مشروعية الوثائق بالحقوق ، وهي أربعة : الشهادة والرهن - كما هو مذكور في هذا الموضع - والصين والكتابة . يؤخذ من الاعتبار على هذا المعنى ، ومن قوله ( وأنا به رعيم ) أي كفيل وضامن ، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه ، وتقييد الرهن بالسعر لا يدل على أنه لا يكون رهن في الحصر ، من قيد لأجل الحاجة اليه لعدم الكاتب غالباً .

وفيها نبوت الولاية على القاصرين . الجنون أو صغر أو سفه . لقوله ( فان كان صغيراً أو صعيماً أو لا يستطيع أن يحل هو ممثل وليه العدل ) فأقامه في التصرفات في ماله ، مقام المالك الرسيد وعليه أن يرض في أموالهم ما هو الأصح ، قال تعالى ( ولا تبرؤا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ) ولا يدفع اليهم حتى يرشدوا ، ويعرف ذلك بالاختبار والتجربة كما قال تعالى ( واتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا السكاح ، فان آمنتم منهم رشدوا فادفعوا اليهم أموالهم )

وفيها في قوله ( ولا يصار كاتب ولا شهيد ) من الفوائد التسمية على أن كل من فعل احساناً

• معروفاً أن عليه أن يتمه ويكمل بالتسليم والتسليم وعدم المصدة ، وأن يحسب على الناس أن يشكروا لهم معروفهم وأن لا يكفؤهم الضرر والمثقة حراً لهم على احسانهم وترعياً في الاحسان ويستند بقوله تعالى ( واتقوا الله ويعلمكم الله ) أن تقوى الله وسيلة إلى حصول العلم ، كما أن العلم سبب للتقوى . وأوضح من هذا قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إن تحقوا الله يجعل لكم فرقاناً ) أي تمساً تفرقون به بين الحق والباطل . وبين الحقائق المحتاج اليها .

وبها أنه كما أنه من العلوم النافعة تعليم الأمور الدينية المتعلقة بالمعاملات والمعاملات . فمنه أيضاً تعليم الأمور الدنيوية المتعلقة بالمعاملات . قال الله حمد على المداور دينهم وديارهم ، وكتبته العظم فيه تبيان كل شيء .

وبها أنه يجوز التعامل بمير وثيقة ، بل بمجرد الاستنار لقوله « فان آمن بعضهم ببعض فليؤد الذي ائتمس أمانته » ولكي في هذه الحل تتوقف الثقة على التقوى والخوف من الله ولا فساد صاحب الحق محطراً ، فهذا وعط الله من عبده الحق أن يؤدي أمانته ، ويؤخذ من هذا أن من عاهدك ورسي بأمانتك ووثق فيك أنه قد فعل معك معروفاً ودارك موضع الثقة والأمانة ، فيثابرك عليك اداء الأمانة من الجهتين ، اداء لخلق الله ووفاء بحق من وثق فيك ومكافأة له .

### ( فصل )

قال الله تعالى ﴿ إِنْ خِفَرْتَ مِنْ أَسَاحَرَتِ الْقَوَى الْأَمِينِ ﴾ وقال يوسف ﴿ احمسي على حرث الأرض إني خفيط عليم ﴾

يؤخذ من هاتين الآيتين أنه ينبغي أن يتحذر في الاجارات والمعاملات والأمانات والولايات كلها . - كبرية كانت أو صغيرة - من جمع اوصفين . القوة على ذلك العمل ، والكفاءة والحفظ وتوابع ذلك من جميع ما تقوم به الأعمال . والأمر الثاني الأمانة ، فالأمانة تتم به الثقة ويعلم بصحة وبدله الواجب ، وبالكفاءة والقوة يحصل العمل ويتم ويتقن ، فان وجد الخادم للوصفين على وجه الكمال فيستملك ممره والا اكتفى بالأمن فلا يش ، ونقص الأعمال كلها من الاحلال بأوصفين أو أحدهم .

### ( فصل في آيات الموارث )

قال الله تعالى ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين . إني قوله - تلك حدود الله ، ومن يضر الله ورسوله بدخلة حبت ﴾ الآية والتي في آخر السورة « يستعفونك » قال الله يعيتكم في السكالة » إلى آخرها .

تضمنت هذه الآيات الكريمات أحكام الموارث في عاية النيران والتعصيب والايصح وفي عاية الحكمة ، فتوصيته للعاد بأولاده من كمال رحمة وعنديته ، وأنه أرحم بهم من والديهم ، ولذلك وصى ابراهيم بالاولاد ، فالاولاد عند والده وصايا من الله ومأنت عدهم على الوالدين أن يربوهم تربية نافعة لدينهم وديهم . قال فعلوا فقد قاموا بيده الامانة ، ولا فقد صيموها وباءوا بانهم وحسبها . فذكر الله ميراث الاولاد ، وإن لم يمت ثلاث حالات . إما أن يجتمع الذكور والاناث جميعاً يتقاسمون اموال أو ما نعت المفروض على عدد رؤوسهم ( للذكر مثل حظ الانثيين ) سواء كانوا اولاد صلب أو اولاد ابن ويؤخذ من هذا

الحالة الثانية ان يكون الاولاد ذكوراً فقط ، فلهم بقضاهمونه متساوين ، ومن ارتفعت درجته حسب من دونه من الاولاد إذا كان الرضيع من الذكور .

الحالة الثالثة . إذا كن إناثاً ، فإن كانت واحدة فلها النصف . سواء كانت بنت صاب أو بنت ابن ، وإن كانتا اثنتين فأكثر فلهما الثلثان ، ومن الحكمة في الآية قوله ( فوق اثنتين ) التيسير على أنه لا يزيد الرض وهو النشأ بزيادة ابن على اثنتين . كما زاد فرض النصف ما صرن أكثر من واحدة ، وقد نص الله على أن الأختين فرضهما الثلثان ، فاعتد من باب أولى وأحرى فإن كان لثلاث بنات صلب لم يبق لسات الابن شيء ، وحذر المصنف بعد فرض البنات للنصف ، وإن كانت اعالية واحدة أحدث النصف ، وبقي الثلثين وهو السدس لبنت أو بنات الابن .

هذا ميراث الاولاد قد استوعبته الآية استيعاباً ، وقد علم من ذلك أن لغة الولد يشمل الذكر والانثى من اولاد الصلب واولاد الابن وإن نزل ، وأما اولاد البنت فلا يدخلون في اطلاق اسم الاولاد في الموارث .

ثم ذكر الله ميراث الأبوين الأم والاب . جعل الله للأم سداً وثناً ، جعل لها السدس مع وجود أحد من الاولاد مطلقاً ، مفردين أو متعددين . اولاد صلب أو اولاد ابن ، وكذلك جعل لها السدس بوجود جميع من الاحوة والأخوات اثنتين فأكثر . وجعل لها الثلث إذا فقد الشرطان المذكوران .

وتمتت الآية في روج نور روحه وأبوين وابن . به يؤخذ من قوله ( وورثته ثواب ) إذا كان معها أحد ابوين حررت عنهما فلا يمكن له ثمت كامل ، أو يقال إن الله أضاف الميراث للأبوين . وهو الاب والام . فيكون له ثمت ما ورثته الأيزان ، ويكون ما يأخذه الزوج أو الزوجة بمنزلة ما يأخذه العريم . فافقه أعلم .

وإذا الأب بعد فرض الله له السدس مع وجود أحد من الاولاد . قال كان الاولاد ذكوراً

لم يرد الأب على السدس وصر الأب ، أحق بالتدبير من الأب بالتعصيب بالإجماع  
 وإن كان الأولاد إنثاء واحدة أو متعدداً ، فرض له السدس وليس أولاد الفرض ، وإن بقي  
 شيء فهو لأولى رجل ، وهو الأب هنا ؛ لأنه أقرب من الإخوة والبنين ومن الأعمام والبنين ، فجمع  
 له في هذه الحال بين الميراث والتعصيب ، وإن استعرفت الميراث الحركة ، لم يبق للأب زيادة عن  
 السدس ، كما لو خلف أبوين وأختين ؛ فلكل واحد من الأبوين سدس ، وللأختين الثلثان  
 ومفهوم الآية الكريمة أنه إذا لم يكن أولاد ذكور ولا بنات ، أن الأب يرث بصير تقدير ،  
 من بالعصب ، بأن يأخذ المال كله إذا انفرد ، أو ما أبقت الفروض إن كان معه أصحاب فروض ،  
 وهو إجماع ، وحكم الحد حكم الأب في هذه الأحكام إلا في العريتين ، فإن الأم ترث ثلث كاملاً  
 مع الجدة ، وأما ميراث السدس عند عدم الأم فهو في النكاح .  
 ثم ذكر الله ميراث الزوجين ، وإن أرواح به نصف ما تركت روحته إن يكن له ولد ،  
 وإن كان له ولد فله الربع ، وإن أرواح واحدة أو متعددت لها أربع ما تركت روحه إن يكن له  
 ولد ، فإن كان للزوج ولد من غيرها ذكر أو أنثى ، ولد صلب أو ولد ابن ، فله أو  
 لمن الثمن . .

ثم ذكر الله ميراث الإخوة من الأم ، ونسبهم لأبوتهم إلا إذا كانت الورثة ثلاثة ليس بهم  
 أحد من الزوجين ولا الأب والجدة ، فلو أحد من الإخوة من الأم أو الأخوات السدس ، وللأختين  
 فأكثر الثلث ، يستوي فيه ذكرهم ونسبهم ، وهذه الميراث كلها ذكر الله إياها من بعد الوصية  
 إذا حصل الإيصاء ، ومن بعد الدين ، وقد نعى النبي ﷺ أن الدين قبل الوصية . وقد اتفق  
 العلماء على ذلك ، وشرط الله في الوصية أن لا تكون على وجه نصبة موروثة ، فإن كانت كذلك  
 فإنها وصية يمين ويجب تعديها ورد الفرض بواقعها .

وأخبر تعالى أن هذه التقديرات والمراتب حدود الله قدرها وحددها ، فلا يجوز تجاوزها ،  
 ولا زيادة فيها ، وإقتصاف ، بأن تعطي وارث فوق حقه ، ويحرم وارث أو ينقص من حقه .  
 ثم ذكر في آخر السورة ميراث الإخوة عيرتهم وأخواتهم من الأبني أو حده له النصف ،  
 وللأختين فأكثر الثلثان ، وإن احتمع رجال ونساء ، فذكر مثل حظ الأنثيين ، ويقال فيهم كما  
 يقال في الأولاد إذا كانوا ذكراً تساووا إذا كانوا أنثى أو لأب ، فإن وجد هؤلاء هؤلاء  
 حجب الأنثى الإخوة الأب . وإن كان نساء شقيقات وأخوات لأب واستغرق الشقيقات الثلثين  
 لم يبق للأخوات للأب شيء ، فإن كانت الشقيقة واحدة أخت لأمها وأخت لأخت لأب  
 أم الأخوات السدس نكحة الثلثين

وما سوى هذه الفروض من ائورثة من حرة لعير أم وبنيهم وأعمام وبنيهم وولاء يسحقون في قوله عليه السلام في حديث ابن عباس الصحيح : الحقوا الفرائض بأهلها في بقى فهو لأولى رجل ذكر . رواه مسلم ، فيقسم لاحوة ثم بنوهم ثم الأعمام ثم بنوهم ثم الولاء ، ويقدم منهم الأقرب منزلة ، فان استوت منزلتهم قدم الأقوى وهو الشقيق على الذي لأب . والله أعلم .

### (فصول تتعلق بالنكاح وتوابعه من الأحكام)

قال الله تعالى ﴿ وإن حتم أن لا تقسطوا في اليتامى فاسكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان حتم أن لا تفعلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك ذنن أن لا تفعلوا ، وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، من طاب لكم عن شيء منه فافعلوه هيئاً مريضاً )

من أسرى على عاده بالنكاح فدرأ وأباحه شرعاً بل أحبه ورصيه وحث عليه لما يقرب عليه من المصالح الكثيرة ، رتب عليه أحكاماً كثيرة وحقوقاً متنوعة تدور كلها على الصلاح وإصلاح الأحوال لروحاني ودفع الضرر وإفساد ، وهي من محاسن الشريعة ، والشريعة كلها بحسن وحسن لمصالح ودرا للمفسد ، يقول تعالى هذا ( وإن حتم أن لا تقسطوا ) أي تقوموا بحق النساء اليتامى اللاتي تحت حمورك وولائكم لهنم بحسبكم ، يعني فاعدلوا إلي غيرهن ( واسكحوا ما طاب لكم من النساء ) أي يدعى أن تتخاروا منهن الطيبات في أنفسهن اللاتي تطيب لكم الحياة بالانصاف بين الجماعات بين والحب والعقل والآداب الحسنة وغير ذلك من الأوصاف الداعية للنكاح وفي هذه الآية الحث على الاختيار قبل انعطافه ، وأنه يدعى أن لا يتزوج إلا اجماعة للصدقات المقصودة بالنكاح ، فان النكاح يقصد لأموال كثيرة من أهمها كدعة البيت والعائلة وحسن التدبير وحسن التربية : وأهم همه هذا النوع الدين والعقل .

ويقصد به احصاء المهر والسرور في الحياة . وعمدة هذا حسن الأخلاق الطاهرة وحسن الخلق الساطعة .

ويقصد به تحابة الأولاد وشرهم : وأساسه الحسب والنسب الرقيق ، ولهذا أباح الشرع بل أمر بالمطهر لمن يحطمها ليكون على بصيرة من أمره ( مثنى وثلاث ورباع ) أي من أحب أن يتزوج اثنتين فليفعل ، أو ثلاثاً أو أربعاً فليفعل ، ولا يزيد على الأربع ، لأن الآية سيمت للامتثال فلا يجوز الزيادة على غير ما معي الله ، إحصاءاً ، وذلك أن الرجل قد لا تدفع شهوته بالواحدة أو لا يحصل مقصوده أو مقاصده بها ، كما قدم أن النكاح له عدة مقاصد ، فلها أباح الله له هذا العدد ، لأن في الأربع غنية لكل أحد إلا ما نذر ، ومع هذا فإذا حاق من نفسه الجور والظلم بالزيادة على الواحدة فيقتصر على الواحدة أو على ثلاث بمنتهى التي لا يجب عليه لها قسم كالتزويجات ( ذلك ) أي

الافتقار على واحدة من الزوجات . أو ما ملكك الجيب ، أدنى من لا تعملوا أى تطلبوا وتحمروا ويستعاض من هذا المعنى أن تعرض العبد للأمر الذى يحذف منه الجور وانظم وعده القيام بالواجب ، ولو كان مساحاً لا ينفى له أن يتعرض له ، بل يلزم السعة والعافية ، فإن العافية خير ما أعطى العبد ، ولما كان كثير من الناس يطمعون النساء ويهيمونهن حقوقهن ، وخصوصاً الصداق الذى يكون شيئاً كثيراً دفعة واحدة يشق عليهن ، فنه على إبقاء النساء صدقاتهن ، أى مهرهن (تحفظ) أى عن حال طأئنة وطيب نفس ، من غير مغل ولا يحس منه شيئاً

وفيه أن المهر للمرأة ، وأنه يدعم اليها أو إلى وكيلها إن كانت رشيقة ، أو إلى وليها إن لم تكن رشيقة ، وأنها تملكه فالحقد لأنه أخاها اليها وأمر باعطائه لها ، وذلك يقتضى الملك (قال طبر لم عن نبي ، منه ) أى من الصداق (نفساً) بامسح شئ . منه أو تأخيرها أو المحابة فى التوصل عنه (فكلوه هيناً مريئاً) لا نعمة عليكم فيه ولا حرج ، وهذا دليل على أن للمرأة الرشيدة التصرف فى مالها ، ولو بالتبرع ، وأنه ليس لوليها من الصداق شئ . إلا ما طابت نفسها به إذا كانت رشيقة ، وببوحه من الأمر بملك . طالب من النساء تحريم ملك الحبيبة التى لا يحل للمسلم نكاحها ، وهى الكافرة غير المكتوبة . وكذلك الآية حتى تنوبك كفى لله على التنتين .

وفى هذه الآية دليل على أنه لا بد فى النكاح من صدق ، وأنه يجوز فى الكثير واليسير العموم . وأنه لا بد لأحد أن يتزوج بدون صداق ، وإن لم يسم مهر المثل ، إلا أنى بسم الله فإن له ذلك خاصة ، كما قال معنى ( وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ) وفى قوله ( ولا يصبرهن أن ينكحن أزواجهن ) دليل على اعتبار الولي فى النكاح ، وهو الصاهر ويقدم منه الأقرب فالأقرب ، وإن تعدد أولى القريب والعميد لعمه أو جهن أو شقيقة طويلة . وهما كما قدمه الولي ، وإن تعدد والى كزولى من لا ولى لها من النساء .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كره ولا يصبرهن لتهبنوا بعض ما نيتهنوهن إلا أن يأتين بفحشة مبينة . وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً إلى قوله . ميتة عليهما )

كان أهل الجاهلية إذا مات أحدكم ورثت زوجته عنه كورث منه ، ورأى فيه كآخيه وابن عمه أنه أحق بها من نفسها ويحجرها عن غيره ، فإن رضى بها تزوجها على غير صداق أو على صداق يحبه هو دونها ، وإن لم يرض به أجبا عضلها ومنعها من الأزواج إلا بموضع من الزوج أو



منها ، وكان منها أيضاً من يعزل روحه التي هي في جسده فيمنعهم من حقوقها ، ومن الوصفة لهم لتقتدى منه ، فهي الله المؤمنين عن هذه الأحوال القبيحة الحادثة ( إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ) كالزنا والكلام الفاحش وأذيتها لروحها ومن يتصل به ، فيحور في هذه الحال أن يعصب مقابلة لها على فعلها لتقتدى منه ، فإن هذا الاقتداء بحق لا نظير له قال ( وعاشروهن بالمعروف ) وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية ، فعلى الروح أن يعاش روحه سبل النعمة والكسوة والمسكن اللائق بحاله ونصحبها صحة حميدة مكف الأذى وبذل الاحسان وحسن المعاملة والتخلق ، وأن لا يعطها بجهنم ، وهي كه لك عليها ما عنده من العشرة ، وكل ذلك يتبع العرف في كل زمان ومكان وحال ما يليق به ، قال تعالى ( ليسبق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فليفق مما آتاه الله لا يكاف الله نفساً إلا ما آتاه ) وقوله ( فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيهما خيراً كثيراً ) أي يسعى لكم يا مشر الأرواح أن تمسكوا روحانكم ولو كرهتموهن فإن في ذلك خيراً كثيراً .

منها امتثال أمر الله ورسوله الذي فيه سعادة الدنيى والآخرة ومنها أن إحصاره نفسه ومجدهته إياها مع عدم محبة روحه تحرير على التحلق بالأخلاق الجميلة وربما رالت الكراهة وحلفتها المحبة ، وربما رالت الأسباب التي كرهها لأجلها وربما ررق منها ولداً صالحاً نفع الله به والدنيى والآخرة ، ولا بد لهذه الكراهة من أسباب من الزوجة ، فينبغى إذا كره منها حلقاً لحظ قيمة أخلاقها ، وما فيها من المقاصد الأخرى ، ويجعل هذا في مقابلة هذا ، وهذا عنوان الانصاف والرأى الأصيل ، فإن التزق الطائش الذي ليس عنده انصاف يلاحظ بعض أغراضه النفسية ، فإذا لم يأت على ما يريد أهمل المحاسن والمناقب الأخرى ، وهذا لا يكاد يصح له حل في حياته ، لا روحه ولا صاحب ولا حبيب ، بل هو سريع التقلب أما الرجل الحارص القوى الركي ، فإنه يوازن بين الأمور ويقدر الحق السابق ويبقى ما سوابق ويكون نظره للمحاسن أرجح من نظره للمساوى .

فإن وصل إلى الدرجة العالية التي لا يصل إليها الأفراد من كس الرجل حمل المحاسن نصب غيبه وأعصى عن المساوى بالكفاية ، وعنى عنها الله ولحق صاحب الحق ، وهذا قد كس الأجر والراحة والخلق الذي لا يلحق ، وذلك فصل الله يؤتية من يشاء ، وهذا الصبر المأمور به إنما هو مع الامكان ، فإن كان لا بد من الفراق ، ولم يبق للصبر والامساك موضع ، فأنه قد أتاح الفراق ، فلها قال ( وإن أردتم استبدال روح مكان روح ) أي فلا حرج عليكم ، ولكن إذا آتيت إحداهن أى الزوجة السابقة أو اللاحقة ( قنطاراً ) وهو المال الكثير فلا تأخذوا منه شيئاً ، بل وفروا لمن

ولا تصنعون ، وهذا يدل على حوار إعطاء النساء من المهور وغيرها المال الكثير ، وأنها بذلك تملكه ، والسكن الأكل والأصل التناهل في المهور اقتداء بالنبي ﷺ وتسهيلاً للنكاح ولطرقه وبراعة للدم ، ثم ذكر الحكمة في تحريم أحد الزوج ما عَصَهُ لزوجته ، فقال ( أناحدونه بهتاناً وإثماً ميتاً وكيف تأحدونه وقد أقضى بكم إلى بعض وأحسن منكم ميتاً غيبطاً ) وبين ذلك أن الأثى قبل عقد النكاح محرمة على الزوج ، وهي لم ترض بهذا الحل إلا بالمد والميثاق العليط الذي عقد على ذلك العوض المشروط ، فإذا دخل عليها وبأشرها وأقضى اليها وأفصت اليه وبأشرها المباشرة التي كانت قبل هذه الأمور حراماً فقد استوى العوض ، فثبت عليه العوض تاماً ، فكيف يستوفى المعوض ثم يرجع على العوض ؟ لا ريب أن هذا من المنكرات القبيحة شرعاً وعقلاً وقصرة .

« ولا تكسوا ما نكح آبائكم من النساء » ثم عدد المحرمات إلى أن قال « وأحل لكم ما وراء ذلكم »

قد استوفى الدرر المحرمات في النكاح في هذه الآيات في السب والرضاع والمصاهرة . أما المحرمات بالمصاهرة ؛ فإذا تزوج الرجل امرأة ترتب على هذا الزواج أربعة أحكام تحريم هذه الزوجة على أولاده وإن زلوا بسا ورضعاً وتحريمها على آبائه وإن علوا بسا ورضعاً وحرمت عليه أمها في الحال ؛ وأما بنتها فإن كان قد دخل بروحته حرمت أبساً وصارت ربيبة لا فرق بين بنتها من زوج سابق له أو من زوج خلفه عليها .

وأما المحرمات بالنسب فتحرم الأمهات ، ومن كل أنثى لها عليك ولادة ، وهي التي تحطم بالأم والجدة وإن علت من كل جهة وتحرم السنت ، ومن كل أنثى تحطم بالابوة أو بالجدوة من بنات الأب وبنات السات وإن نزلن ، وتحرم الأخوات شقيقات كن أو لآب و لأم ، وبنات الأخوة وبنات الأخوات مطلقاً ، وتحرم العمات والخالات ، ومن كل أخت لأحد كأمك وإن علا أو أحد أمهاتك وإن علون . وما سوى ذلك من الأقارب حلال ، كدست الأعمام وبنات العمات وبنات الأخوال وبنات الخالات ، ولهذا ذكر الله هذا الحل والتحريم أهم في موضعين ؛ في هذا الموضع صرح بالمحرمات السبع وقال ( وأحل لكم ما وراء ذلكم ) وفي سورة الأحراب أتى بها بأسور آخر فقال في الحل ( وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ) أي فمن حلال ومن عداهن من الأقارب حرام .

وأما المحرمات بالرضاع فلهن نظائر المحرمات بالنسب من جهة المصصة وصاحب اللبن ، فالمصصة أم للرضيع ، وأمها بنتا جداته ، وإخوتها وأخواتها أخواله وحالاته ، وأولادها وإخوته وأخواته ، وهو عم لأولادهم أو خال ، وكذلك صاحب اللبن .

وأما الانتشار من جهة الطفل الرضيع فلا يمتدح التحريم لأحد من أقاربه إلا لندبته فقط ،

وتقييده الآية في اربعة بقوله ( الا ترى حوركم من نسائكم ) دون لأغلب حواها ، ولبيان  
أعلى حكمة تناسب حكمة التحريم ، وأنب إذا كانت في حرك مخزلة نائك لا يليق إلا أن تكون  
من محارمك .

وتقييده الآخر بقوله ( وحلائل أممكم الذين من أصلانكم ) بجر - ابن النبي لا يخرج ابن  
اربع في قول جمهور العلماء ( والمحصات من النساء ) في دوات الواح - فكل أنثى في عصمة  
زوج أو في قية عدته لا تحل لغيره ، لأن الأنساء ليست محل شتر الك ، بل قصد تمييزها عنه ،  
ولهذا شرعت العدة والاستبراء ونحو ذلك .

وقوله ( إلا ما ملكتم أيماكم ) المراد بهذا الملك ملك السبي إذا سبيت المرأة ذات الروح  
من الكفرة في القتال اشترعى حلت للمسلمين ، ولكن بعد الاستبراء ، والعدة ، وفروجهما الحرب أي  
في دار الحرب لا يبق له فيها حق ولا له حرمة ، فهذا حلت للمسلمين كما حل لهم ماله ودمه ، لأنه  
ليس له عهد ولا مهادنة .

وقوله ( وأحل لكم ما وراء ذلكم ) أي ما سوى ما نص الله على تحريمه سبع بالسبع وسبع  
بالرمح ورجم بالصهر ، فما عداهن فانه حلال ، لأنه حرمة تعالى جمع بين الاثنين ، وحرمة النبي  
التي جمع بين المرأة وعملها ، وحرمة على الأحرار مكاتب - سمعك - فيه من إرميق بولد ، وما  
فيه من اللدنة والصرر المأثم للأولاد لشرع الملك وتعلات الأرقاء ، سكي إذا رجحت مصححة  
الاباحة فقد أباحه الله بشرط المشقة لحاجة متعة أو خدمة ، وأن لا يتدر على الطول للحرمة ، وأن  
تكون الأمة مؤمنة بادن لها ، بعد احتياج هذه الشروط كلها يحل الحر مكاتب الأمة .

وقوله ( والرجال قوامون على النساء بما فصل الله مذهبهم على بعض ) وبما أمثوا من أموالهم  
فالمصالحات فانتت حافظات للمعيب بما حفظ الله ، والآخر تحبون بشورهن ومعصوهن وأهروهن في  
المصالح وأصربوهن - فإن أطعكم فلا تنفوا عليهن سبيلا ، إن الله كان علياً كبيراً ﴿

هذا خبر وأمر ، أي الرجال قوامون على النساء في أمور الدين والدنيا ، يلزمونهم بحقوق الله  
والمحبة على ورائه ، ويحكمون من جميع المعاصي والنفساء ، وتنقويهن بالأحلاق الحميدة  
والآداب الطيبة ، وقوامون أيضاً عيس بواجباتهن من العفة والكسوة والمسكن وتوانع ذلك .  
( بما فصل الله مذهبهم على بعض وبما أمثوا من أموالهم ) أي ذلك بسبب فصل الرجال - مسلمين  
ومصالحهم عليهن ، فتفصيل الرجال على النساء من وجوه متعددة : من كون أوليات كل محترمة  
بالرجال والسوة والرسالة ، وما يخصهم بالجهاد السني ووجوب الجماعة والجمعة ونحو ذلك ، وبما  
تبررون به عن النساء من العقل وريانة والحفظ والصبر والخلد والقوة التي ليست للنساء ، وكذلك

بده هي لعيب غيب بالعبث المتبوعة : من وكثير من لعبت الآخر وشرع الحيرية ، فلحال يصحون لئسا بذلك كما هو مذهب ، ولهذا جحد متعلق في قوله ( وبما أفتوا من مواهب ) ليس على هذا التعميم . فليس من ذلك أن الرجل كالواي واليد على امرئته . وهي عنه سيرة حسنة تحت أمره وطاعته ، فليثق الله في أمرها ، وليقوم تقوى بعبه في دينه وديار ، وفي بينه وبينه .  
يعد ثمرات ذلك عسلا وآخلا ، وإلا يعمل فلا يلومن إلا نفسه ، وهن قسما :

قسم من أعلى طمعت النساء وحير ما حذر الرجال . وهن المدكورات في قوله ( فالصاحبة فانت حاصصة للعيب بما حفظ الله ) أي مطيعات لله ولأرواحهن . قد أدت الحنين وفارت بكملين من الثواب ، حاصصة أنفسهن من جميع الريب . وحاصصة لأمانتهن ورعاية سونهن . وحاصصة لله ثله بالترية حسنة والادب النافع في الدين والدنيا . وعبرن بدل الجهد والاستعانة بالله على ذلك فاهم . قال ( بما حفظ الله ) أي داوحن لهذا الأمر الجليل فليحمدن الله على ذلك ، ويعلمن أن هذا من حفظه وتوقيفه وتيسيره لها ، فان من وكل إلى الله ، فليس إمارة بالوء ، ومن شاهد منة الله وتوكل على الله وبذل مقدور في الاعمال النافعة ، كماه الله ما أمهه ، وأصبح له أموره ، ويسر له الخير وأخراه على عوائده الجميلة .

والقسم الثاني : هن الطنقة البارلة من النساء ، وهن بعد السبق في كل خصلة ، اللاتي من سو ، أخلاقهن وقبح تزيتهن ترفع على زوجها ونعصيه في الأمور الواحدة والمستحبة . فأمر الله بتقويهن بالأهل والأهل ، فحسن ( واللاتي يحامون شوهرهن معطوهر ) أي يسو هن حكم الله ورسوله في وجوب حدة الأرواح ، ورغبوهن في ذلك ، يترتب عليه من الثواب ، وخوقوهن مصيبة الأرواح ، ودكروهن ما في ذلك من العقب ، وما يترتب عليه من قطع حقوقها وإراحة حجرها وصريب ، فان تقوى منوعط والتذكير بذلك المنعوب وحصل الانفاق الذي لا يشوبه مكدر ، فان لم يفسد التذكير هجر وهن في المصالح ، وأن لا يسام عندها ولا يشرها بجماع ولا غيره لعل الهجر يجمع فيها ، وذلك بمقدار ما يحصل به المقصود فقط ، فان قصد الهجر مع المهجور ودينه ، ليس المرض منه شدة ، النفس كما يعمل من لأرأى به إذا حالته روحته أو غيرها ، ولم يحصل منمودة ، هجر هجرأ مستمرا ، أي بقي متأثرا بذلك ، عاتبا على من لم يوانه على ما يحب ، ووصلت به الحزن إلى الحق الذي هو من الخصال الدائمة ، هذا ليس من الهجر الجميل الدفع ، وإنما هو من الحقد الصار بصاحبه ، الذي لا يحصل به تقويم ولا مصدحة ، فان مع الهجر للروحة وإلا انتقل إلى صريب ، صرنا حقيقا غير مرجح ، فرب حصل المقصود ورجحت إلى لطاعة وترك المصيبة ، عاد الروح إلى عشرتها احبيلة ، ولا سبيل به إلى غير ذلك من أدبها لأنها رجعت إلى الحق وهذا الدواء لكل عاص ومجرم بن الشرع رعبه إذا ترك إجماله عاد حقه الخالص والعام

كما في حق الثوب من الصيد وقطع الصريق وغيرها ، فكيف الزوج مع روحته  
وفي هذه الآية ونحوها قائمة ذممة ، وهي أنه ينبغي من عادلي الحق أن لا يذكر الأمور  
السالمة ، فإن ذلك أخرى للثبات على المطلوب ، فإن تذكر الأمور المصيبة وبما آثار الشر فانه كس  
المرض وعادت الحال إلى أشد من الأولى .

سبحان وإن ختم شقيق بينهما فانهما حكما من الله وحكما من أهل بيته يريدان إصلاحاً يوفق الله  
بينهما إن الله كان عليماً خبيراً

هذه حالة أخرى غير الحالة السابقة التي يمكن الزوج معالجتها ، وهذه إذا استنظر الشر بين  
الزوجين ، وبلغت الحال إلى الخصام وعدم الالتئام ، ولم يقع في ذلك وسط ولا كلام ( فاعتصموا  
بحكم من الله وحكم من أهله ) عدلين عاقلين يعرفان الحق والتفريق . ويعبر الأمور كما ينبغي ،  
فإن الحكم لا بد أن يتصف بهذه الأوصاف ، فيبحثان في الأسباب التي أدت بها إلى هذه الحال  
ويستلان كلامها ما يقع على صاحبه ، ويريلان ما يقدران عليه من المنة بترغيب الزوج في  
الأمر بالأغصاء عن الهومات واحتمال الرلات ، وارتداد الآخر إلى أوعده بالرجوع ، وارتداد كل  
منهما إلى الرضى والتمسك عن بعض حقه ، فكم حصل بهذا الصريق من نصح شيء كثير . وإن  
ممكنها إلقاء المتعصب على الساطل منهما بالحق فعلاً ، وهذا وجداً طريقاً إلى الإصلاح والائتلاف  
والمصالحة بينهما لم يصلحاً عنهما ، بما يتناول عن بعض الحقوق ، أو مدد مال أو غير ذلك . من  
تعدت الطرق كله ورأيا أن التفريق بينهما أصلح لتعدد الملائمة فرقا بينهما به تقتضيه أحد دعوى  
أو غير عوض ، ولا يشترط في هذا رضى الزوج ، لأن الله سبحانه حكيم لا يجهل . ومن مال  
إليهما وكيلان استرط في الصريق رضى الزوج ، ولكن هذا القول صعب ، ولحمة الذي لا تنطق  
بينهم ورحيمه على الآخر ( إن يريدان إصلاحاً يوفق الله بينهما ) أي سبب الرضى أيهم  
والكلام الأصيب وانعد الخليل أي بحسب القرب ويؤثر فيه ( إن الله كان عليماً ) والبر  
والعوازم مطلقاً على الحقيقة . من كان عليه وحكته شرح لك هذه الأحكام الخمسة التي هي الصريق  
الوحيد في القيام بالحقوق ( ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون )

ومن امرأة حوت من نعمه شوراً أو إغراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا  
واصلح خير ، وأحصرت الأنفس الشح ، وإن تحسبوا وتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً  
هذه حالة من أحوال الزوجين غير الأحوال السابقة لأن الخلقين لا يقفان حالة شدة الزوجية  
وحالة وقوع الخصام واستفارة الشر بينهما ، وهذه إذا كان الزوج هو الراغب عن روحته ، ما  
عدم محبة وإما طمعاً ، فأرشد الله في هذه الحال إلى الطريق الذي تستقيم به الأمور ، وهو طريق

الصلح من المرأة أو وليها ليعود الروح إلى الاستقامة ، بأن يسمح امرأة عن بعض حقها اللامع لروحها عن شرب البقاء معه . وأن يعود إلى مقصد السكاح أو يعصم ، كأن ترصى بعض البعثة أو الكسوة أو السكى ، أو تنفط حقها من العسر أو تهب يومها وليتها بروحها أو لعنرتها ياديه شئ امفأ على شئ ، من ذلك فلا حرج ولا بأس ؛ وهو أحسن من المعصاة في الحقوق المؤدية إلى الجفاء أو إلى الفراق ، ولهذا قال ( والصلح خير )

وهذا أصل عظيم في جميع الأشياء ، وخصوصاً في الحقوق المتنازع فيها أن الصلحة فيها خير من انتقاص كل منبه على حقه كله ، في الصلح من بقاء الالة والاتصاف بصفة الصلح ، وهو جئر بين السلبين في كل الأبواب - إلا صلح أهل حرام أو حرم حلالا -

وعلم أن كل حكم من الأحكام لا يتر ولا يكن إلا بوجود مقتضيه واستثناء موافقه ، من ذلك هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح ، فدك تعالى المقتضى لذلك فقال ( والصلح خير ) والتغير كل عقل بطله ويرسب فيه ، فإن كان مع ذلك قد أمر الله به وحث عليه ارد دأمن من طلب به ورسة فيه ، وذكر المذبح قوله ( وأحضر ألامس الشيخ ) أي حبلت العوس على الشيخ ، وهو الاستئثار والنفرد في الحقوق وسدده اربعة في بدل ما على الامس والحرص على الحق الذي به ، فالعوس بحمله على ذلك طعنا يأتى فينبغى لك أن تخرصوا على مع هذا الخلق الذي من موسم وتغايه وتطعيه وتندبوا به صده ، وهو السباحة بدل جميع الحقوق التي عليك والاتصاف ببعض الحق الذي لك والاعتصام عن التفسير ، فحق ومع لهذا الحق الطيب سهل عليه الصلح بينه وبين كل من يسه وببسه مبارعه ومعاملة ، ونهبت بصريق الموصله إلى المطلوب ، ومن لم يكن بهذا اء صفت تعسر صلح أو تعذر ، لأنه لا يرضيه إلا جميع ما له كاملا مكملًا ، ولا يهون عليه أن يؤدي ما عليه ، فإن كان خصمه مثله اشتد الأمر

ثم قال ( ومن تحموا وتفقوا ) أي تحسبوا في خدمة الحق ؛ والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه . ومن لم تكن تراه فانه يراه ؛ وتحسبوا إلى المحبة بين كل احسان مولى أو فعى ؛ وتفقوا الله بمن جميع المأمورات وترث جميع المنهات ، وتحسبوا بعض المأمورات وتفقوا بفرض المحذور ( من لله كان ، تعمور حيرا ) فيجربكم على قيمكم بالاحسان ويخوى ، أو على عده ذلك بالخراء بالعسل والعدل

﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، ولا تميزوا كل الميل فتدروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتفقوا فإن الله كان غفورا رحيما ﴾

يخبر تعالى أنه ليس في عدالة الارواح العدل لنام بين واحد منهم ، فإن العدل المأم هو على أن



يكون الله على الحب على سواء ، وإنه نفس على سواء . ويفتضى مع ذلك الإيثار الصادق والرغبة في مكارم الأخلاق للعمل بمقتضى ذلك ، وهذا متعذر غير ممكن ، فلذلك عذر الله الأرواح وعما عنهم عما لا يتقدرون عليه ، ولكنه أمرهم بالعدل الممكن فقال ( فلا تملوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ) أى لا تملوا إلى إحداها عن الأخرى ميلاً كثيراً ، بحيث لا تؤدبون حقوقهن الواجبة ، بل اعملوا مستصاعكم من العدل ، فالعفة والسكينة وانقسام في المبيت وانقراش ونحو ذلك مقدور ، فعليك العدل فيها بهن . بخلاف الحب والوطء وبوائيم ذلك . فالعبد لا يملك نفسه فعذره الله ، وقوله ( فتذروها كالمعلقة ) أى أن الزوج إذا مال عن روحه وزهد فيها ، ولم يقيم بحقوقها الواجبة ، وهى في حسنة أسيره عنده صارت كالمعلقة التى لا روح لها فتسرح ، ولادات روح يقوم بحقوقها ، وإن نسلخوا عنها يسكن وبين روحكم به حه من وجوه الصالح كما تقدم . ومجاهدة أنفسكم على فعل ما لا نهواكم ليس احتساباً وقياماً بحق الزوجة . وتسلخوا أيضاً في يسكن وبين الناس في تسارعهم به من الحقوق ، وتتقوا الله بامتثال أمره واحتساب نبيه ، فإن الله كان غفوراً رحيماً .

﴿ وإن يعرفنا نحن الله كلا من سمعته ، وكان الله واسماً حكيماً ﴾

يعنى إذا تعدد الاتعاق والالتصاف فلا بأس بالعرف . فقال ( وإن يعرفنا ) أى به سبحانه أو إطلاقاً أو حلق أو غير ذلك ( يعنى الله كلا ) من الزوجين ( من سمعته ) أى من فضله واحسانه العام لشامل ، فيغنى الزوج زوجة خير له منها ، ويعمها من فضله برقى من غير مرقه ، فإنها وإن نوهت أنه إذا فارقت روحها المعلق عيها قائم بمؤنتها بقطع عم الرزق ، وسوف يغنيها الله من فضله . فإن رزقها ليس على الزوج ولا على غيره . بل على الله كعمل انقائم الرزاق الخليقة كلها وخصوصاً من تعلق قلبه به وراحه راحاً قلبياً طامعاً في فضله كل وقت ، فإن الله عند من عبده به . ولعل الله يرفعها روحاً خيراً لها منه وأنعم ( وكان الله واسماً ) أى واسم الرحمة كثير الاحسان ( حكيماً ) في وصفه الأمور موصفاً

وإلى الآية تنبيه على أنه ينبغي للعبد أن يعلق راحه بالله وحده ، وأن الله إذا قدر له شيئاً من أسباب الرزق والراحة أن يحمد الله على ذلك ويسأله أن يشارك فيه له ، فإن انقطع أو تعذر ذلك السبب فلا يتشوش قلبه ، فإن هذا السبب من جملة أسباب لا تحصى لا يتوقف رزق العبد على ذلك السبب المميز ، بل يفتح له سداً غيره أحسن منه وأنعم ، وربما فتح له عدة أسباب فعليه في أحواله كلها أن يجعل فصوله والطعم في يده نصب عينية وقلة قلبه ، ويكثر من الدعاء المقرون بالرحاء ، فإن الله يقول على لسان نبيه « أما عند طن عبيدى فى أن طن فى حيراً لله ، وإن من فى شراً لله » وقال « انك ما دعوتى وروحوتى تغرت لك على ، كان منك ولا أبالى »

## فصل

قال الله تعالى في أحكام الطلاق والعدد ﴿الطلاق مرتان - أي قوله - وعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن من حيثين﴾ الآية

ذكر الله أحكام الطلاق كما ذكر أحكام السكاح والمحو في نفسه، أنه تعالى حدث بالروح على الصبر على روحته ما دام متمكناً من الصبر، وفي هذا ذكر الله أنه إذا كان لا بد له من الطلاق، فعليه أن يطلق روحته عنها، أي يستعصم عنها، وذلك أن إصنافاً مرة واحدة في صبر لم يحامها فيه أو يطلقها وهي حاسن قد تبين حملها، أو وهي آية أو صغيرة، لأنها في هذه الأحوال كلها ابتدئ بها مدة المدة الواضحة، في طلقها أكثر من واحدة، أو وهي حائض أو نساء، أو في طهر قد وطئ، فيه ولم يتبين حملها، أنه آثم متمدد لحود الله، وإذا طلقها هذا الطلاق المشرع عليه أن يراجعها ما دامت في العدة كما قال تعالى (ونعوا من حق: ذهب في ذلك إن أريدوا إصلاحاً) وسواء ربيت أو كرهت

وهذا الطلاق الذي يتمكن فيه المد من الرحمة، هو الطلاق بواحدة أي بتنين لا عوض، ومن صدها الطلقة الثالثة فلا تحل له حتى ينقضي عدتها ونكح روحاً غيره سكاح، رغبة لا كساح، تحيل، ويطلق رغبة في طلاقه وينقضي عدتها منه، فله أن ينكح بها، ونقطة شروط السكاح من ولى ومن الصداق وغيره، من طلق بموضع نفسه الطلاق أو التلويح أو العداء أو غيرها من الآلهة، بعد تباح الله هذا العداء عند أخوة، وهي التي نص عليه بقوله (ومن حنم أن لا يمينا حدود الله فلا جناح عليهما فيما اعتصمت به) وسواء كان العوض مبيعاً أو كساح مبيع الآلة، فإذا فارقتم حتى ما دام حيا، كان ذلك منه، ولم يكن به عدها رحمة إلا إذا سبب بنكاح جديد، وعند التراجع بين الزوجين إذا سبب كل منهما في الآخر، فيسبب الولى الأبي أن يعصمها ويعصم أن تراجع معها الأول، أو المدى فرقها، نعماً له أو مكراً به، وعصماً عنه، أو طلاقاً في بذل أو مدته، شيئاً من المال، وكل هذا لا يحل له أن يعصم، بل عليه أن يسبب في التأليف بين وبين روحه، وفي نفسه أن لا يعارض في ذلك، وإذا كان منهياً عن ذلك بعد الطلاق أو العداء ونحوهما، فكيف في مدته الأمر، ولكن بشرط أن يكون الروح ككفواً وترضى المرأة فيه.

وأما إذا تمها من زوج من ليس ككفواً لحي ديه أو غيره من الحسنة المعتبرة شرعاً فهو محس، لأن معها عاقبة سرها الحسن عليه، وهذا أحد الأسس في استقرار أولى امرأة

في السكح وفي قوله في الرحمة ( إن يريد احد (ح) وفي الله احد ) إن طأ أن يقيا حدود الله  
استشهدا الشرط في الرحمة والراحح ، والا فلا راحح ولا يتراحم للصرار والبقاء على غير ما يحبه  
الله وفي هذا أن الأفعال مسببة على مقاصدها . وأن الأمر الذي مقصد فيه الخير والصلاح لا بد أن  
يحمل الله فيه بركة ، كما أن الذي يقصد به سيرة ذميمة ولو مكن منه العبد فانه صير حاصر ويحشى أن  
تكون عواقبه دميمة

ويستمد من هذا معنى كلياً عاماً . وهو أنه ينبغي للعبد إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور  
مثل الأمور التي يرتب عليها حقوق كثيرة . ومن بولايات الكبر والصدار والأمور المهمة أن  
ينأى ويبتعد في نفسه وعادة أمره ، من رضى من معه قوة على ذلك ووثق بقيته بما فيها من  
الحقوق تعدم إيجاب متوكل على الله . ولا أحده واستمر سلامة عن الدخول في الأمور الخطيرة .  
وأمر تعالى الأرواح أن يمسكوا روحهم بمعروف أو يسرحوه بمعروف ، فإن أمسكها أمسكها  
بمشرة حسنة ، وإن سارها فليكن على وجه الشريعة بعد نية ، من غير معاضة ولا مشاعة ولا  
عداوات تقع بينه وبينها ، أو بينه وبين أهلها .

ومن التسريح بالمعروف أن يعطيه شيئاً من المال تتمتع به ويحضر به خاطرها ، وتذهب عن  
روحها شاكراً ، ولا يكون لهذا المراق على هذا الوجه إلا المواقف الطيبة لاطرفين .

ولما بين الدري هذه الأحكام الخفية غاية التبيين ، وكبر القصد به أن يطهر العبد ويعملوا  
بها ويقفوا عندها ولا يتحدروها ، فانه لم يترك شيئاً بل أرط بالمل والصدق والحق النافع والجد  
نهى عن اتخاذها هرواً أى لسايب ، وهو السحرى عليها وعدم الامتثال لواحد ، مثل المصاراة في  
الامساك والارسل أو كثرة الطلاق وجمع الثلاث ، وقال ( وادكروا نعمة الله عليكم ) عموماً  
باللح حمداً وثناء وبالقلب اعتراها وافراراً ، وبالاركان بأن يشتمن بيمينه على طاعته ، وحصولها  
ما أزل عليكم من لكسب والحكمة ، فإن في الكسب والسنة من بين الحق واهدى من الصلال  
وخلال من الحرام وجميع ما يحتاجه العباد في أمور دينهم وديارهم ما يوجب للمعاد أن يشكروا وشكراً  
كثيراً ويقوموا بحقه ويخصوا لأحكامه ، وحنم الآيات معلوم علمه تنبيه على أن أحكامه شرعية  
العليم الحكيم صالحة للعباد في كل زمان ومكان .

وقد ذكر عدة المفارقة بحسب الأحوال في كتابه ، فذكر أن المفارقة بطلاق إن كانت تخلص  
بإشكال ثلاثة قروء من صد وقوع الطلاق عليها ، وأن الأيسة والتي لم تحض لصعر ونحوه عنها  
ثلاثة شهر ، وأن المفارقة يموت روحها نرخص أربعة أشهر وعشرراً ، وأن الحامل من المفارقات  
في الحياة وبعد امات عنها بوضع الحمل .

وفي هذه العدد وتقديرها من الاسرار والحكم والمنافع للزوجه وغيرهم ما هو من آيات الله

للمؤمنين المنصحين ، وفي تعالى « يا أيها الذين آمنوا إذا سئلتهم المؤمنين ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن قد كن عليهن من بعد فتعسوهن فما تسوهن وسرحه عن سرحا حيلة ) في هذه الآية أن المرافقة في الحياة بطلاق ونحوه ليس بروحهم عليهم هذه دالة بدخول أو يخرج بها ، بل مجرد ما يظلم لها الزوج في الحال .

وفي هذا أن العدة تثبت بالدخول وكذلك الخطبة كما ثبت عن أحمد ، الراشد بن رضى الله عنه . ومعلوم الآية أن المرافقة بالموت تعتمد له الروحة المنفردة عنها ولو قبل الدخول . وكما يؤيد من مفهوم هذه الآية يؤيد من عموم قوله ، والذين يتوفون منكم ويذرون ، واحد ينص ( الآية

ومبني العدة من حقوق الروح تنكبه من الرحمة ولحفظ فراسه ومائه من الاحتلاط ، وحق لها أيضا ، فإن معتدة نوعا : نوع حامل لها العدة ، كل حال قال تعالى « وكن أولاب حمل فأبصروا سيدهن حتى يفسح حملهن » ونوع سرحا حيل . وهي أيضا نوعا : مرافقة بائنة بموت أو فسح أو حمل أو ثلاث أو عوض . فمؤلا ، كالم لا نفقة لها ولا كسوة ولا مسكن الاعلى وحقه المعروف والاحسان ، ومرافقة رجعة فما دامت في العدة فهي السفقة والكسوة وسكن وتوانعها على الروح وحكمها حكم الروحة التي في حاملها في كل حال الا في القسم فلا قسمه . لأن الله سمى بها لعلها في قوله « ونعولنهن أحق بردهن في ذلك » ولأنه أن به حسب إلى الروحية العدة رجعت وكبرت ما دامت في العدة .

وفي قوله « ولا يحل لمن أن يكتمن ما خلق الله في رحمهن » دليل على أنها على نفسها وقول قولا في وجود الحيض وانقطاعه لأنه توعدا بكتبان ذلك . وهو دليل على أن قولها معتبر وفي قوله « إذا سئلتهم المؤمنات ثم طلقتموهن » دليل على أنه لا يقع لطلاق الا بعد السك . وأن من علق طلاق سكا - امرئة لم يعتقد هذا المصنف ولم يقع عليه شيء . إذ نسكح ، لأن السك لا يراد به خلاف مقصوده . بخلاف تعيق علق المملوك للغير بمسكه به ، به صحيح ويعتق اذا مسكه . لأن تلك الرقيق يقصد به العتق . وهو مقصود شرعى صحيح .

وقوله ( فمنوهن ) فيه الامر بمتيع المرافقة « لطلاق من المسيس مطلق . وفي آية انقرة الامر بالمتيع اذا لم يسم لها مهر آفان معنى لها مهر آفانه يتصرف اذا طلقها قبل الدخول . ويكون نصف الصداق هو المنة كما قال تعالى ( لاحصا عليكم ان طلقتم الب ، ما لم تمسوهن أو تفرضا لها فريضة ، ومنوهن على موضع قدره وعلى المقتر قدره ما عاينهم وفحقا على المحسنين ، وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرستم لها فريضة فصنف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، وأن تعفو أقرب للتقوى ) بحث على العفو في هذا الموضع الخالص لنعمة وعظم موقعه ، وقال ( ولا تمسوا



وأما الظاهر فإن يحرم روحه ويحول له . أمت على كغيره أي ونحوه من ألفاظ التحريم  
المرجحة هذا قد أتى مكرراً من القول وروياً ، وكذب أعظم كذب إذ شبه من هي حلال  
من هي أعظم المحرمات وهي الآلهة ، ولهذا قال ( الذين يظهرون منكم من نسائهم ما هي أمهاتهم  
إلا أمهاتهم إلا الأثاني وندبهم ) ليقولوا مكرراً من القول وروياً ( ثم عرض التوبة فقال  
( وإن الله لعفو غفور ) ثم ذكر طريقه بالكفارة ، فأمر المظاهر أن يعتق رقبة من قبل أن يموت ،  
فإن لم يجد صام شهرين متتابعين من قبل المسيح نبياً ، فإن لم يستطع فطعم ستين مكيه ، فبعد  
هذه الكفارة تحول له الروح وتحل بيمينه ، وأما المؤمن فإن أروح دارمى روحه بالزنا ولم يكن  
له على ذلك أربعة شهود ولم تعترف له أقامت على الأفكار ، فعليه ما على من قذف المحصنات من  
حد ثمانين جلدة إلا أن يلاعنها ، وذلك بأن يشهد أربع مرات أنه لمن الصادقين في زمانه به من  
أرما ويقول في الخامسة داعياً على نفسه ، وأن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، حينئذ يترتب  
عليها الحد أو الحبس حتى تفر . إلا أن تقام له على يد أربع العدا ، بأن تقول أرما : أشهد  
بأنه به لمن الكاذبين في زمانه به من الزنا ، وتريد في الخامسة وأن غضب الله عليها إن كان من  
الصادقين ، فبعد ذلك يجعل الفراق الأبدى بينه وبينها .

والحكمة في تخصيص الروح بسقوط حد القذف عنه إذا لعن أن الزوج محتاج ، وربما كان  
مسلماً إلى ربه سبي ما يلحقه من أولاد غيره ولحقه واقتد فراشه . وأما القاذف إذا كان  
غير روح إذا قذف غيره بالزنا ، فإن الله قال في حقه ( والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة  
شهداء فاحذروهم فانهم جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون ، إلا الذين  
تابوا ) الآية .

## فصل في آيات الحدود

﴿ يا أيها الذين آمنوا صحتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر ﴾ إلى آخرها

يمن الله على عباده بأنه فرض عليهم القصاص في القتلى ، أي المساواة فيه ، وأن يقتل القاتل  
عمداً على الصفة التي قتل عليها المقتول ، إقامة للعدل بين الصاد ، وتوجيه الخطأ للموم المؤمنين  
فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم حتى أولياء القاتل ، حتى القاتل بنفسه ، اعانة ولي المقتول إذا  
طلب القصاص وتمكينه من القاتل ، وأنه لا يحل لهم أن يحملوا بينه وبين القاتل إذا تمت الشروط  
كما يفعل أهل الجاهلية ومن أشبههم من إهواء المخربين .

ثم فصل ذلك بقوله ( الحر بالحر ) يدل في مطلقها وفي منطوق قوله ( أن النفس بالنفس )



أن الذكور يقتل بالأنثى ، كما تقتل الأنثى بالذكر ، فيكون هذا المصنوع مقدماً على مفهوم قوله (الأنثى بالأنثى) مع دلالة صريح السمة الصحيحة في قتل النبي ﷺ اليهودي بالجزرية . وخرج من هذه العموم الأبوان وإن علوا فلا يقتلان بانولده لورود السنة بذلك ، مع أن في لفظ القصاص ما يدل على أنه ليس من المدل أن يقتل الوالد بولده ، ولأن ما في قلب الوالدين من الرحمة المانعة من صدور هذه الجريمة معها على ولدهما ما يحدث الشبهة ، إما أنه لا بد أن في عقلمها احتلالاً أو أدية شديدة أخرجته إلى قتل ولده ، ولم يخرج أن القتل عند محض .

وخرج من هذا العموم أن المسلم لا يقتل بالكافر لنسوت السمة بذلك ، مع أن الآية في خطاب مؤمنين خاصة ، وليس أيضاً من المدل أن يقتل ولي الله بمسبوه (والعمد بالعمد) ذكرراً كان أو أنثى تسوت قيمتهما أو اختلفت ، وذن مفهومها على أن الحر لا يقتل بالعمد لكونه -ير مساو له وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في العمد العدواني : وإن الدية بدل عنه ، فهذا قال (فن عسى له من أخيه شيء) أي عمداً ولي المقتول عن القتل إلى الدية ، وسد بعض الأولياء فانه يسقط القصاص وتجب الدية وتكون انخبة في العمود واختيار الدية إلى الولي ، فإذا عمده وجب على ولي المقتول أن يسمع القتال بالمعروف من غير أن يشق عليه ولا يحمله ما لا يصيق من يحسن الاقتصاص والطلب ولا يخرج ، وعلى القتال أداء اليه بأحسن من غير مطلق ولا نقص ولا اساءة فعنية أو قولية ، فمن حراء الاحسن اليه بالعمو لا الاحسن بحسن القصد ، وهذا مأثور به في كل ، ثبت في دهم الحسن للاسناد مأثور من له الحق بالانتساب بالمعروف ، ومن عليه الحق بالأداء بأحسن كما قال ﷺ « رحم الله عبداً سمحاً إذا قصص ، سمحاً إذا افتضى »

وفي قوله (عسى له من أخيه) نزيق وحث على العمو إلى الدية وأمكن من ذلك العمو محائاً ، وفي قوله (أخيه) دليل على أن القتال عمداً لا بكم ، لأن المراد بالاحوة هنا حوة الاسلام ، فلم يخرج بالقتل عنها ، ومن باب أولى سائر المعاصي التي هي دون القتل ، فان صاحب لا يكرم ولكمه يستحق العقاب ويتقص بذلك إيمانه إن لم يقب ، وإذا عفا وليه المقتول أو بعضه احتسب دمه القتل وصار معصوماً منه ومن غيره . فهذا قل (من اعتدى بعد ذلك) أي بعد العمو (فله عذاب أليم) أي في الآخرة ، وأما قتله وعدمه فيؤخذ مما تقدم لانه قتل مكافئ له فيجب قتله بذلك ، ثم بين تعالى حكته العظيمة في مشروعية اقتصاص قتل (والكم في القصاص حية) أي تمنع بذلك الدماء ، وتنفع به الأشقياء ، لأن من عرف أنه قد قتل قتل لا يكاد يصدر منه قتل وإذا رأى القتال معتولاً أخرج غير ذلك ، فهو كانت عموية القتل غير القتل لم يحصل من انكشاف الشر ما يحصل بالقتل ، وهكذا سائر الحدود الشرعية ويب من السكاية والارتجار ، يدل على حكمة الحكيم الممدد . ونكر الحياة لأفادة التعظيم

وب كان هذا الحكم لا يعرفه حقيقة المعرفة إلا أهل العموم الكاملة قال ( ولكن في  
التفصيص حياة فأولى الآداب لعلمكم تتقون ) وهذا يدل على أنه يجب من عباده أن يعلموا أحكامهم  
وعقولهم في تدبر ما في أحكامهم من الحكمة والمصالح الدالة على كماله وكان حكمته وحجته وعنده ورحمته  
الواسعة ، وإن من كل بهذا الوصف فقد استحق الثناء والمدح بأنه من قوى الآداب الذين وجه  
إليه الخطاب ، وكفى بذلك فصلاً وشرفاً ، وقوله ( لعلمكم تتقون ) وذلك أن من عرف ربه  
وعرف ما في دينه وشرعه من الأسرار العظيمة والحكم البديعة والآيات الرقيقة أوجب له أن  
يتقاد لأمر الله ويخضع لشرعه طاعة لله ولرسوله .

قوله ﴿ الراتية وإراني فاجلدوا كل واحد منهم مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله  
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عداهما طائفة من المؤمنين ﴾

هذا حد الراني - ير المختص من ذكر أو أنثى يجلد مائة جلدة ، حدات يؤمّه ونحوه ولا  
تهدم له ، ويتعين أن يكون ذلك علناً لا سراً بحيث يشهده طائفة من المؤمنين ، لأن إقامة الحدود  
من الضروريات لقمع أهل حرمة واشتعالهم هو الذي يخص به الردع والانهيار وأصغر شعائر  
الدين ، والاستدراك به أو على حد دون حد فيه مدسة كثيرة ، ووردت لسة تعريب علم كد من  
عن وطنه مع الخلد ، كما نزلت السنة وأجمع المسنون على وجه إراني المختص به حد بالحدرة حتى يوت  
﴿ والبرق والسارعة فاقطعوا أيديهما جراً ، أيا كسب سكراناً من الله ، والله عليم بحكمه ﴾

السارق هو من أخذ ما ليس له من غير المشورة بميرر ، وهو من كثر بدون التوجه بحد  
هذه العقوبة ، وهو أنه يجب قصع يده اليمنى إذا لم يرد به بعض الصلابة ، وإذا أفضت فهي  
المكف إلى الركوع فقط ، فإذا قصعت حسمت وحبس في رات أو ودك معنى سبب لفروق فيص  
الحد ، ولكن الله قيد محرمه ، الآية الكريمة بأمر كل ما ترجع إلى تحقيق السرقة بالأموال

فمنها لا بد أن يكون المسروق تصماً ، وهو ربع دينار أو ثلاثة دراهم أو ما يبدى ذلك  
ومنها لا بد أن يكون المأخوذ منه حرراً ، وحرز كل من منعه عنه عادة ، فلو سرق من من  
غير حرز فلا قطع عليه ، ويؤخذ هذا من لفظ البرق ، فإنه ليس بأحد المال على وجه لا يمكن  
التحرر منه ، فإن عاد السارق قطعت رجليه اليسرى ، وإن عاد ففيل تقطع يده اليسرى ، ثم إن عاد  
قطعت رجليه اليمنى ، وقيل يحبس حتى يموت . وورد في ذلك آثر عن أسلف محنفة .

وقوله ( حر ، أيا كسب ) من اتجرى على أموال الناس ( سكراناً من الله ) أي نهى عنه  
للسارق يبرئ دعوا إذا عدوا أنها يقطعون . وهذا تغير قوله في الفتا ( ولكن في التفصيص حد )  
والله ( عزير حكمه ) أي سر و حكمه ، قطع بحكمته بد البرق تكملاً للحد من ، حصلاً للأموال .

وقد ذكر الله قبل هذا حد فصاع عرب بين يدي في قوله ( يا أيها الذين آمنوا ) الذين يحاربون الله )  
الآية فقيل إن الأمان محرم بين هذه الأمور . وعنده أن بعض ما استثنى من المصحة ويحصل  
به السكينة ، وقيل إن هذه المصحة من باب الجرحية ، قل جمهور بين تمتل وأحد المال جمع  
هم بن القيس والنصب ، ومن قتلوا ولم يأخذوا مالا ، فقتلوا ولم يفتوا ، ومن أخذوا مالا ولم يفتوا  
قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف . ومن أخذوا الماشية ولم يأخذوا مالا ، فقتلوا ولم يفتوا ، فقتلوا  
فلا يتركون يأوون إلى بلد ، أو يحبسون كما قاله بعضهم .

فصل في الأيمان ونحوها

فإن الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تغرموا حياتكم من أجل الله لكم ولا تعمدوا على الله لا يحب المعتدين﴾ ، وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً ، واقفوا الله الذي تم به المؤمنين ، لا يؤاحدكم الله بالأمور أيكم ، إلا على يؤاحدكم : ستة الأقسام ، فكذلك ما أضاع بشرة ما يسكن من أوسط ما يصومون هيكاً أو كونه أو تحرير قفة ، من بعد عصيم ثلاثة أيام ، ذلك كسرة أيدكم ، حنف ، واحتصوا أيدكم ، كذا بين الله ، كذا آياته عليكم تشكرون ﴿

[illegible]

ودنت الآية كريمة أن احد يداحره حالاً عليه من جامع وشراب وكسوة واستعمال وسرية  
وتعود ذلك ، قال هذا التحريم منه لا يخرج ذلك الحلال . لكن إذا فعله فعليه كفارة يمين ، لأن التحريم  
يدين كما دل تعالى ( يا أيها الذين آمنوا ) تحريم من خل الله من نبي صلى الله عليه وآله وأروا وجوه والله تعالى  
قد فرض الله كفاية تدعى ( وهو أعلم في تحريم كل شيء ) إلا أن تحريمه بروحة يكون مظهراً فيه  
كثرة من الله تعالى .

وكما أنه ليس له أن يحلف على ترك الطيبات فليس له أن يمتنع من أكلها ولو بلا حلف تنسكا  
وعوا في الدين ؛ بل يتناولها مستعينا بها على طاعة ربه ( لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ) ويشمل  
هذا الايمان التي حلف بها من غير نية ولا قصد ، أو عقده . يطى صدق نفسه فإن بخلاف ذلك ،  
( ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ) أى بما عقدت عليه قلوبكم ، كما قال في الآية الأخرى  
( ولكن يؤاخذكم بما كذبت قلوبكم ) فإذا عقد العبد النية وحدث به بأن فعل ما حلف على تركه  
أو ترك ما حلف على فعله ، حيز في الكفارة بين اطعم عشرة مساكين من أوسط ما يطعمون  
أهلكم ، وذلك يختلف باختلاف الدس والأوقات والأمكنة ، أو كسوته به بعد كسوة ، وقيد  
ذلك بكسوة تجرى في الصلاة ، أو تحرير رقة مسير أو كبير ، ذكر أو أنثى ، بشرط أن تكون  
ارقة مؤمنة ، كما في الآية المتقدمة بالأيمان ، وأن تكون تلك الرقة سائمة من الميوت المصدرة  
بالعلم ، حتى كثر واحد من هذه الثلاث ألحقت بغيره

وهذا من نعمة الله على هذه الأمة أنه فرض لهم تحلة أيمانهم ورفع عنهم الأثام واحصوا ، فمن  
يحدو حداً من هذه الثلاثة فعليه صيام ثلاثة أيام ، نى مقتضاه مع الامكال ، كما فيس في قراءة  
بعض الصحابة ( واحفظوا أيمانكم ) عن أن تحموا باقة وأتم كادبون ، ومن كثرة الأيمان لأيمانها عند  
البيع والشراء ، واحفظوها إذا حلفت . عن الحدث فيها ، إلا إذا كان اخذت حيزاً من المصطفى فيم  
كما قال تعالى ( ولا تحموا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ) أى لا تفوتوا  
إسعاد حدماً على ترك البر وترك التقوى وترك الإصلاح بين الناس ، فتحموا أيمانكم ما علقكم  
من هذه الأمور التي يحبها الله ورسوله . من حثوا وكفروا واهموا ، ما هو خير وبر وقوى ،  
واحفظوا أيمانكم إذا حلفت وحيثما بالكفارة ، فإن لك رقة بها حد من ايمان ائمة الله تعالى  
المحذوف به ، فمن كان يحلف ويحث ولا يكفر ثم حلف بغيره ، ولا قد تعصم ربه ( كذبت بين  
الله لكم الآيات ) ائمة للحلال من الحرام الموصفة بالأحكام ( لعلكم تشكرون ) فعلى العباد أن  
يشكروا ربهم على نعمة الله عليهم لم ما لا يكونوا يعمدون ، فإن المدا نص الله به نعمة .

### فصل في آيات في الاطعمة ونحوها والصيود وتواضعها

قال الله تعالى ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً وقد فصل لكم ما حرم عليكم . الذى  
يتبعون ارسول النبى الاممى الذى يدعو به مكتوباً عهدهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف  
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، حرمت عليكم الميتة والدم ولحم  
الخنزير وما أهل بغير الله به والمحنته والموقوذة والميردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكركم ﴾  
لاية . وسعد . يا أولئك ماذا حالكم . قل أحل لكم الطيبات وحرم الله عليكم من الخواصر مكاسب

تعدون من ما عليكم الله ، فكلوا مما أمكن عليكم وادكروا اسم الله عليه ، ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه . قل لا أحد فيما أوحى إلى محمداً على طاعه يطعمه ، إلا أن يكون ميتة أو دماً مفوحاً أو لحم خنزير ، فانه دحس أو مستقأ هل لعير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فان الله غفور رحيم )

دلت هذه الآيات السكربت على أن الأصل في الأشياء الحل من طعمه وشراب وغيره ، لأن الله تعالى خلق ما في الأرض جميعاً لنتفع به بكل وجوه الانتفاعات . من أكل وشراب واستعمال . وفصل لنا ما حرم علينا ، فلم يذكر في الكتاب والسنة تحريمه فهو حلال ، وأباح لنا كل طيب ، وحرم علينا كل خبيث .

من أحداث المحرمة الميتة - سوى ميتة الجراد والسمك - وهي ما مات حتف أنفه أو دكى ذكاة غير شرعية - والده المسجوح كذا يدينه الآية الأخرى ، وأما الله الذي ينسب في اللحم والعروق بعد الذبح فانه طيب حلال ( ولحم الخنزير وما أهل لعير الله به ) بأن دبح لعير الله من أضواء أو ملائكة أو انس أو جن أو غيرها من المخلوقات .

ومن الخبائث كل دى نذ من السباع ، وكل ذى محب من الطير ، كصح بذلك الحديث عن النبي ﷺ .

ومن الميتة ( المسحقة ) أى التى سحق بالخير أو سيرها ، أو تحسق فتموت ( والموقودة ) وهى التى تصرف بالحصى أو بالصا حتى تموت . ومن هذا دأبى صيداً فأصاب السيد بمرصه فقتله ، ( والمتردية ) وهى التى تسقط من موضع عال كسطح وحمل فتموت ( والمطبوخة ) التى تسطحها غيرها فتموت بذلك ، وما أكله ذئب أو غيره من السباع ، وكل هذه المذكورات إذا لم تدرك ذكاتها فان أدركها حية فذكاها حلت . لقوله ( إلا ما دكىتم ) وسواء غلب على الطير قدوة أو تلتفه إذا لم يدك أم لا .

ومن المحرمات الحشرات وغطاش الأرض من فأرة وحية وورع ونحوه من المستحسنة شرعاً وطباً .

ومن المحرمات مأكلى ذكاة غير شرعية ، إما أن الذابح غير مسلم ولا كتابى ، وإما أن يذبها فى غير محل الذبح وهى مقدور عليه ، وإما أن لا يقطع حلقومها ومربب ، وإما أن يذبها بعير ما ينهر الدم أو يعظم أو طفر ، وما أمر الشارع بقتله أو نهى عن قتله ، دل على تحريمه وحشمه .

وكل هذه الأشياء تحرمها فى حال السمة ، وأما إذا اضطر إليها غير باغ لا كراه قبل أن يضطر ولا تمتد إلى الحرام ، وهو يقدر على الحلال ، فانه إذا اضطر إليها غير باغ ولا عاد فان الله غفور

رحيم . من رخصته ألباه المحرمات في حال الضرورة .

ومن رخصته وسع لماده طرق الحلال ، وأباح الصيد إذا جرح في أي موضع من بدنه ، وأباح صيد الدب ثم إذا انتهى إلى غده رميه . وأباح أيضا صيد الكلاب لمصلحة المعلمة والقبو المعمة والتعليم . يختلف باختلاف الحيوانات ، قال العلماء : يعلم كلب من يسهل من دونه ويتزجر إذا جرح وإذا أمسك لم يأكل من صيده لقوله ( وكذا ما منكم منكم ) والله عليم ) أي عند إرسالها لقصد الصيد .

### فصل في حرم مع الحكيم والقضايا في الأصول والفروع

قال الله تعالى ( وإن احكم بدينهم يدرك الله نصيباً من ذلك ) التحكم بين الناس . قال الله ، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط . قال تعالى شيء ، و قوله إن الله وإن كان حجة بين حبيبة في الأرض فاحكم بين الناس فاحق ولا تتبع الهوى فيضلل من سبيل الله . ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ، وثم تكلم بملك صدق وعدل .

الحكم بين الناس فاحق والقسط ، هو الحكم بأمر الله ، وهو الذي يرد إلى الله ورسوله ، قال هذه الآيات يصدق بعضهم بعد ، وتدل على أن الحق والعدل لا يخرج عما جاء به الرسول ، وإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام على الإطلاق ، أي أعظم وأقوى ، تسحبها وأحسنها للشرور . وأعظم أحكام توصل بها إلى تحصيل المصالح ودرء المفسدات ، وإن رد مسائل الفروع والاختلافات الدينية والدينية إلى الله والرسول خير من إحلال وأحسن عاقبة ، وإن حكمت الله تمت وكملت من كل وجه صدقاً في أخبارها ، عدلاً في أحكامها ، وأوامرها ونواهيها ، فكل مسألة خارجة عن العدل إلى الظلم ، وعن الإصلاح إلى الفساد ، فليست من الشرع ، وقد جاء شرع الله بحكم الأصول والفروع موافقاً للمعقول الصحيح والاعتدال والبيان العدل .

وقد حكم الله ورسوله بأحكام متنوعة متنوعة عن هذا الأصل العظيم ، وتفصيل المحملة ، حكم الله بأن قرار من علمه الحق معتبر في القبول والكثير ، كما تقدم تنبيه عليه في آية الدين وحكم بأن البيعة على المذعبي لأشد حق . أو مدعى براءة الدمة من الحقوق الشرعية ، وإن الذين على من نكر ، وهاتل القعدان عندهما مدار جمهور القضايا ، اعتدوا أقر من علمه الحق . إذا كان خير التصرف ، وتكيف المذعبيين كليه بالمدت .

وليس شرع الله جامع لكل ما بين الحق ، والبين من سبب بعضهم يصل إلى درجة البقين وبعض كالقرايين ، وشواهد الأحوال توصل إلى غلبة الظن . والترجيحات كثيرة جداً .



وعند تساوى الترجيحات ومقادير الأشياء وكمياتها بالتوسط بينها ، بما يقتضيه مساوية وحمل  
الريادة والقبض بحسب ذلك ، ولا بالقرعة إذا تصدرت القسمة ، ومن أحكام ذلك شرع العدالة في الدوء  
المعاملات الطائفة بالجدارة : كأشكال العود والعظم والمير على أحد المتعاملين بمير حق  
ومن أحكامه السكينة اعتماد الرأى بين المتعاملين في عقود المعاوضات وفي عقود التبرعات  
وأنه لا يحمل مال امرئ مسلم أو معاهد إلا بإعطي نفسه .

ومن أحكامه السكينة منع الضرر والاضرار بمير حق في كل معاملة وحيلة وحوار واتصال .  
ومن أحكامه السكينة أن على العمل تكميل أعماله بمير حق . وعلى من عمل لهم  
تكميل حورم

ومن أحكامه السكينة إيجابه الوفاء بالعقود والشروط التي يشترطها أحد المتعاقدين على الآخر  
في أبواب العقود كلها مما لكل منهما أو لأحدهما فيه مصلحة ، إلا بشرط أن يكون حراماً أو حرم  
حلالاً ، وهذا قد أهدره الشارع وألغاه وقيل : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .

ومن أحكامه السكينة اعتبار المقصد والنية في أبواب المعاملات والأعمال ، كما تعتبر في  
باب العداوات ، وبهذا الأصل نطق جميع أهل الحق بتوصل به إلى أصل محرم أو إسقاط حق  
مسلم ونحوها .

ومن أحكامه السكينة أن جميع العقود اللزامة والجدرة : عقود المصونة وعقود التبرع ،  
وكذلك الفسخ تنفذ بم دل عليها من الألفاظ التي يتعارفها المتعاقدان ، ومن الأعمال الدالة  
على ذلك .

ومن أحكامه السكينة أن تلف الشيء بدو العظام كالعاصب ونحوه فيه الضمان فمرد أو لم يفرد  
فإن ثبوت بدو على وجه الظاهر والعدوان ، وأن تلف الشيء تحت يد الأمين لا ضمان فيه إن لم  
يفرد أو يتعد .

ومن أحكامه السكينة أن الشيء المشكوك فيه يرجع فيه إلى اليقين في العداوات والمعاملات  
فمن ادعى الأصل فقولته مقبول ، ومن ادعى خلاف الأصل لم يقبل إلا بيمينه ، وأن الأصل بقاء  
ما كان على ما كان ، والأصل براءة الذمة حتى يتيقن اشتراطها ، كما أن الأصل بقاء ما كان ثابتاً  
في الذمة حتى يتيقن البراءة بوفاء أو إسقاط أو سقوط ، وأن الأصل في عقود المسلمين الصحة  
والسلامة حتى يفرض أنه جرى ما يفسدها .

ومن أحكامه السكينة أن جميع الأحكام من أصول ومروء لا تتم وتكمل ويحصل مقتضاها  
إلا بإجماع شروطها وأركانها ومقوماتها وانتفاء موانعها ومفاداتها .

ومن أحكامه السكينة وحوب المماثلة في المتاع والمصونات بمثلها ان أمكن المثل ، وبالقينة  
إن تغيب المثل .

وكذلك الأعمال ، فن عمل لميره عملاً يعوض لم يسم ، أو معنى نسبية طامسة ، أو حوت  
التسمية أو عاوضه معاوضة تعدد معرفة العوض فيها ، فإنه يرجع في ذلك إلى أجرة المثل  
وعوض المثل .

ومن أحكامه السكينة وحوب العدل بين الأولاد والروحات ، ووحوب العدل بين ذوي  
الحقوق الذين لا مزية له أحد منهم على الآخر ، كالقول انداخل على أهل المروض بالسوية ، وكقسمة  
العدل بين العرماء ، إذا لم يف بمحقوقهم يعطون على قدر حقوقهم ، إذا لم يكن لأحد منهم مزية رهن ونحوه  
وكاشتراك الملاك في الريدة المترتبة عليها على قدر أملاكهم ، والنقص على قدر أملاكهم إذا  
استراها نقص ، وسواء كان النقص بحق تعلق بها أو بتلف أو خسارة أو وقع طامساً فانهم يشتركون  
في الزيادة والنقص على قدر أملاكهم

ومن أحكامه السكينة اثبات الخيار في كل عقد طهر في العوض المبيع أو المعوض عيب ينقصه  
وأنه إذا لم يمكن الرد تعيين الارش واعطاء النقص ، وعلى الصحيح لا فرق بين السبوع وغيرها  
فان هذا من قاعدة العدل

ومن أحكامه السكينة حل المجهول كالمدموم ، وبدرج نحت هذا الأصل الاموال التي جبن  
ملاكها أنه يتصدق بها عنهم أو تبدل في المصالح بزيادة عنهم ، وتملك القطعة ومن مات لا وارث له  
فرض ولا تعصيب ولا ربح تركته في بيت المال للمصالح العامة جملها للمجهول في ذلك كالمدموم  
ومن أحكامه السكينة الرجوع الى العرف إذا تعدد التبيين شرعاً ولفظاً ، كالرجوع للعرف  
في فئة الزوجات والاقارب والاجراء ، وكالشروط العرفية في المعاملات إذا اطردت بين الناس  
وكالتبض والخرز ونحوها مما لا يمد ولا ينقص

ومن أحكامه السكينة أن الأصل في المبادات الخطر ، فلا يشرع منها الا ما شرعه الله  
ورسوله ، والأصل في المعاملات والاستعمالات كلها الاباحة ، فلا يحرم منها الا ما حرمه الله ورسوله  
وعلى هذا جميع أحكام العادات والمعاملات وغيرها مما لا يمكن احصاؤه ، ولهذا من شرع في عبادة  
لم تقل عن اشرار فهو متدفع ، ومن حرم من العادات شيئاً لم يرد عن الشارع فهو متدفع

ومن أحكامه السكينة حثه على الصلح والاصلاح بين من بينهما حقوق ، وخصوصاً عند اشتدادها  
أو عيبها ناكراً ، وإذا تعدد استيفاء الحق كله أو قسره ، فقد شرع في ذلك كله الصلح بالعدل  
وسنوك الحالة المدسة لتلك القضية بما تقتضيه الحال ، وفيه من القوائم والخبرات الطبيعية لا يمد ولا ينقص

ومن أحكامه الكلية اعتبار العدالة في الشهود وأن يكونوا ممن يرضى من الشهداء ، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، فالشارع اعتبر شهادة العدل المرضى من الشهداء وأستفاد شهادة الكاذب والمغذوف من التوبة ، وأمر بالشبهة في خبر العاسق وكذلك المجهول ، لأنه اعتبر المرضى العدل عند الناس ، فلا بد من تحقيق هذا الوصف ، وأما عدد الشهود ونصابها فذلك يختلف باختلاف المشهود به كما فصله أهل العلم .

ومن أحكامه الكلية أن من سبق إلى صاح فهو أحق به ، فدخل في هذا السبق إلى الجوس في المسجد والأسواق والأقضية ، ويدخل فيه السبق إلى النزول في المساكن والأوقاف التي لا تقف على نظر تاجر ، ويدخل في ذلك السبق إلى المساحات من الصيد البرية والبحرية وإلى ما يستخرج من البحار والمعادن ، وإلى الاحتش والاحتطاب وغير ذلك ، وإلى أحياء الموت وغيره من المسائل المتنوعة الداخلة في هذا الأصل .

ومن أحكامه الكلية قبول قول الأمام على ما في أيديهم ، ثم عليه أولياءه من قبل الشارع أو قبل المالك بالوكالة أو الوصاية أو الطهارة للأوقاف ، فكل هؤلاء مقبول قولهم فيما يدعونته من داخل وخارج ومصرف ونحوه إذا كان ذلك ممكناً ، وهذا معنى تأمينهم وتوليهم وولائهم . واعلم أن قبول قول هؤلاء في هذه الأمور لا يمنع محاسنتهم ، وطالب أوقوف على كيفية تلك المصروف الداخلية والخارجية ، وتبيين وجه القصد والتلف ونحو ذلك . ليستظهر بذلك على صدقهم وكذبهم . وأما تمكينهم من اطلاق سراحهم بمحبة أنهم أماء مقبول قولهم ، فهذا غلط على الشريعة وعلى الحقيقة ، فالشارع حاسب عماله واستدرك عليهم ، والحقيقة والأوقاف عليه مطلوب اتفاق أهل الاعتبار ، فكيف من أمين ظهرت خيانتة يقيماً حين استدرك عليه .

ومن أحكامه الكلية أن الواجب يسقط بالحر عنه بالكلية ، وأنه إذا قدر على بعض الواجب وحب عليه ما يقدر عليه منه ، وسقط عنه ما يسحر عنه ، وهذا مطرد في العادات والحقوق الواجبة وغيرها ، كما أن الضرورة تبيح المحظور وتقدر قدرها .

ومن أحكامه الكلية أنه أقام الله مقام مداه في أحكام العادات والمعاملات والحقوق وغيرها ، ففتى كل الشيء يدل ونعذر الأصل ، وم هذا مقامة . وحكم له بأحكامه ، وأن التمس تابع للأصل .

ومن أحكامه الكلية أن من وحب عليه أمر من الأمور فإنه يحبر عليه بحق . وأن من أنفق شيئاً لدفع أذى له دفعاً عن نفسه ، فلا ضمان عليه ، فإن أنفقه للانصاع به ضمه . وأن ما ترتب على المأذون فيه من تلف فقهر مضمون ، وما ترتب على غير المأذون به مضمون .

ومن أحكامه الكامية أن الاستثناءات والقيود والأوصاف المدخلة بالألفاظ تعتبر وتقيّد الكلام  
ويرتبط به بشرط الانفصال قطعاً أو حكماً ، ويدخل في هذا ألفاظ العقود والفسوخ والتوقف والوصايا  
والعتق والطلاق والأيمان والقرارات وغيرها

ومن أحكامه الكامية أن الشراكاة في الأملاك والمنافع يدرمون بكل ما يعود إلى حصول المنافع  
الضرورية ودفع الضرر ، ويحرم المتعنع منها من ذلك من المنصرفات والنفقات والعمرائب التي تباحق  
الأملاك هم فيها شركاء على كل منهم بقدر حلكه

ومن أحكامه الكامية أن المباشر لا تلاف الأموال أو المنسحب بذلك ضمان لها ، متعمداً كان  
أو سهياً أو جاهلاً ، وأنه إذا احتجع المباشر والمنسحب كان الضمان على المباشر إلا إن تعذر تعميمه  
تقدر أو امتناع أو عسر أو نحوه ، فيحال الضمان على المنسحب بغير حق

ومنها أن من أدى عن غيره ديناً واحداً بنية الرجوع ، فإنه يرجع ولو لم يأت له في ذلك

ومنها أن الوصف في الشيء الذي بيد الغير ، وذلك الغير لا يدرسه لنفسه بينة

ومنها أن من جعل شيئاً قبل أوامره على وجه محرم عوف بحرمة

ومن أحكامه الكامية أنه إذا تراحت المصالح هذه الألفاظ ، وإن تراحت المفسدات وكن  
لابد من فعل أحدها ارتكب الأخف منها يدفع لأشد مفسدة ، وعلى هذا من مسائل الفقه مالا  
يعد ولا يحصى ، لأن الشارع شرع الشريعة لتحقيق المصالح وتكليفها وتوقيف المفسدات وتعميدها  
بحسب الامكان

ومنها أن اصلاق التشريك في الوصايا والمهبات والقرارات وإيقاع العقود والفسوخ على الأسماء  
وغير ذلك ، كل ذلك يقتضي المساواة بين من شارك بينهما في شيء من ذلك ، إلا إن دل دليل  
على المعاملة بينهما ، وكذلك في الأشياء المشبهة التي يعامل بها هؤلاء الأشخاص ، ولا يعامل بمقدار  
مال كل فأنهم يتوون فيها ، وأدلة هذه الأصول من الكتاب والسنة طاهرة ، وهي أصول جامعة  
عظيمة المفع ، ينتفع بها الحاكم والملتزم والعمد ، وهي من محسن الشريعة ومن كبر البراهين  
على أن محمداً به الرسول حق من عند الله بحكم الأصول متنسب لبروع عدل في معانيه تدع للحكم  
والصلاح في معانيه ، فليقتصر على هذه القواعد بدعورها تبع لها ، وهي تمنى من غيرها ولا يفنى  
عنها سواها . والله أعلم

## (فصول)

حفظ في ذكر ما قص الله علينا في كتابه من أخبار الأنبياء مع أقوامهم

قد قص الله علينا في كتابه قصصاً طيبة من أخبار أنبيائه ، ووصفها بأنها أحسن القصص . وهذا الوصف من الله العظيم يدل على أنها أصدقها وأتمها ، وأنها العدد ، فمن أهم ما فهمه القاص أن يربى الله ويكسب الإيمان بالأنبياء صلى الله عليه وسلم ، فاب وبن كما مؤمنين بجميع الأنبياء على وجه العموم والخاص ، فالإيمان التفصيلي استمداد من مصدبه ، وما وصفه الله به من الصدق الكامل والأوصاف الكاملة التي هي أعلى الأوصاف ، وما لم يزل من الفضل والبر والاحسان على جميع أنواع الأنس ، بل وصل احسانه إلى جميع الحيوانات بما أنه هو الحكيم في الاعتناء بها والقيام بحفظها ، فهذا الإيمان التفصيلي بالأنبياء يصل به لمد إلى الإيمان الكامل ، وهو من مواد زيادة الإيمان .

من ذلك أن في قصصهم تقرير الإيمان بالله وتوحيده واحسان العمل له والإيمان باليوم الآخر وبين حسن التوحيد ووجوبه ، وفتح الشك وأنه سبب الخلل في الدنيا والآخرة .

وفي قصصهم أيضاً عبرة للمؤمنين يقتدون بهم في جميع مقامات الدين في مقام التوحيد والقيام بمعبودية وفي مقامات الدعوة والتبليغ والتمسك بجميع المبادئ المقتضية ، ومعدله ذلك ناطقاً بينة والسكون والثبت التام . وفي مقدمه الصدق والاحسان لله في جميع الحركات والسكنات واحسان الآخر والثواب من الله تعالى ، لا يظنون من الخلق أحراً ولا حراً ولا شكوراً إلا الأمور الدفنة للحق .

وفيها أيضاً عبرة لعاقبهم على دين واحد وأصول واحدة ودعوة إلى كل خلق حميل وعمل صالح وإصلاح ، ودرجهم عن كل ما يضاد ذلك .

وفيها أيضاً من الموائد الفقهية والاحكام الشرعية والاسرار الحكيمة شيء عظيم لا غنى لكل طالب علم عنها .

وفيها أيضاً من الوعظ والتذكير والترغيب والترهيب والفرح بعد الشدة وتيسير الأمور بعد تعسرها وحسن العواقب المشاهدة في هذه الدار ، وحسن الثناء والخمسة في هرب الخلق ما فيه راد لمعتق وسرور للعابدين وسوة للمحرومين ومواعظ للمؤمنين ، وليس المقصود من قصصهم أن تكون فقط سمرّاً ، وإنما العرض الأعظم منها أن تكون تذكيراً وعبيراً .

واعلم قبل الشروع فيها أن كثيراً من قصصهم صلوات الله وسلامه عليهم أعادها الله في كتابه مرات عديدة بأاليب مختلفة مقاماتها . وإنما يكون في موضع منها ما ليس في مواضع

الأخر من الريادات والسموات . - و يأتي بها بالفاظ غير ألفاظ القصة الأخرى والمعاني متفقة أو متفاربة ، فعلى حسب أن هذا التعليق مختصر سوف آتى بهذه القصص وأجمع القصة في موضع واحد وأحرص على ما دلت عليه ألفاظ الكتاب من سبقهم من أولها إلى آخرها ، وأتبع كل قصة بـ . يفتح الله به من الفوائد الأصولية والمروعية والأخلاق والآداب والمواضيع المتنوعة ، راحياً من الله أن يوفقني بذلك للصواب المعطى والاحلاص السطى وموافقة رصاه ، وأن يحسن بذلك النعم العالم انه جواد كريم

### فصل في قصة آدم أبي البشر عليه الصلاة والسلام

لم ير الله أولاً ليس فيه شيء . - ولم ير فعلاً لما يريد ، ولا حلاً وقت من الأوقات من أعمال وأقوان تصدر عن مشيئته وإرادته بحسب ما تقتضيه حكمة الله أسى هو حكيم في كل ما قدره وقصاه ، كما هو حكيم في كل ما شرعه لعباده ، ولم تقتض الحكمة الشاملة والعلم المحيط من الله والرحمة السانقة خلق آدم أبي البشر الذين فصلهم الله على كثير من خلقه تفصيلاً ، أعلم الملائكة وقال ( إني جاعل في الأرض خليفة ) يخلف من كان قبلهم من المخلوقات التي لا يعلمها إلا هو ( قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ) وهذا منهم تعطيل لربهم وإحلال له عن أنه ربما يخلق مخلوقاً يشبه أخلق المخلوقات الأولى ، أو أن الله تعالى أحيرهم بخلق آدم وبما يكون من محرمي دريته ، قال الله لملائكته ( إني أعلم ما لا تعلمون ) فانه محيط علمه بكل شيء ، وبما يترتب على هذا المخلوق من المنافع والمضار التي لا تعد ولا تحصى .

ففرهم تعالى نفسه كمال علمه ، وأنه يجب الاعتراف لله بسعة العلم والحكمة التي من جملتها أنه لا يخلق شيئاً عبثاً ولا لغبر حكمة ، ثم بين لهم على وجه التفصيل ، مخدع بيده تشريراً له على جميع المخلوقات ، قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها وطيبها وحيثها ليكون النسل على هذه لطائف ، وكان تراً أولاً ثم ألقى عليه الماء فصار طيباً ، ثم ما صارت مدة فده الماء على الطين تغير ذلك الطين فصار حملاً مسوداً ، طيباً أسود ثم أبغى به بعداً صورته فصار كالعجور الذي له صلصلة وفي هذه الاطوار هو حسد بلا روح ، ولم تكامل خلق حسده مع فيه اروح فاقطب ذلك الجسد الذي كان حملاً حيواناً له عظام ولحم وأصاب وعروق وروح هي حقيقة الانسان ، وأعده الله لكل علم وحير ، ثم أتم عليه النعمة ، فعلمه أسماء الأشياء كلها .

والعلم القام يستدعي الكمال انعام ، وكمال الاخلاق ، فأراد الله أن يرى ملائكته كمال هذا الخلق فعرض هذه المسميات على ملائكته وقال لهم ( أقبضوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ) في مسمون كلامهم الأول الذي منتهى من ترث خلقه أولاً ، هذا بحسب ما يدورهم في تلك الحال .

فجرت الملائكة عليه السلام عن معرفة أسماء هذه المسميات وقالوا ( سجدوا لآدم لا علم لنا إلا ما علمت أنت المعبود الحكيم ) قال الله ( يا آدم أثبتهم بأسمائهم فلو أنبأهم بأسمائهم ) شاهد الملائكة من كان هذا الخلق وعنده ما لم يكن لهم في حساب ، وعرفوا بذلك على وجه التفصيل والمثابرة كمال حكمة الله ، وعظموا آدم غاية التعظيم ، فأراد الله أن يظهر هذا التعظيم والاحترام لآدم من الملائكة طاهراً وناطئاً ، فقال للملائكة ( اسجدوا لآدم ) احتراماً له وتوقيراً ونحلاً وعبادة مسكماً لربكم وطاعة ومحبة ودلاً ، فبادروا كلهم سجوداً ، وكان إبليس بينهم ، وقد وجه إليه الأمر بالسجود معهم ، وكان من غير عصب للملائكة ، كان من الخلق المخلوقين من نار السموم ، وكان مضطراً للكفر بالله ، والحسد لهذا الإنسان الذي فصله هذا التفصيل ، فحمده كبره وكفره على الامتناع عن السجود لآدم كعراً بالله واستكباراً ، ولم يكن له الامتناع حتى يباح بالاعتراض على ربه والهدى في حكمته ، فقال ( أما خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين ) فقال الله له : ( يا إبليس ما منعك أن تسجد ما خلقت بيدى ؟ استكبرت أم كنت من العالين ) فكان هذا الكبر والاستكبار والاباء منه وشنه النعار هو السبب الوحيد أن يكون مطروداً ملعوناً ، فقال الله له ( فأخرج منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فأخرج إني من الصاغرين ) فلم يحصع الحديث لربه ولم ينب إليه ، بل بارزه بالعداوة وصمم التصميم التمام على عداوة آدم وذريته ، ووطئ نفسه لما علم أنه ختم عليه الشفاء الأبدي أن يدعو الذرية بقوة وعمله وجوده إلى أن يكونوا من حزنه الذين كتب لهم دار النوار فقال ( رب أنظرني إلى يوم يبعثون ) فيستفرغ لأعطاه العذابات حقها في آدم وذريته .

ولما كانت حكمة الله اقتضت أن يكون الآدمي مركباً من طوائف متباينة ، وأخلاقاً طيبة أو خبيثة ، وكان لابد من تمييز هذه الأخلاق ونصفيها بتقدير أسمائها من الابتلاء والامتحان الذي من أعطيه تمكين هذا العدو من دعوتهم إلى كل شر ، أجابه فقال ( ربك من المصيرين إلى يوم الوقت المعلوم ) فقال لربه معلوماً مصيبته وعداوته آدم وذريته ( بها أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لا يبينهم من بين يديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا نجد أكثرهم شاكرين ) قال إبليس هذه المقالة طمأنينة لأنه عرف ما حصل عليه الآدمي

( ولقد صدق عبيد إبليس طبعه فاستمعه لا فريقاً من المؤمنين ) فحكمه الله من الأمر الذي يريده إبليس في آدم وذريته ، فقال الله له ( اذهب من نفسك منهم فإن هم حزاؤك حزاً ، فوفاً واستغفر من استغفرت منهم تصونك ، واحلب عليهم بحبيلك ورحلك وشاركهم في الأموال والأولاد ) أي إن قدرت فحملهم منحرفين في تربية أولادهم إلى التريبة الصارة ، وفي صرف أموالهم المصارف الصارة وفي الكسب الصار ، وأيضا شارك منهم من إذا تناول طعاماً أو شرباً أو تسكحاً ولم يذكر



اسم الله على ذلك في الأموال والأولاد ، وعدم أي مرهم أن يكذبوا بالبعث والجزاء ، وأن لا يقدموا على حير ، وجوهم من أوليائك وحوصه عند الانفاق المانع بالنحشاء والمحل . وهذا من الله لحكم عظيمة وأسرار . وانت أيها العدو المبين لا تسق من مقدورك في إغواءهم شيئاً ، فانخليث منهم يظهر خسته ويتصح شره ، والله لا يسأله ولا يسأل به .

وأما خواص الدرية من الأبياء وأنساعهم من الصديقين والاصفياء وطلقات الأولياء والمؤمنين فإن الله تعالى لم يجعل لهذا العدو عبيد تسلط . بل أقره عليهم سوراً مبيهاً وهو حديثه وكفايته ورودهم سلاح لا يمكن عدوهم مقاومتهم تكامل الإيمان بالله وموتة توكلهم عليه . ( به ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ) ومع ذلك فأعانتهم على مقاومة هذا العدو المبين بأمور كثيرة أنزل عليهم كنهه المحتوية على العلوم البهية والمواعظ المؤثرة والترغيب في فعل الخيرات والترهيب من فعل الشرور . وأرسل اليه الرسل مبشرين . من آمن بالله وأطاعه عاشوا العسل ، ومبشرين من كفر وكذب وتولى ، بالقول المتشعبة . وضمن لمن اتبع هداه الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله أن لا يصل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، وأنه لا خوف عليه ولا حزن بعثه . وأرشدهم في كتبه وعلى أنسنة رسله إلى الأمور التي بها يحتمون من هذا العدو المبين ، وبين لهم ما يسعون إليه هذا الشيطان وطرقه التي يصطاد بها الخليفة .

وكما ينبغي لهم ووضحها فقد أرشدهم إلى الطرق التي يسعون بها من شره وفتنته وأعانتهم على ذلك بعبارة قدرية حارحة عن قدرته لأنهم لم يدروا المحمود واستهانوا بالمعصود ، سهل لهم كل طريق يوصل إلى المقصود .

ثم أن الله تعالى أتم نعمته على آدم فخلق منه روحه حواء من حسنه وعلى شكاكه ليسكن إليها وتم المقاصد المتعددة من الزواج والالتصام وسبب الدرية بذلك ، وقال له وروحته . إن الشيطان عدو لك فاحذره غاية الحذر ، فلا يحرككما من الجنة التي أسكنك الله إليها ، وأما حكمنا أن تأكل من جميع ثمرها وأن تمتصا بجميع لسانها إلا شجرة معينة في هذه الجنة حرمها عليهم فقال . ( ولا تأكل من هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ) وقال الله لأده في نعيمه بهذه الجنة ( إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانت لا تأذي فيها ولا تصحى ) فمكنا في الجنة ما شاء الله على هذا الوصف الذي ذكره الله وعدوهما يراقبهما ويراصدهما وينظر الفرصه فيها ، فما رأى سرور آدم بهذه الجنة ورغبته العظيمة في دواها ، حاده بطريق لطيف في صورة الصديق الناصح ، فقال يا آدم هل أدلك على شجرة إذا آكلت منها حدثت في هذه الجنة وداء لك الملك الذي لا يبلى ، فلم يزل يوسوس ويؤنس ويسول ويمد ويمحى ويلقى عليهما من المصائب الطاهرة ، وهي أكبر المش حتى عرهما فأكلتا من الشجرة التي نهاهما الله عنها وحرما عليهما ، فلما أكلتا منها بدت في سواتهما بعد ما كانا مستورين

وظفقا يخصمان على أنفسهما من أوراق تلك الجنة ، أى لثقتان على بدنها العارية ليكون مثل  
اللبس ، وسقط في أيديهما وطهرت في الحال عقوبة معصيتهما ، وناداهما ربهما ( ألم أنبأكم أن تمسكا  
الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ) فأوقع الله في قلوبهما التوبة التامة ولا تابة  
الصادقة ( وتلقى آدم من ربه كلمات ) وقال ( ربنا طعننا أنفسنا وإن لم نعفر لنا ونرحمنا سكون من  
الغاسرين ) فتاب الله عليهما وعفى الذنب الذى أصابا ، ولكن الأمر ابدى حذرهما الله منه ، وهو  
الخروج من هذه الجنة إن تناولوا منها ثمحاً ومضى ، فخرجاً منها إلى الأرض التى حشى حيرها بشرها  
وسرورها بكدرها .

وأحبرها الله أنه لا بد أن يبتليهما وذريرتهما ، وإن من آمن وعمل صالحاً كانت عاقبته خيراً  
من حالته الأولى ، ومن كذب وتولى قاهر أمره الشقاء الأبدى والصداب السرمدى ، وحذر الله  
النارية منه فقال ( يابنى آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبوبك من الجنة ينزع عنهما صهما ليريهما  
سواتهما ، إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ) وأبدلهم الله بذلك اللباس الذى نزع الشيطان  
من الأيوس لباس يوارى السوءات ، ويحصل به الحال الظاهر في الحياة ، ولبس أعلى من ذلك  
وهو لباس التقوى الذى هو لباس القلب والروح بالإيمان والاحلاص والادعة والتحلل بكل خلق  
جميل والتحلل عن كل خلق رذيل ، ثم بث الله من آده وروحه رحلاً كثيراً ونساء ، ونشرهم في  
الأرض واستغفهم فيها لينظر كيف يعملون .

فوائد مستبطة من هذه القصة أصولية وفروعية وأخلاق وآداب

فمن أن هذه القصة العظيمة ذكرها الله في كتابه في مواضع كثيرة صريحة لا ريب فيها ولا  
شك ، وهى من أعظم القصص التى انخفضت عليه الرسل ونزلت بها الكتب السبوية واعتقدها جميع أتباع  
الأنبياء من الأولين والآخرين ، حتى تمت في هذه الأزمان المتأخرة ورقة حبشة رائدة  
أنكروا جميع ما جاء به الرسل ، وأنكروا وجود الباري ولم يشبهوا من العلوم إلا العلوم الطبيعية  
التي وصلت اليها معارفهم القاصرة .

فبناء على هذا المذهب الذى هو أصل المذاهب عن الحقيقة شرعاً وعملاً أنكروا آدم وحواء  
وما ذكره الله ورسوله عنهما ، وادعوا أن هذا النفس كان حيواناً قرداً أو شبيهاً بالقرود حتى  
ارتقى إلى هذه الحال الموجودة ، وهؤلاء اعترفوا بمطرياتهم الخاطئة المبينة على طنون عقول من  
أصلها فاسدة ، وتركوا لأجلها جميع العلوم الصحيحة ، خصوصاً ما جاء به الرسل ، وصدق عليهم  
قوله تعالى ( فما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحلق بهم ما كانوا به يستهزئون )  
وهؤلاء أمرهم طاهر لجميع المسلمين ولجميع المتبعين وجود الباري ، يعطون أنهم أصل الطوائف ،

وكان تمسك على بعض المسلمين من هذا المذهب الدهري بعض الأئمة والبررة المسموعة على هذا القول ، إذ فسروا طائفة من العصريين معجود الملائكة لآدم أن معناه تسخير هذا العالم بآدميين وأن المواد الأصلية والمعدنية ونحوها قد سحرها الله للآدمي ، وأن هذا هو معنى معجود الملائكة ولا يسريب مؤمن بالله واليوم الآخر أن هذا مستمد من ذلك الرأي الأخر ، وأنه تحريف لكتاب الله ، لا فرق بينه وبين تحريف الناطية والقرمطة ، وأنه إذا أتت هذه القصة إلى هذا التأويل ووجه نصير هذا التحريف لغيره من قصص القرآن وانقلب القرآن بعد ما كان تبياناً لكل شيء وحديثاً ورحمة ربهم ، يمكن كل غدو بالإسلام أن يفعل به ، هذا العمل ، فيصدق بذلك القرآن وتعود هدايته اضلالاً ، ورحمته همة . سبحانه هذا بهتان عظيم .

والمؤمن في هذا الموضع يكفيه لا بد من هذا القول انما حدث أن يقول ما قصه الله علينا من قصة آدم ومعجود الملائكة ، فيعلم أن هذا منقول عن قصة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، ويرد حرقه أصحبه ونحوه له تعديرات وسود في بعض من يحسن من العمل ، فأنه من لا يترك يديه ولا كتاب ربه لمثل هذه الترويعات المفردة أو المخروجات أصحابها

ومنها نصيحة العلم وأن الملائكة ما تبين لهم فصل آدم بعمه عرفوا بذلك كله وأنه يستحق الاجلال والتوقير .

ومنها أن من من الله عليه بأمر عليه أن يعترف بعمه الله عليه ، وأن يقول كقائات الملائكة والبر من سبحانه لا علم إلا ما علم ، أن يتوقى التكلم بما لا يعلم ، فإن العلم أعظم المن وسكر هذه النعمة بالاعتراف لله بها والثناء عليه بتمايمها وتعليم الجهر ، ولوقوف على ما عمه العبد والسكوت عما لم يعلمه .

ومنها أن الله حصل هذه القصة لنا معتبراً ، وأن الحسد والكبر والحرص من أخطر الأخلاق على العبد ، فكبر ابليس وحده لآدم صيره في مآثرى ، وحرص آدم وروحه جنهما على تناول الشجرة ، ولو لا تدارك رحمة الله لهما لأودت بهما إلى الهلاك ، ولكن رحمة الله تكفل الناقص وتنجي الكبير وتنجي الهالك وترفع الساقط .

ومنها أنه ينبغي للعبد إذا وقع في ذنب أن يسارع إلى التوبة والاعتراف ، ويقول ما قاله الأولاد من قلب حاض وإبابة صدقة ، فما قص الله علينا صفة توبتهم إلا لتقديهم بها وفوز بالعبادة وسحر من الهلكة ، وكذلك ما أخبرنا بما قامه الشيطان من توعدها وعمره الأكيد على إوائنا بكل طريق إلا لئلا يستعد لهذا العدو الذي تظاهر هذه العداوة البينة المتأصلة ، والله يحب من أن تقومه بكل ما تقدر عليه من تجنب طرقه وحظواته وفعل الأسباب التي يحشى منها الوقوع في شكه ، ومن عمل الحصون من الأوراد الصحيحة والأدكار القسية والتمودات المشوعة ، ومن

الصلاح المهلك له من صدق الايمان وقوة التوكل على الله ومراحمته في أعمال الخير ومقاومة وسوسه  
والافكار الرديئة التي يدفع بها إلى القلب كل وقت بما يصادها ويصم من الموم بالدعوة  
والحقائق الصادقة

ومنها أن فيها دلالة مذهب أهل السنة والخمسة اثبتين لله ما اثبتته لنفسه من الأسماء الحسنى  
والصفات كلها ، لا فرق بين صفت الذات ولا بين صفت الأفعال  
ومنها اثبتت اليدين لله كما هو في قصة آده صريحاً ، لما خلقت يدي لله بدار حقيقة ، كما أن  
ذاته لا تشبهها الدوات ، فصفاة تعالى لا تشبهها الصفات

### ﴿ قصة نوح صلى الله عليه وسلم ﴾

«سكت البشر بعد آده فزواً طويلة وهم نمة واحدة على الهدى ، ثم احتسبوا ، وأدحت عليهم  
أشياء طين الشرور المسموعة بطرق كثيرة ، فكان قوم نوح قدس منهم أناس صالحون غرور منهم  
شامم الشيم ، فأمرهم أن يصوروا تماثيلهم لينجوا ، وليتذكروا به ، فحو لهم ، فكان هذا مستند  
الش ، فما هلك الذين صورهم لهذا معنى جاء من عدم وقد اصبح لهم ، فقال هم الشيطان .  
بن هؤلاء ، ودأ وسواعاً ويعوث ويعوق ونسراً ، قد كان أولوك يدعوهم ، ويستشفعون بهم ، ومنهم  
يسفون الميث وتزول الأمراض ، فلم يزل بهم حتى انتهكوا في عبادتهم على رعيهم تصريحاً للصالحين ،  
ثم بعث الله فيهم نوحاً <sup>عليه السلام</sup> يدعوهم ويعرفون صدقه وأمانته وكان أخلاقه ، فض (يا قوم اعبدوا  
الله ما لكم من إله غيره) ورعهم في خير الدين والآخرة فقال (يا قوم إنكم كافرين) ، أن  
عبدوا الله واتقوه وسمعون ، يعمر لكم من ديتكم ويؤخركم إلى أجل مسمى) فما نادى بالامر  
بالاحلاص لله وتصفية آراءهم وتحويلهم بعبادات الدنيا والآخرة قالوا (ما نراك إلا في ضلال مبين  
وما نراك اتبعك إلا الذين هم أربابنا ، وما نرى لك علينا من فضل ، بل نصمم كاديين) وطعنوا  
منه أن يطرد من كان معه من المؤمنين استكباراً منهم واستسكاناً على الحق وعلى الحق ، فين  
هم أنه ليس به ضلال ، وإنما به تزول الضلالة عن الحق ، وأنه رسول أمين على بيعة من ربه  
وبراهين واضحة ، وأن المؤمنين لا يحل طردهم ، بل حقهم الاكرام والاحترام ، وأنه لا يدعى  
له طوراً يراهم فيه الرب فقال (ولا أقول لكم عدى خرائن الارض ولا أعلم العيب إلا أقر  
إني مذكور ولا أقول للذين أعصيتكم لن يؤتيتهم الله حيراً) فلم يزل يدعوهم ليلاً ونهاراً ومراً  
وجهاداً ، فلم يردم دعاؤه إلا فراراً وموراً ، واعتصموا بواجبهم على الاطاعة على ما هم عليه من  
عبادة غير الله وتعلق بها فض نوح (رب انهم عصون وانعوا ما لم يردده منه وولاء إلا حساراً  
ومكروا مكراً كثاراً ، وظلوا لا تدرك آلهتهم ولا تدرك ودأ ولا سواعاً ولا يعوث ويعوق ونسراً)

فما رأى أن التكبير لا يقع فيه بوجه من الوجوه ، وأنه كلما جاء من كان أحدث مما قبله ، قال ( رب لا تدرك على الأرض من الكافرين دياراً ، إنك إن تدرهم يصلوا عبدك ولا يلدوا إلا فاحراً كفراً ) فأجاب الله دعوته وأمره أن يصنع العلك برعاية منه وحس نظر وتعليم من الله له هذه الصفة التي آمن الله بها على العبد ، وصار بوجه له الفصل والابتداء بهذه الصناعة التي حصل بها من منافع الدنيوية والديوية في جميع الأوقات مالا يعد ولا يحصى ، وأحمره الله بتختم آخراتهم وأنه لا يحاط به ، وبها فاهب طالمور ، وحمل يصنع العلك ؛ وكل من صر عليه ملاً من قومه سحرور منه فقال لهم إن تسحروروا من اليوم فما تسحر منكم إذا وقع الهلاك بكم . ووحى الله إليه أنه إذا جاء ذلك الوقت وفار المتور أي حملت الأرض كلها تصعج عيوناً من كل حجاب حتى اموضع الميدة عن النار عدة ، وأمره أن يحمل من البهائم من كل زوجين اثنين ذكر وأنثى ليسقى بسبها لأنه يتعذر حملها كلها ، والحكمة تقتضى إلقاء هذه الحيوانات التي حنقها الله مسخرة لمصالح البشر ويحمل مع جميع من آمن من دوابه ، والطين أنه ما آمن معه إلا قليل ، وأمره أن يحمل أهله إلا من سبق عليه القول بالهلاك ، فلف أركب جميع من أمر به قال لهم سمعوا الله كل حرت وكلارست . لأن الأسباب منها عظمت فهي من لطف الله ، ولا نعمة لها إلا بالله

لحينئذ نحر الله الأرض عيوناً ، وأمر السماء أن تصب الماء المنهمر الكثير ، فانثقت مياه السماء بمياه الأرض ، وساحت على الأماكن المسحقة ، ثم ارتفعت شيئاً شيئاً على كل المرتفعات حتى خفيت قمم الجبال الشاهقة ، والسفينة نحرى به في موج كالطال نصرب بيمياً وشمالاً . وفي تلك الحال المزعجة رأى نوح أنه الكافر الذي كان على دين قومه وقد اعتزل أباه حتى في هذه الحال فرآه مثل سائر قومه ففر هارباً من المياه الجارفة ، فناداه نوح مترقياً فقال ( يا بني ركب معنا ولا تكن مع الكافرين ) فنادى به العرود في تلك الحال التي تنشق فيها العيوب إلا عن القلوب المحجوبة ، فقال ( سؤى إلى حد يعصى من أماء ) لم يحضر بسأهم أن مياه سترفع فوق رؤوس الجبال ، فقال له نوح ( لا عظم اليوم من أمر الله إلا من رحم ) فلا يعصم حل ولا حص ولا غير ذلك إلا من رحم الله ، ورحمته في تلك الحال متعينة في ركوب السفينة مع نوح ( وحال ينهب اموج ) فكان ذلك الابن من امعربين

فأغرق الله جميع الكافرين ونحى نوحاً ومن معه أجمعين ، وكان في ذلك آية على من ما جاء به نوح من التوحيد ورسالة الوعد والدين حق ، وأن من خالفه فانه مظل ، ودليل على الجزاء في الدنيا لأهل الأبد بالحياة والكرامة ، ولأهل الكفر بالهلاك والاهانة .

فما حصل هذا المقصود العظيم أمر الله السماء أن تطلع عن الماء ، والأرض أن تطلع ما فيها وعيظ من ، أي نص شيئاً شيئاً ، وستوت السفينة بعد غيص اماء على الجودي ، وهو جبل

شامخ معروف في نواحي الموصل .

وهذا دليل على أن جميع الجبال قد عمرتها المياه وجاورها الصوفان ، وحرن نوح على اسمه فقد  
مدياً ربه مترقاً متصراً يارب ( إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق ) أن أحسن مني أهلي وأنت  
أرحم الراحمين ، فقال له ربه ( إنه ليس من أهلك ) أي الموعود بجهنم ، لأن الله قيد ذلك بقوله  
( إلا من سبق عليه القول ) ( أنه عمل غير صالح ) أي هذا الدعاء لا يلك الذي على دين قومه بالسحاة  
( فلا تأتي ما ليس لك به علم إنني أسطك أن تكون من الجاهلين ) وهذا عتاب منه لنوح وتعليم  
له وموعظة عن مثل هذا الدعاء الذي إنما حمله عليه الشفقة الأبوية ، وإنما الواجب في الدعاء أن  
يكون الخامل له العلم والاحلاص في طلب رضا الله تعالى فقال نوح ( رب إنني أعوذ بك أن أسألك  
ما ليس لي به علم ولا تفعلني وترحمي ) كي من الخاسرين . قيل يا نوح اهبط سلام من وبركات  
عليك وعلى أمم من معك ، وأمم يستمعهم ثم يسمعون عذاب أليم ) فهبط وبارك الله في ذريته ،  
وجعل ذريته هم الباقين ، فكان أولاده يافث ملائمة المشرق من الدنيا ، وحام ملائمة المغرب من  
السل ، وسام ملائمة ما بين ذلك ، ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ومكث بعد هلاكهم  
ما شاء الله ، وكان من أولى العزم من المرسلين ، ومن خمسة الذين تدور عليهم الشعاعة يوم القيامة  
وهو أول الرسل إلى الناس ، وهو الأب الثاني للبشر ، وَاللَّهُ تَعَالَى تسليماً .

يستمد من هذه القصة أمور . -

منها : أن جميع الرسل من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم متفقون على الدعوة إلى التوحيد  
الخالص والنهي عن الشرك ، فوح وغيره . أول ما يقولون لقومهم ( اعبدوا الله ما لكم من إله  
غيره ) ويكررون هذا الأصل بطرق كثيرة .

ومنها : آداب الدعوة وتعامها ، فإن نوحاً دعا قومه ليلاً ونهاراً ، وسراً وجراراً ، بكل وقت  
وبكل حالة يظن فيها نجاح الدعوة ، وأنه رغبهم بانثواب الماحض بالسلامة من العقاب ، وبالثم  
بالأموال والسبب ، وادراز الأذواق إذا آمنوا وبانثواب الآجل ، وحذرهم من صد ذلك ، وصبر  
على هذا صبراً عظيماً كغيره من الرسل ، وخطبهم بالكلام الرقيق والشفقة ، وبكل لفظ جذاب  
للقوم محصل المطلوب ، وأعاد الآيات وبين البراهين

ومنها : أن الله التي قدح فيها أعداء الرسل برسالتهم من الأدلة على ابطال قول المكذبين  
فإن الأقوال التي قولوها ولم يكن عندهم غيرها ، ليس لها حظ من العلم والحقيقة عند كل عاقل .  
فقول قوم نوح ( ما نراك إلا بشراً مثلاً ، وما نراك اتعتك إلا الذين هم أروادى الرأي  
وما نرى لكم علياً من فضل ، بل نطعمكم كاذبين ) تأمل جملتها تجدها تنويعات دالة على انهـم مطلقون

مكابرون للحقيقة ، وقولهم ( مازك إلا بشرأ مثلاً ) فهل في كون الحق جاء على يد بشر شيء من الشبهة تدل على أنه ليس بحق ، ومصمون هذا الكلام أن كل قول قاله البشر من أي مصدر يكون باطلا . وهذا قدح منهم في جميع العلوم البشرية المستفادة من البشر ، ومعلوم أن هذا يبطل العلوم كلها ، فهل عند البشر علوم الاستيعاب بمصم من بعض وهي مصنوعة ، فأعظمها وأصدقها وأعنفها ما تلقاه الناس عن الرسل الذين علومهم عن وحى إلهي .

وكذلك قولهم ( ما نرى لكم عايينا من فصل ) أي نحن وأنتم بشر ، وقد أحابت الرسل كلهم عن هذه المقالة فقالوا ( إن نحن إلا بشر مثلكم ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ) فمن الله على الرسل وخصهم بالوحى والرسالة ، مع أن أسكارهم عليهم من هذه الجهة من أكبر الجهل وأعظم القدح في نعمة الله ، فإن رحمة الله وحكته اقتضت أن يكون الرسل من البشر ليشتمك العدد من الأخذ عنهم ، وتيسر عليهم هذه النعمة وبديل الله لهم طرقها ، وهؤلاء المكذبون كفروا بأصل النعمة وبالطريق المستقيم الدافع الذي حادتهم به .

وكذلك قولهم ( وما تراك انصت الا الذين هم أرادوا ) من المعلوم لكل أحد عاقل أن الحق يعرف أنه حق بعبء لا يمين نيمه ، وأن هذا القول الذي قالوه صدر عن كبر وتيه ، والكبر أكبر مانع للعبد من معرفة الحق ومن اتباعه .

وأيضا قولهم ( أرادوا ) إن أرادوا الفهم ، فالعقل ليس من العيوب ، وإن أرادوا أرادوا في الأخلاق ، فهذا كسب معلوم بالدينية ، وإنما أرادوا الذين قالوا هذه المقالة ، فهل الايمان بالله ورسوله وطاعة الله ورسوله والاقبال للحق والسلامة من كل خصلة ذميمة ، هل هذا الوصف ذميمة وأهل أرادوا أم الرذيلة تصده من ترك أمروض الفروض فوحيد الله وشكره وحده وامتنانه الصب من التكبر على الحق وعلى الخلق ؟ هذا والله أرادوا الرذائل ، ولكن القوم مساهتون فما هموا من هؤلاء الأحيار إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد .

وقولهم ( بادى الرأي ) أي مبادرة منهم إلى الايمان بك يا نوح لم يشاوروا ولم يتأناوا ويتروا لو فرض أن هذا حقيقة فهذا من أدلة الحق ، فإن الحق عليه من البراهين والنور والجلالة والبهاء والصدق والعلامة مالا يحتاج إلى مشاورة أحد باتباعه ، وإنما التي تحتاج إلى مشاورة هي الأمور الخفية التي لا تعلم حقيقتها ولا سمعتها ؛ أما الايمان الذي هو اجلى من الشمس في نورها ؛ وأجلى من كل شيء ، فما يتأخر عنه إلا كل متكبر حمار أمثل هؤلاء الطماعة النفاة .

وقولهم ( وما نرى لكم علينا من فصل ) هل في هذا الكلام شيء من الانصاف بوجه ، لأنهم يخبرون عن أنفسهم ، وكلامهم يحتمل أنه الذي في قلوبهم ، ويحتمل أنه يقولون مالا يعتقدون وعلى كلا الأمرين فالحق يجب قبوله ، سواء أقاله الفاضل أو المفضول ، الحق أعلى من كل شيء .



وكذلك قولهم ( بل فطسكم كاذبين ) معلوم أن الطن أكذب الحديث ؛ ثم لو قالوا بل فطسكم كاذبين فهداه كل مطل يقدر أن يقولها ، ولكن بأي شيء استدلتهم أنهم كاذبون ؟ فهداه أدلتهم وبراهينهم أنطلت نفسها بنفسها كما ترى ، فكيف وقد قام لها الرسل بالأدلة والبراهين المتنوعة التي لا تبقى ريب لأحد في بطلانها .

ومنها أن من فضائل الأنبياء وأدلة رسالتهم إخلاصهم التام لله تعالى في عبوديتهم لله القاصرة وفي عبوديتهم المتعدية لنفع الخلق ، كالدعوة والتعليم وتوابع ذلك ، ولذلك يمدون ذلك ويميدونه على أسمع قومهم كل منهم يقول ( يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الله ) ولهذا كان من أجل الفضائل لاتساع الرسل أن يكونوا مقتدين بالرسل في هذه الفصيلة ، والله تعالى يحصل لهم من فضله من رفعة الدنيا والآخرة أعظم مما يتقاضى فيه طلاب الدنيا

ومنها أن القدح في ذيات المؤمنين وفيما من الله عليهم به من المصائب والمصائب والتألي على الله أنه لا يؤتيهم من فضله من موارد أعداء الرسل ، ولهذا قال نوح لقومه حين تألوا على الله وتوسلوا في ذم المؤمنين به بذلك ؛ فقال ( ولا أقول للمسلمين تزدري أعينكم لي يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم )

ومنها أنه ينسب الاستعانة بالله وأن يذكر اسمه عند الركوب والنزول وفي جميع القفلات والحركات ، وحده الله ، الاكثار من ذكره عند العم لا سيما الحاجة من السكرات والمشقات ، كما قال تعالى ( وقال اركبوا فيها بسم الله محريها ومرسها ) وقال ( فاذا استوييت أنت ومن معك على الملك ، قل الحمد لله الذي نجاننا من القوة الطالين ) وأنه ينسب أيضاً الدعاء بالبركة في نزول المارل المعارضة كالمارل في اقامات السفر وغيره ، والمارل المستقرة كالمساكن والدور لقوله ( وتل رب أرلني منزلاً ماركاً وأنت خير المنزلين ) وفي ذلك كله من استصحاب ذكر الله ، ومن القوة على الحركات والسكرات ومن قوة الثقة بالله ومن نزول بركة الله التي خير ما صحت العبد في أحواله كلها مالا غنى للعبد عنه طرفة عين .

ومنها أن تقوى الله والقيام بواجبات الإيمان من حلة الأسباب التي تنال بها الدنيا وكثرة الأولاد والرزق وقوة الأمدان - وإن كن لذلك أيضاً أسباب أخر . وهي السبب الوحيد الذي ليس هناك سبب سواه في نيل خير الآخرة والسلامة من عقابها .

ومنها أن الحاجة من العقوبات العامة الدينية هي للمؤمنين ، وهم الرسل وأنساعهم ، وأما العقوبات الدينية العامة فانها تختص بالجرمين ويتمهم توابعهم من درية وحيوان ، وإن لم يكن لها دواب ، لأن الوقائع التي أوقع الله بأصناف المكدين شملت الأطفال والنساء ؛ وأما ما يذكر في امض الاسرائيليات أن قوم نوح أو غيرهم لما أراد الله اهلاكهم أعظم الارحام حتى لا يتسهم في

المقومة أظلم فهدا ليس له أصل ، وهو صاف للأمر المعلوم ، وذلك مصداق لقوله تعالى ( واتقوا فتنة لا تصيرون الذين ظلموا منكم خاصة ) .

### ﴿ قصة هود عليه الصلاة والسلام ﴾

بعث الله هوداً عليه الصلاة والسلام إلى قومه عاداً الأولى المقيمين بالأحقاف — من دمال حصرموت — لم يكثر شرم ونجسوا على عاد الله وقالوا ( من أشد ما قوة ) مع شركهم بالله وتكذيبهم لرسول الله ، فأرسل الله اليهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك والتجبر على العباد ، ويدعوهم بكل وسيلة ويذكركم ما أنعم الله عليهم به من خير الدنيا والبطشة في الرزق والقوة ، فردوا دعوته وتكبروا عن إجابته وقالوا ( ما أنت إلا بشر مثنا فأتنا بآية إن كنت من الصادقين ) وهم كاذبون في هذا أرغم ، فأتاه ما من نبي إلا أعطاه الله من الآيات ما على مثله يؤمن بالبشر ، ولو لم يكن من آيات الرسل إلا أن من الدين الذي حاموا به كبير دليل أنه من عند الله لأحكامه ومنتظامه للمصالح في كل زمان بمجسه وصدق أخباره ، وأمره بكل خير ونهيته عن كل شر ، وأن كل رسول يصدق من قبله ويشهد له . ويصدق من بعده ويشهد له

ومن آيات هود الخاصة أنه متمرد وحده في دعوته ونسفيه أحلامه وتصليلهم والقبح في آلتهم ، وهم أهل العيش والقوة والجبروت ، وقد خوفوه بآلتهم إن لم يبتنه أن نفسه بجحون أو سوء ، فتحدثهم علماً وقال لهم جهاراً ( إني أشهد الله واشهدوا إني برى . ما تشركون من دونه فكيدون جميعاً ثم لا تنظرون ، إني توكلت على الله ربي وربكم ، ما من دابة إلا هو آخذ بصيرتها إن ربي على صراط مستقيم ) فلم يصلوا إليه بسوء .

فأتى آية أعظم من هذا التحدى لمؤلاء الأعداء الحريصين على إبطال دعوته بكل طريق ، فلما انتهى طغيانهم تولى عنهم وحدهم نزول العذاب ، فغصهم العذاب معترضاً في الأفق ، وكان انوقت وقت شدة عطية وحاجة شديدة إلى المطر ، فما استبشروا وقالوا : هذا عارض ممطرنا . قال الله ( بل هو ما تستعجلونه ) بقولكم فأتنا بعدنا إن كنت من الصادقين ( ربح فيها عذاب أليم ، ندمر كل شيء ) ثم عليه ( فسخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، ففرى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فأصبحوا لآئيرى إلا مساكنهم ، كذلك نجزي القوم المجرمين ) فمما كانت الدنيا لم ضاحكة ، والعمر ملبغ ، ومطالب الحياة متوفرة ، وقد حصص لهم من حولهم من الاقطار والقتائل ، إذ أرسل الله اليهم رباً صرصراً في أليم نجسات ليدققهم عذاب الغرزي في الدنيا ولعذاب الآخرة أحرزى وهم لا ينصرون ( وأنتموا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ، ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعباداً لعاد قوم هود ) ونحى الله هوداً ومن معه من المؤمنين ، إن في ذلك لآية

على كمال قدرة الله وإكرامه الرسل وأتباعه ، وصبرهم في الحياة الدنيوية . يقوم الأشهاد ، وآية على اتصال الشريك . وأن عواقبه شر المواقب وأشعبها ، وآية على البعث والبعث .

### ( فوائد من هذه القصة )

فيها ما تقدم في قصة نوح من الموائد المشتركة بين الرسل ، ومنها أن الله يحكمته بقصص عليها  
سأ الأمم المحذورية لى في حيزرة العرب وما حولها ، لأن القرآن يذكر على الطرق في التذكير  
والله تعالى صرف فيه التذكيرات تصريفاً ماعداً ، ولا ريب أن الانطباع الدنيوية عند في مشارق  
الأرض ومعاريف قد نعت الله اليهم رسلاً ، ولهم معهم تطهير ما للدكتورين من امة وردوا اكرام  
وعقوبة ، وما من ممة إلا نعت الله فيهم رسولاً ، ولكن بها تذكيرنا في حول وما يتفاد  
حيلاً بعد حين ، بل ما شاهدنا ناهيهم ونمر يديارهم كل وقت وهم لعائهم ، وطعنهم في قرب إلى  
طوائف ، لا ريب أن نفع هذا عظيم ، وأنه أولى من تذكيرهم بأمر لم نسمع لهم يذكر ولا خبر ،  
ولا تعرف لعائهم ، ولا تتصل ايضاً أخبارهم بما يطابق ما يحرم الله به ، فيؤخذ من هذا أن تذكير  
الناس بما هو أقرب إلى عقولهم وأمس لأحوالهم وأدخل في مداركهم ونفعهم من غيره أولى من  
التذكيرات بطرق أخرى وإن كانت حقاً ، لكن الحق يتفاوت ، والمذكر والمعلم إذا سلك هذا  
الطريق واحتمل في إيصال العلم والخير إلى الناس بالوسائل التي يسهلونها ، ولا يسهرون منها أو  
تكون أقرب لاقامة الحجة عليهم نفع وانفع ، وأشار الناري إلى هذا في آخر قصة عاد ، فقال  
( ولقد هلك ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات ) أى نوعها بكل فن ونوع (لهم يرحمون)  
أى ليكون أقرب لحصول الفائدة .

ومنها أن نتجد السانق الفحة للعمر والخليل . والرية ونهر الصد المجربوت من الأمور المدمومة  
اموروتة عن الأمم الطاغية كما قال الله في قصة عاد واسكار هود عبيهم ، قال ( أتنبون بكل ريع  
آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم نخلدون )

وباجلة فالبيلت للقصور والحصون والدور وغيرها من الانبئية :

اما أن نتجد ما كن للحاجة اليها ، والحاجات تنوع وتختلف ، فهذا النوع من الأمور المساحة  
وقد يتوصل به بالنية الصالحة إلى الخير .

واما أن تكون السابيت حصوناً واقية لشرور الأعداء ، ونموراً تحفظ به البلاد ونعيمها  
جما يبع المسلمين وقيمهم الشر ، فهذا النوع يدخل في الجهاد في سبيل الله ، وهو داخل في الأمر  
بأخذ الحذر من الأعداء .

وَأَمَّا مَنْ يَكُونُ لِلْفَحْشِ وَالْخِلْيَاءِ وَالسُّطُشِ نَصْدًا لِلَّهِ وَتَمْدِيرَ الْأَمْوَالِ لِمَنْ يَتَّبِعُ ضَرْفَهَا فِي طَرَفِ  
بَاطِلَةٍ ، فَبِهَا السُّوْحُ هُوَ الْمُدْمُومَةُ الَّتِي أَنْكَرَهُ اللَّهُ عَلَى عَدَدٍ وَغَيْرِهِمْ .

وَمِنْهَا أَنْ لَعُونَ وَالْأَدَهْنَ وَالْبَكَاءَ وَمَا يَنْتَبِعُ ذَلِكَ مِنَ الْقُوَّةِ الْمَادِيَةِ ، وَمَا تُرْتَبُ عَلَيْهِ مِنَ  
الْتَّائِبِ وَالْأَنْتَارِ وَإِنْ عَظُمَتْ وَبَلَّغَتْ مَسْلَمًا هَئِلًا ، فَهِيَ لَا تَنْتَبِعُ صَاحِبِهَا إِلَّا إِذَا قَارَنَهَا الْإِيمَانُ  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَأَمَّا الْجَاهِدُ لَا يَأْتِي اللَّهُ الْمَكْسِبَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، فَهُوَ وَإِنْ اسْتَدْرَجَ فِي الْحَيَةِ وَأَمْلَى مَا نَاقَتْهُ  
وَحَيَّةٌ ، وَصَحْمَةٍ وَنَصْرَةٍ وَعَمَلُهُ لَا يَمْنَعُهُ نَسْبًا إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَنْ عَادٍ ( وَنَعَدَ  
مَكْسِبُهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَسَاكَ فِيهِ ، وَصَحْمَتُهُمْ سَهْمًا وَأَنْتَ رَأَى وَأَفْئِدَةٌ ، مَا أَعْنَى عَنْهُمْ سَهْمُهُمْ وَلَا نَصْرُهُمْ  
وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ ، إِذْ كُنُوا يُجَاهِدُونَ رِبَّاتِ اللَّهِ وَحَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) وَفِي  
الْآيَةِ الْآخَرَى ( فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ أَهْلُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ مَا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَمَا  
رَادُّهُمْ غَيْرَ تَقْلِيلٍ )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَانَتْ نَمُودٌ - وَهِيَ عَادُ النَّبِيَّةِ - يَسْكُمُونَ فِي الْخَجَرِ وَمَا حَوْلَهَا ، وَكَانُوا أَهْلُ مَوَدَّةٍ كَثِيرَةٍ  
وَأَهْلُ حُرُوثٍ وَرُزُوعٍ ، وَتَوَاصَلَتْ عَلَيْهِمْ لِنَعْمٍ فَمَكَانُوا يَتَّحِدُونَ مِنَ السُّهُولِ قُصُورًا مَزْهَرَةً ،  
وَمِنْ الْحَدَثِ بَيُوتًا مَحُونَةً مَتْنَنَةً ، فَنَظَرُوا السَّعْيَ وَكَمَرُواهَا ، وَعَدُوٌّ غَيْرُ اللَّهِ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ  
أَحَامِلَ صَاحِبًا مِنْ قَبِيلَتِهِمْ ، يَرْفَعُونَ نَسَبَهُ وَحَسَبَهُ ، وَفَصْلَهُ وَكَلَامَهُ ، وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ ، فَعَاظَهُمْ إِلَى اللَّهِ  
وَبِإِلَى اخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ ، وَتَرَكَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ، وَدَكَرَهُمْ بِسَمْعِ اللَّهِ وَبِأَيْمَانِهِ بِالْأَمْرِ الْخَوِيرَةِ  
لَهُمْ ، فَلَمْ يَقْنَعُوا إِلَّا الْقَائِلِينَ

وَحِينَ ذَكَرَهُمْ وَبِالْأَدَةِ وَالرَّاهِبِينَ عَلَى رُحُوبٍ مُوَحَّدَةٍ اللَّهُ اشْتَارُوا وَنَهَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا  
وَقَالُوا ( يَا صَاحِبَ فَدَكْتِ فِيمَ مَرْحُومًا مِلْ هَذَا ) فَبَدَأَ فَدَكَرَهُمْ فَتَنَحَّيْتُ فَيْتُكَ أَنْ تَعْلَمَ جَمِيعًا  
كَمَا كُنْتَ وَكَمَا كُنْتَ ، وَأَدَاكَ الْخَلِيفَةُ

وَهَذَا اعْتَرَفَ مِنْهُمْ لَهُ بِهِدَهُ الْأُمُورَ قُلُوبُ أَنْ يَقُولَ ، قَالَ ، مَا نَزَلَهُ عَنْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ عِنْدَهُمْ إِلَّا  
أَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الْخَالِقِ مِنْ عِبَادَةِ الْعَبِيدِ ، وَإِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَمَا دَنِيهِ إِلَّا أَنَّهُ خَالَفَ  
أَتَابَهُمُ الصَّالِحِينَ ، وَهُمْ كَانُوا أَصْلَ شَيْءٍ ، ثُمَّ أَفْقَدَهُمْ بَيْنَهُ عَقَابِيَّةٌ وَآيَةٌ وَهَاتَا وَصَمَةً عَلَى جَمِيعِ  
الْقَبِيلَةِ فَأَسْرَهَا وَقَالَ : هَذِهِ بَقَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا يَشِيءُ شَيْءٌ مِنْ لَوْقٍ فِي دَنِيَّتِهَا وَشَرَفِهَا وَمَنَافِعِهَا لَكُمْ  
آيَةٌ عَلَى صِدْقِي وَعَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ رَبِّكُمْ فَدَرَوْهَا تَأْكُلُ فِي رُحْصِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ رَدَّهَا وَلَكُمْ نَفْسُهَا تَرْدُ الْمَاءِ

يوماً فنزل القليلة بأسرها على صرعها كل يصدر عن صرعها قد ولا آتيتها به ثم تردون أسرى اليوم الثاني فكتب على هذا ما شاء الله .

وكان في مدينتهم تسعة رهط من سبطينهم قد قاوموا ما جاء به صياح شد المقاومة . يصرون عن سبيل الله ويصدون في الأرض ولا يصلحون . وكان صالح قد حذرهم من عقر الباقية ما رأى من كبرهم وردم الحق بأقرب من أولئك المدلل الأشرار أن عضواً محلاً عاماً ليتفقوا على عقر الباقية ، فاتفقوا ، فانتخب لذلك أشقى القليلة ، ولهذا دل الله تعالى ( إذ انتم أشقوا ) ثم بعد اتفاقهم وتبنيهم إليه نعموه لذلك ، فانتخب واستعد وتكامل لهم بغيرها به وهم جميعهم راضون بل أمروا ، ففقرها . فكان هذا العقر مؤدناً بهلاك القليلة بأسرها ، وما شعر صالح بالأمر ورأى مطراً عظيماً علم أن العذاب قد تحتم لا محالة ، لأن الجريمة قد تفاقمت ، ولم يبق حاله حتى فيها هم تقويم . فقال لهم صالح : تمتموا في داركم ثلاثة أيام . ذلك وعد غير مكشوب ، ومنه بهد الكلاء دابيتهم وقاصيتهم ، في أثناء هذه المدة انفق هؤلاء الرهط التسعة على أمر عطل من عقر الباقية على قتل نبيهم صالح ، ونصعدوا ونصعدوا وحلفوا الأيمان المقلطة ، وكتبوا أمرهم خشية من مبع أهل بيته ، لأنه في بيت عرو وشرف ، وقوا : لبينته وأهله ، ثم دأطن ما اب قلبه حلف لأوليائه ناساً ما شهدوا بهلك أهله وإب لصادقون . فسيروا هذا المكر العظيم . وسكنهم يكررون ويمكر الله لبيته صالح . تخب كموافق في أصل حمل يسطروا العرصة في صالح : بدأ الله بمعونته ، فكانوا سلف مقدما لقومهم إلى نار جهنم . فأرسل الله صخرة من أعلى جبل فشدحتهم وقتلوا أشنع قتلة ، ثم لما تمت ثلاثة هذه الأيام حاشيتهم صبيحة من موقتهم ورجعة من أسفل منهم فاضحوا خامدين ، ونحى الله صالحاً ومن معه من المؤمنين ، وتولى عنهم وقال ( يا قوم لقد أنزلتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين )

### ( فوائد تتعلق بهذه القصة )

منها أن جميع الأنبياء دعوتهم واحدة ، وأن من كتب واحداً منهم فقد كذب الجميع لأنه يكذب الحق الذي جاء به كل واحد منهم . وهذا هو في كل قصة : كذبت قوم نوح المرسلين كذبت عاد المرسلين ، كذبت ثمود المرسلين

ومنها أن عقوبات الله تلامى الطاغية عند تنهاى طغيانها ونفاقها جرائمها ، فكفرهم وتكذبهم موجب للهلاك ، ولكن تحتم الاهلاك عند تنهاى الشرور ، ولهذا رخص ما يكون لوقوع العقوبة بالطغيان الجرمين عند تنهاى إجرامهم ، لأن الله تعالى مرصا فيمهل ثم يعمل حتى إذا أحدهم أحدهم أخذ عزيز مقتدر .

ومنها أن العقائد الساطنة لراحة المأخوذة عن بحسب الطن من آباء أو غيرهم من أكبر الموانع لقول الحق ، وإلحال أنها ليست في المير ولا في التميز ، ولأنها مقام في الحق الصحيح الدالة على الحقائق ، ولهذا أكبر ما رده قوة صالح لدعوته أن قالوا : أئبنا أن نصدق ما يعمد آباءنا . وقالت جميع الأمم المكذبة رادين لدعوة الرسل ( إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ) وهذا سبيل لا يزال معبوراً بالسالكين من أهل الساطنة تحت الشياطين ليصدوا به المباد عن سبيل الله ، من المسموع أن طريق الرسل هي طريق الهدى والحق ، فإذا نعد الحق إلا الضلال .

### قصه إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم

قد ذكر الله في كتبه سيرة وأخباراً كثيرة من سيرة إبراهيم ، فيها السالوة بالأنبياء عموماً ، وبه على وجه الخصوص ، قال الله أمر نبينا ومربانا سبع ملته ، وهي ما كان عليه من عقائد وحالات وأعمال فاصدة ومتعدية ، فقد آتاه الله رشده وعلمه الحكمة مسد كان صميراً ، وراه ملكوت السموات والأرض ، ولهذا كان أعظم الناس بقاءً وعلماً وقوة في دين الله ورحمة بالعباد . وكان قد نشأ الله في قوم مشركين يعبدون الشمس والقمر والنجوم ، وهم فلاسفة الصابئة الذين هم من أحدث الطوائف وأعصم صرراً على الخلق ، فدعاهم يعرف شتى ، فقول ذلك دعاهم بطريقة لا يمكن صاحب عقل أن يعرف منها ، ول كانوا يعبدون سبع سيرات التي منها الشمس والقمر ، وقدموا لها الميوت وسموها الهياكل ، في طيطراً ومططراً : هيا ياقوم سطر هل يستحق رب شئ الإلهية والربوبية ( فها نحن عليه الليل في هذا ربي ) والمساطرة تحذف غيرها في أمور كثيرة .

منها أن المساطر يقول شئ الذي لا يعتمد لهي عليه حخته ، وليقيم الحجة على حصه ، كما قال في تكبيره الأصنام : قالوا له ( أنت فعلت هذا ملط يا إبراهيم ؟ ) فأشار إلى العنبر الذي لم يكسره فقال ( بل فعله كبيرهم هذا ) ومطلوه أن عرصه إبراهيم بالحجة ، وقد حصلت

فهي يدل على فهم معنى قوله ( هذا ربي ) أي إن كان يستحق الإلهية بعد المطر في حالته ووصفه فهو ربي ، مع أنه يعلم المير المتين أنه لا يستحق من الربوبية والإلهية مثقال ذرة ، ولكن أراد أن يلزمهم بالحجة ( هذا أهل ) أي عب ( قال لا أحب الآخرين ) فإن من كان له حال وجود وعدم ، أو حال حضور وغيبه ، قد علم كل عاقل أنه ليس مكافئ ، فلا يكون الهيا ، ثم انقل إلى القمر ، فها رآه بارعاً ( قال هذا ربي . فما أهل قال لئن لم يهدني ربي لأكون من الضالين ) يريه

صوت من دسامة صوته . وقد صور الله صورته من غير أن يسكن لا على وجه التقيد ، بل يقصد إقامة البرهان على إلهية الخلق والامر . فالآن وقد قدت ، وتبين بالبرهان العقلي مع السعي بطلان إلهيتهم ، فأنا إلى الآن لم يستمر لي قرار على رب وإله عظيم ، فعاد رأى الشمس بارغة قال هذا أكبر من الخوم ومن القمر ، قال حري عني ما حري عني ، كانت مشهورة ، فعاد أقلت وقد تقرر عند الجميع فيها سبق أن عبادة من يأكل من أنطس الساطل حينئذ ألزمهم بهذا الالتزام ووجه عليه الحق فقال ( يا قوم . إنى يرى . ثم تشركون إني وحيث وحي ) أى طاهرى وباطنى ( لئلا فطر السموات والأرض خنياً وما أنا من أشركين ) هذه برهان على واضح أن المطلق للعالم المسمى والسفلى هو الذى يتعين أن يقصد بالتوحيد والاحلاص ، وأن هذه الأفلاك والكواكب وغيرها مخلوقات مدبر من الأوف ما نستحق العبادة لأجلها ، فحملوا بخوفه أظنهم أن تمسك بسوء ، وهذا دليل على أن شركهم عندهم من الخيالات الفاسدة والآراء الرديئة ما يمتضون أن هتبه تنبع من سدهم وبقية من تركهم فيها ، فقال لهم مسأله . أنه ليس عليه شئ من الخوف ، وإنما خوف حقيقى عليكم فقال ( وكيف أخاف ما أشركتم ولا تحذرون ) ثم أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطاناً فأى الفريقين أحق بالأسى إن كنتم تعملون ) أجاب الله هذا الاستفهام جواباً يعم هذه القصة وغيره فى كل وقت فقال ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ) أى بشرك ( ولئلك هم الآمن وهم مهتدون ) فرفع الله حبله إبراهيم باليد وإقامة الحق ، وعجزوا عن نصر باطنهم ، وسكنهم صمود على الأوفه على ما هم عليه ، وه يقع فيه الوعظ والتذكير وإقامة الحجة ، فلما يرى يدعوهم إلى الله ونسبهم مما كانوا يصدون عنه عما وحده ، وخص من دعاه أبوه آزر ، فإنه دسه بدمه صرقى رقه ، وكفى ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون وحواسنهم كل آفة حتى يروا تصدات الآيات من حجة مقالاته لأفاده إلهه لا يهيه ) يا أنت لم تعد مالا يسمع ولا يفكر ولا يحى سلفه . وأنت إني قد جئت من الله ما لم يأتك ) انظر إلى حسن هذا الخطاب حذو دعوت . من لا يهيه ذلك جاهد لئلا يفر من الكلال الخشن ، بل قال له هذا القول ( فانتفى أهدت صراطاً سوياً ، يا أنت لا تعد للشيطان إن الشيطان كل للرجل عصياً ، يا أنت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً ) وتبين بدقته من سوء لا آخر لعله يحجم فيه أو يفيد ، ولكنه مع ذلك قال له أبوه ( أراغب أنت عن آلتى يا إبراهيم إنى لم تنته لأرحمت وأهجرى منك ) هذا إبراهيم لم يعصب ولم يقابل أباه بعض مقلد . بل قال هذه الآية الكبرى بالاحسان فمن ( سلام عليك ) أى لا أنكلمك معك بلا كلام طيب لا غلظة فيه ولا خشونة . ومع ذلك فسب من مره يأتك ( سأسعرك لك ربى أنه كان نبى حياً ) أى



براً وحباً قد عودنى لطفه وأحرانى على عوائد احميته ولم يرزل لدنائى محيماً ، فلم يرزل ابراهيم مع قومه  
 فى دعوة وحدال ، وقد أغمهم وكسر جميع حججهم وشبههم ، فأراد ﷺ أن يقدمهم بأعظم الحجج  
 وأن يصمد لبطشهم وحجروته وقدرتهم وقوتهم ، غير هائب ولا وجل ، فلما حرجوا دلت يوم العيد  
 من عودهم وحرج معهم ، فصر بطرة فى السجود فصر : إني سقيم ، لأنه حتى إن تحلف لعير هذه  
 الوسيلة ، لم يدرت مطونه لأنه تظاهر بمداوته والهي الاكيد غنوحهم دهم ، فلم يرزوا حياً  
 إلى الصحراء كراحماً إلى بيت أصمهم شمام حدت كلها إلاضاً كثيراً أتقى غايه ليرمهم بالحجة  
 فصار حرجوا من عبيدهم يادروا إلى أصامهم صادة وبجحة ، فرأوا فيه قطع منظر رآه هلم فقلوا  
 ( من فسن هذا نألف ؟ إنه لمن الظالمين ) قلوا سمعنا في يد كرم ( أى يعيها ويد كرم  
 بأوصاف النفس والسوء ) ( بنى له ابراهيم ) فلم تخشوا أنه اندى كسرهم ففأوا به على عين  
 الس لمهم بشدون أى بحسرة الخلق العظم وبجوه أسد اتقوا به ثم نككوا به ، وهذا الذى  
 أراد ابراهيم ، ليظهر الحق بمرأى خلق ومسمعهم ، فلم جمع الس وحسروا ، وحسروا ابراهيم  
 قالوا ( أنت فعلت هذا ، هه يا ابراهيم ؟ قال : بل فعله كثير هذا ) مشيراً إلى الصم الذى سار  
 من مكبره ، وهم فى هذه بين صرين ، إما أن يترفوا بالحق وأن هذا لا بد من عقل أحد  
 هذا مروق أنه مصنوع من مواد معروفة لا يمكن أن يصنع هذا العمل ؛ وإما أن يقولوا نعم هو  
 اندى فعلهم وأنت سادح من نعمهم ، وقد سار أنهم لا يقولون الاحتمال لاحير ، ول غاسألوه إن  
 كانوا يطلقون وهذا يتعلق بالأمر الذى يبرهون أنه محال ، حينئذ ظهر الحق وبان واعرفوا هم  
 بالحق وحرجوا إلى أصمهم ففأوا : إني أنا الس ومنه نككوا على رؤوسهم ، أى ما كان  
 استبراهم سطلان هينب ، لا وقت قصيرا ظهرت الحجة مدشرة أى لا يكمن مكابرتها ، وسكن  
 ما أسرع ما عادت عليهم عقائدهم الد طيلة التي دسجت فى جويهم وصارت صفات ملازمة ، إن وجد  
 ما ينافيهم ، فانه عارض يعرض ثم يور ( ثم نككوا على رؤوسهم ) ، لقد علمت ما هؤلاء يطلقون  
 حينئذ ونعمهم بعد اقامة الحجة أى اعترفوا بحصوله على رؤوس الاشهاد ، فقال هم ( أتعبدون من  
 دون الله مالا يصعكم شيت ولا يصركم ، أف سكم ولم تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ) فلو كان  
 لسكم عقول صحيحة لم تقيموا على عبادة مالا يصع ولا يصركم ولا يندف من نفسه من يريده سوء ،  
 وما أسئتهم مقاومه بالبراهين والخبر عدلوا إلى استعمال قوتهم ونصهم وحجروتهم فى عبادة ابراهيم  
 فقلوا : حرقوه وابصروا ألتكم كى كستم قاعدين فأوقدوا دراً عصيمة حساً فألقوه به ، فقال  
 وهو فى تلك الحال : حسى الله وسيم الوكيل ، ففى الله ليدر ( يا من كوني بردا وسلاما على ابراهيم )  
 ففى نصرة شىء ، وأرادوا به كيد لصرو آلتهم ويقوموا لها فى قههم ، ففوت أسعهم

المقصود والتعظيم ، فكان مكرهم وبالا عليهم ، وكان انتصرهم لأنهم نصر عظيماء عند المصريين والعائين والموجودين والحدثين عليهم . وانتصر الخليل على الخوص والعواء والرؤس ، والمزموسين حتى أن مدكه حاج إبراهيم في ربه نبياً وطعياً ، أن آتاه الله الملك فله إبراهيم (ربي الذي يحيي ويميت) قال أنا أحيي وأميت (فأرماه الخليل بطرد دليبه بالتصرف المطلق ، فقال قال الله يأتي بالشمس من المشرق فأبى بها من المغرب ؛ فبنت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين

## ( فصل )

ثم خرج من بين ظهرهم من حرأ وروحته وابن أحمه لوط إلى الديار الشامية ، وفي أثناء مدة إقامته بالكه ذهب إلى مصر بروحته سارده ، وكانت أحسن امرأة على الإطلاق ، فعاد رآها ملك مصر وكان حبراً عبيداً له ملك معه حتى أدها على نفسه ، فدعت الله عليه ، فكاد أن يموت ثم أطلق ثم عد ثمانية ، وكل أرادها ، دعت عليه فصبر ، ثم دعت له فأطلق ، فكماها الله شهراً ، وذهب لها هاجر جلوية قصية ، وكانت ردة عافراً منذ كانت سارة فوهبت هذه الحارة لابراهيم بيسره من الله مرفعه . بها ودا ، فأنت هاجر باسم عيل على كاهن ابراهيم مخرج به لرحاً شديداً ولكن سريرة رضى الله عنهم أدركتهم الحيرة فخرجت أن لا يسكنهم ، وذلك لما أراد الله . وهذا من حملة الأسبب لدهنه بها إلى موضع البت الحرام ، ولا فهو مقرر عنده ذلك عليه السلام فذهب بها وبانها اسماعيل إلى مكة ، وهي في ذلك الوقت ليس فيها سكن ولا مسكن ولا ماء ولا ررع ولا غيره ورودهم صفاء فيه ماء وحراب فيه نمر ووصفها عند دوحه قريبة من بحر بئر زمزم ثم قفى عنهما ، فعاد كان في التنبه بحيث يشرف عليهم ، دعا الله تعالى فقال ( رب اني أسكت من دريتي نواد غير ذي ررع عند بيتك المحرم ، رسا لفيهموا اهلا فاحمل أفدة من اساس نوى اليهم و ( رقتهم من انحراف لعلهم يشكروا ) إلى آخر الدعاء ، ثم استلمت لأمر الله وجعلت تأكل من ذلك التمر وتشرب من ذلك الماء حتى هذا فغطشت ثم عفش ولدها فجعل يتنهي من العطش ، ثم ذهبت في تلك الحال لعلها ترى أحداً ، وتجد مبيتاً ، فصعدت أدنى جبل منها وهو الصد وتطلعت فلم تر أحداً ثم ذهبت إلى المروة فصعدت عليه فتطلب فلا ير أحداً ، ثم حملت تتردد في ذلك الموضع وهي مكرونة مضطرة مستغيثة بالله لها ولا بهم . وهي تمشي وتلمت إليه خشية السماع عليه ، فأذا هبطت الوادي سمعت حتى تصعد من حاميته الآخر لئلا ينجي على بصرها اسمها والفرج مع الكرب ، والعسر يقعه اليسر ؛ فلما تمت سبع مرات سمعت حس الملك فبحث في الموضع الذي فيه زمزم فسمع الماء ، فاستدفرح أم اسماعيل به فشربت منه وأرضعت ولدها وحملت

الله على هذه النعمة الكبرى . وحولت على الماء ثلثا بسبح . قال النبي ﷺ « رحم الله أم اسماعيل لو تركت ماء رمرم - أي لم تحمله - لكنت رمرم عبيد معبد » ثم عثر بها قبيلة من قبائل العرب يقال لهم حرم فترلوا عندها وتمت عبيد نعمة

وشب اسماعيل شاباً حسناً وأعجب القسلة بأخلاقه وعلو همته وكأله ، فلما بلغ تزوج منهم امرأة ، هي أئمة هذه المدة ماتت أمه رضى الله عنها وجاء إبراهيم بنبيه اسماعيل يتصيد فدخل على امرأته وسألها عن زوجها وعن عيشهم ، فأخبرته أن زوجها قد ذهب يتصيد وأن عيشهم عيش الشدة ، فقال لها : إذا جاء زوجك فأقرئني من السلام وقولي له يفر عنه فانه ، ورحم من فوره الحكمة أرادها الله ، وبما جاء اسماعيل كأنه آتس شبتاً فسأل امرأته فأخبرته أنه جاءه شيخ بهذا الوصف وأنه سأل عنك فأخبرته . وسألها عن عيشها فأخبرته بما في شدة ، وأنه يقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتة مابك . فقال ذلك أنى وأنت العتة بلحقي بأهلك . ثم تزوج اسماعيل غيرها . ثم جاء إبراهيم مرة أخرى واسماعيل أيضاً في صيد فدخل على امرأته فسألها عن اسماعيل فأخبرته ، وسألها عن عيشهم فأخبرته بهم في نعمه وحير . وكانت امرأة مينة شاكراً لله وشاكرة لزوجها ، ثم قال لها : إذا جاء زوجك فأقرئني عليه السلام وقولي له يثب عتة فانه ، ثم رحم أيضاً من فوره قبل مواجبة اسماعيل الحكمة أرادها الله تعالى ، فمما رحم اسماعيل من صيده قال : هل جاءكم من أحد ؟ فقالت جاءنا شيخ بهذا الوصف . فقال : هل قال لكم من شيء ؟ فقالت سأله عنك فأخبرته ، وسألنا عن عيشنا فأخبرته بما في نعمته وأثبتت على الله فقال : ما قال ؟ قالت هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثب عتة مابك . فقال : ذلك أنى وأنت العتة أمرنى أن أمسكك ثم ناد إبراهيم المرة الثالثة فوجد اسماعيل يرى سلا عند زمزم ، فمما رآه قام إليه فصعباً كما يصعب الوالد الشفيق والولد الشفيق ، فقال : يا اسماعيل إن الله أمرني أن أنى ههنا بيتاً يكون معبداً للخلق إلى يوم القيامة : قال سأعيبك على ذلك ، فجعل إبراهيم القواعد من أنيت إبراهيم بنى واسماعيل يباولة الحجارة ، وهما يقولان ربما نقل ما أنيت اسمع الميم ، ربما وأجعلنا مسلمين لك ومن درنقأمة مسمة لك وربما ماسكنا وسعدنا بك أنت لتواب الرحيم . ربما والعت فيهم رسولا منهم ربما يرفعهم يا سويهمهم كذب والحكمة وركبهم أنيت العزيز الحكيم . فلما تم بنيانه وتم له حبس من الله أن يمدد من وة دن فيهم بحج هذا البيت ، فجعل يدعو الناس وهم يردون إلى هذا البيت من كل فج يحضون لشهدوا منافع دنياهم وأخراهم ويسعدوا ويرول عنهم شدة . وفي هذه الأثناء حين عكس حب اسماعيل من قلبه وأراد الله أن يختص إبراهيم لتقديم محبة ربه وحبه إلى لا تقبل المشاركة والمرجة فأمره في الماء أن يذبح اسماعيل ، ورؤا الانبياء وحى من الله فقال لاسماعيل : نى أرى نى

المسلم أني أذبحك فأبصر ماذا ترى ؟ قال يا أبت ، فعل ما تؤمر ستحضى إن شاء الله من الصبرين .  
فلم أسمع ، أي حصصاً لأمر الله واتقاداً لأمره ووطناً أنفسهم على هذا الأمر المريع الذي لا تكاد  
النفوس تصبر على عشر معشره (وتله للحيين) نزل الفرج من الرحمن الحبيب (وفديته يا إبراهيم قد  
صدقت الرؤيا) فحصل توطيئ النفس على هذه المحنة والنعوى الشائبة بمرجة ، وحصلت المقدمات  
والجزم المصمم وتم لها الآخر والثواب ، وحصل لها الشرف والقرب وإن لم يكن من الله ، وما ذلك من  
الطواف الرب بغير قال تعالى (إنا كذلك نجزي المحسنين) إن هذا هو الجلال والدين ، وفديته  
بدفع عظيم (وأي دفع أعظم من كونه حصل به مقصود هذه العادة التي لا يشبه عبادة ، وصار  
سنة في عفته إلى يوم القيمة بتعريف به في الله ويدرك به ثوابه ورضاه) (ونركمنا عليه في الآخرين  
سلام على إبراهيم)

## فصل

ثم إن الله شتم النعمة على إبراهيم ورحم روحته سارة على الكبر والعقم واليأس بالبشرة بالابن  
الجليل وهو اسحاق ، ومن وراء اسحاق يعقوب ، حين أرسل الله لوطاً إلى قومه وتحدوا عليه  
وحتم الله عقوبتهم ، وكان لوط عليه السلام نبيلاً لابراهيم ، ولا إبراهيم عليه حقوق كثيرة ، هزت  
الملائكة الذين أرسلوا لإهلاك قوم لوط بإبراهيم بصورة آدميين ، فما دحخوا عليه وسماؤهم عليهم  
السلام ، فادبرهم بالصيفة ، وكل الله قد أعطاه الرزق الواسع والكرم العظيم ، وكان يتبعه مأواً  
للأضياف ، فسلخ راغ إلى أهله بسرعة وحشية منهم ، فهاهنا معجبين بحنوده مشوى على الرصف  
فقر به اليه فقال (ألا تأكلون) فلم رأى أيديهم لا تنصل إليه فكبره وحسن منه حيلة ، إذ ظن  
أنهم لصوص (هالوا) لأنهم إياهم أرسلوا إلى قوم لوط) وكانت سارة فتحة في خدمتهم ، وبشروه  
بعلامة عليه ، فسرحت سارة وصكت وجهها متفحمة ومستدشرة ومرددة ومتحيرة وقالت (أألد  
وما عجزور) وقبل ذلك كفت عني ، وهذا يعني شيخاً ، إن هذا شيء عجيب ، فأنوا - أتعجبين  
من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ، فذكرهم بإسحاق وأمه يعقوب  
ويولد له يعقوب ويدركه به . ولهذا حمد الله إبراهيم على تكملة نعمته وقال (الحمد لله الذي وهب لي  
على الكبر اسماعيل واسحاق إن ربى لسميع الدعاء)

## فصل

### ﴿ فيما في قصة الخليل من العوائد ﴾

ليعلم أن جميع ما قصه الله عليه من سيرة إبراهيم الخليل عليه السلام فاسأله ما موردون به أمراً خاصاً

قال تعالى (ملة أبيكم إبراهيم) ثم أوحى إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، قد كانت  
لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم (الآية) فما هو عليه في لتوحيد والاصور  
والمبادئ والأخلاق وجميع ما قص عليه من نعماء ، قال اتبعوا ما من دينا ، ولهذا لما كان هذا  
أمراً عاماً لأحواله كلها استثنى الله حاله من أحواله فقال ( لا قول إبراهيم لأبيه لأستعبرن لك )  
أي فلا تقتدوا به في هذه الحال بالاستعداد لمشر كين ، ظل استعبر إبراهيم لأبيه إعمال عن  
موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه .

ومنها أن الله أنجده حليلاً ، والخلة أعلى درجات المحبة ، وهذه المرتبة لم تحصل لأحد من الخلق  
إلا للحليين إبراهيم وعبد صلى الله عليه وسلم .

ومنها ما أكرمته الله به من الكرامات المتسوعة ، حصل في ذريته السوة والكتاب وأخرج  
من صلبه أمتين هما أقصر الأمم العرب وسواهم الرائي واحتره الله لسان بيته الذي هو أشرف  
بيت وأول بيت وضع للناس ووهب له الأولاد بعد الكبر واليأس ، وملاً يذكره ما بين الحقيقين  
وامتلات قلوب الخلق من محبته وألسنتهم من الثناء عليه .

ومنها أن الله رفعه بانعم واليتيم وقوة الحق ، قال جل ذكره . وكذلك نرى إبراهيم مكوث  
السموات والأرض وليكون من الموقنين ، ونكح حنث آتياها إبراهيم على قومه ترفع درجات من  
نشأ به ربك حكيم عليه ، ومن شوقه إلى الوصوف إلى غاية العلم ونهايته أن سأل ربه ، أرني  
كيف تنجي موسى . قال أو لم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير  
فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سبعة ، واعلم أن الله عزيز حكيم  
ومنها أن من عزم على فعل الطاعات وبدل مقدره في أسببه ، ثم حصل منفع يسمع من أكلها  
أن أخره به وحب على الله ، كما قال الله ذلك في أمه . حر الذي ، موت قبل أن يصل إلى مهاجرة ،  
وكما ذكره الله في قصة النوح ، وإن الله أمم الآخر لإبراهيم وإسماعيل حين أسلم الله ودعوا لأمره  
ثم رفع عنهما المشقة وحب لهم الآخر لدينوي والأخروي .

ومنها ما في قصصه من آداب المسطرة وطرقه ومالكها الدفعة وكيفية إزاج الخصم بالطرق  
أو الصفة التي يمتدح بها أهل القول ، والجودة الخصم الألد إلى الاستراف ببطان مدبه وإقامة  
الحجة على المعاندين وإرشاد المسترشدين .

ومنها أن من نعمة الله على عبده الأولاد الصالحين ، وإن عليه في ذلك أن يحمده الله  
ويدعو الله لذريته كما فعل الحليل عليه السلام في قوله ( الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل  
وسحق ) إلى آخر الدعاء ، وقال جل ذكره في النسا . عموماً على من يدعو الله بصلاح ذريته .

(حتى إذا بلغ أشده وسمع أروع سمع قال رب أودعني في أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك واني من المسلمين) قال الله : إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له . ومنها أن الشكر ومواقع الأست من جملة الحكم والبر . في فيها بد كبريات نعمات الخلق وأهل بيته في عبادات ربه ، ودين بالله ورسله ، وحث على الاقتداء به في كل نحو لهم الهدى وكل أحوال الرسل دينة ، لقوله تعالى ( واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى )

ومنها الأمر بتغيير المسجد الحرام من الأنحس ومن جميع المعاصي القولية والعمية تخطي الله وإعانة وتنشيطاً للتعبدين فيه . ومثله بقية المسجدة لقوله عز وجل ( وظهر بيني وبينكم بينا واطلاقاً ) ( وفي يوت أدن الله أن ترفع ويدكر فيها اسمه )

ومنها أن أفضل الوصايا على الإطلاق ما وصى به إبراهيم بنبيه ويعقوب ، وهو الوصية بالسلامة إتياء يدين وتقوى الله والاحتياط على ذلك ، وهي وصيته تعالى للأولين والآخرين ، ديب السعادة الأبدية والسلامة من شرور الدنيا والآخرة .

ومنها أن التعامل كما عليه أن شقن عنه ويحتج في إيقاضه على أكل أوجوه فمديه مع ذلك أن يكون بين الخوف والرجاء ، وأن يتصرع إلى ربه في قوله وتكبير نقصه والمواعظ فيه من حبل أو نقص ، كما كان إبراهيم وإسماعيل يرفعان لقواعد من البيت وهم بهذا الوصف الكامل . ومنها أن الجمع بين الدعاء لله بمصالح الدنيا والدين من سبيل نبيا الله ، وكذلك السعي في تحصيلها الدين هو الأصل والمقصود الذي خلق له الخلق والدين وسيلة ومعونة عليه لدعاء الخليل لأهل البيت الحرام بالأمرين وتعميله الدعاء بالأمور الدنيوية أنه وسيلة إلى الشكر فقل ( وادركهم من الثمرات لعلهم يشكروا )

ومنها ما اشتملت عليه قصة إبراهيم من مشروعية الحياة وآدابها ، فإن الله أخبر عن صيغته أنهم مكرمون ، يعني أنهم كرماء على الله ، وأيضاً إبراهيم أشكرهم نصيبته قولاً وفعلًا ، فأكرام الصيغ من الإيمان ، وأنه خدمهم بنفسه بإدراك نصيبته قبل كل شيء ، وأتى بأطيب ماله عجل حميد سمين وقرنه اليهم ولم يحوهم إلى الذهاب إلى آخر وعرض عليهم الأكل بلفظ رقيق فقال : ألا تأكلون ؟

ومنها مشروعية السلام وأن المتدنى فيه هو الداخل وهو المشي . وأنه يجب رده ومشروعية الوقوف على اسم من يتصل بك من صاحب ومعايل وصيغ لقول ( قوم مكرون ) أي لا أعرفكم فأحب أن تعرفوني بأسمي ، وهذا لطف من قوله أنكركم ونحوه .

ومنها الترغيب في أن يكون أهل الإنسان ومن يتولى شئون بيته حارمين مستعدين لكل

ما يراد منهم من الشئون و لقدم عهات البيت ، فان ابراهيم و اخال يادر ابنى عهله فوجه طعام ضيوفه حاضرآ لا يحوج إلا الى تقديمه .

ومنها أن اتيان ابولده والذشارة به من سارة وهى عجود عقيم بعد معجزة لابراهيم وكرامة لادة  
عقيمه معجزة نبي وكرامة ولي ، ونظيره بشارة الملائكة لمريم بميسى . وشارتهم بيحيى زكريا  
وروحته ، وكون زكريا حين الله آتة وجود المبشر به أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام : وهو سوى  
لا آتة فيه إلا بالمرر والذشارة ، وكل هذا وما أشبهه من آيات الله ، وأعجب من هذا البعده آدم  
من تراب . فسبحان من هو على كل شيء قدير .

ومنها شاء الله على ابراهيم أنه أتى به نقيب سليم ، وقد قال ( يوم لا يسمع مال ولا نون إلا من أتى الله بقلب سليم ) واخضع معاه به سليم من الشرور كلها ومن أسيأها ، ولأن من الخير والبر والكرم ، سليم من الشهوات الفدحة في العلم واليعين ، ومن الشهوات الخائفة بين الممدوحين كلها ، سليم من الكبر ومن الرياء والشفقة والعتاق وسوء الأخلاق ، وسليم من العمل والحق ، ولأن بالتوحيد والإيمان والواضع للحق وللخلق ، والمصلحة للمسلمين والبرعة في عبودية الله وفي تقوى عباد الله .

ومنها ما ذكره في قصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإسحاق **﴿سلام على نوح وعلو ح في العالمين ، سلام على إبراهيم﴾** بمعناها قولاً (إياك كذلك نحمي المؤمنين) بوعده لداود أن كل محسن في عبادته محسن إلى عبده أن الله يجزيه الثناء الحسن والثناء من العالمين بحسب احسانه ، وهذا ثواب عظيم وآجل ، وهو من الدثري في الحقيقة انديك ومن علامات العباد .

﴿ قصة لوط عليه السلام ﴾

وفضة لوط عليه السلام تبع لفظة ابراهيم ، لانه تسميه وقد نعلم من ابراهيم ، وكان له بئرته  
الابن ، فسأه الله بحياة الخليل و... الى قري سدوم من سور فلسطين ، وكانوا مع شركه بالله  
يلوثون بالكفر ، ولم يستجبه أحد الى هذه الفاحشة السوءه ، فسمهم الى عذبة الله وحده وحدهم  
من هذه الفاحشة ، فلم يردوا ولا اعتوا وتعاديا فيما بينهم ، ولما اراد الله هلاكهم أرسل الملائكة  
لملك فروا اضيقهم على ابراهيم واسمهم ملك ، فعمل ابراهيم يحد في اهلاكم . وكان رحيم  
حليما . وقال يا ايها الضالون : قلوا : نحن أعلم بن فيه ، لسحيه و... فحين فليل يا ابراهيم  
اعرض عن هذا انه قد جاء أمر ملك وانهم آتية عذاب غير مردود .

وما ذهب الملائكة إلى لوط بصورة أنثى آدميين سب ، سب لوطاً ذلك وصق به درخا



وقال : هذا يوم عصيب ، لعلنا بما عليه قومنا من هذه الخرافة الشنيعة ، ووقع ما خاف منه ، فجاهد قومنا يهرعون اليه يريدون فعل الفاحشة بأصناف وط ، فقل ( يا قوم هؤلاء سأتى من أطهر لكم ) بلفظه أنه لاحق لهم فيهن ، كما عرص سليمان للمراتين حين احتضمت في الولد فقل اقتنوني ، لكنكن أشقن بيسكم ومن اعصمتم ته لا يقع ذلك ، وهذا مثله ولهذا قال قومنا ( لقد عدت ما لنا في سائلك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد ) وأيضاً يريد بعض المدر من نصيبه ، وعلى هذا التأويل لا حاجة في الجدول في قول بعض المفسرين ( هؤلاء سأتى ) يعنى روحانيته ، يعنى لأن النبي أب لأمته ، فإن هذا يمنعه أمران :

أحدهما : قوله ( هؤلاء سأتى ) بشير اليهن إشارة الحاضر .  
ثانياً : هذا لا إطلاق على وجانته لا يصبر له ، وأيضاً لسي إنما هو بمنزلة آيات المؤمنين به ، لا للكفر ، والمحمود اى توموه : من باب ذكرنا ، وأنه يعلم أنه لاحق لهم فيهن ، وإنما يريد مدافعهم بكل طريق ، فاستند الأمر بوط وحل ( لو أن في يدي قوة أو آوى في ركن شديد ) أى لداقتكم ، فلما رآهم حارمين على مرادهم الخبيث قال ( يا قوم اتقوا الله ولا تمجرون في صبي أبيس مسكم رجل رشيد ) فاستجرو في طغيانهم وسكرهم ، حينئذ أخبرته ملائكة الرحمن بأمرهم وأنهم أرسلوا لأهلهم ، فصددهم عن أو غيره من الملائكة الذين يصلحون الدب ليدخلوا على لوط فطمس بهذه الصدمة شينهم ، فكان هذا عذاباً معجلاً وانودحاً لمن يمشوا مرادة لوط على أضيافه ، وثمره لوط أن يسرى بأول الليل بأهله ويخرج في الليل حتى يحلهم ديارهم ويخرج من معرة العذاب ، ويخرج بهم في أوسع الصبح حتى حرموا ديارهم وفقد الله عبد ديارهم خسر أعلاها أسفلها وأمطر عليها حجارة من سجيل مفعود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين الذين يعملون عملهم بغيره .

وفي هذه القصة أكبر دليل على أن فاحشة اللواط من أشنع القذائح ، وأنها توجب العقاب الشديد ، وأن من اتقى هذه الفاحشة فمع ذهاب ديبه قد انقلب عليه الحسن بالقيح ، فاستحسن ما كان قبيحاً ومنع من الطيب ، وذلك دليل على انحراف الأخلاق

وفيهما وفي قصة إبراهيم حوار التعريض ، أما قصة إبراهيم في قوله ( فطار نصره في الدحوم فقل إنى سقيم ) وأما لوط في قوله ( هؤلاء سأتى من أطهر لكم ) والتعريض يكون في الأقوال ويكون في الأفعال ، وهو أن يقصد المتكلم أو العامل لعمل أمر من الأمور التي لا بأس بها ويوم السمع والرائي أمراً آخر ليستحب منفعة أو يدفع مضرة .

ومنها أن من علامة الرجل الرشيد أنه هو المسدد في أقواله وأفعاله ، ومن ذلك أنه يصبر مطعومين ويخرج السكر عن المكرومين ويأمر بالخير وينهى عن الشر ، هذا هو الرشيد

حقيقة، فلهذا قال لوط : أليس منكم رجل رشيد . أى فيأمر بمعروف وينهى عن منكر ويدفع أهل الشر والبغى .

ومنها الحث على السعى فى الاعوان على أمور الخير ودفع الشر ، ولو كالمعاون على ذلك من أهل الشر فإن الله يؤيد الدين بالرجل الصالح وأقوام لا حلاق لهم عند الله ، ولهذا قال لوط ( لو أن لى بكة قوة أو آوى إلى ركن شديد ) وأكثر الأنبياء بعثهم الله فى شراف قومهم ويحصل بذلك من تأييد الحق وقمع الظلم والنمك من الدعوة مالا يحصل لو لم يكن كذلك ؛ واعتبر هذا بحال سميع وقوم قوم له ( ولولا رهطك لرجمك وما أنت عليه بهزير ) وكذلك نبي محمد بعث فى أشرف بيت فى قرىش وأعزهم ؛ وقد رمد قومهم بالعداوة البسعة وعقدوا المحاسن المتعددة فى انطال قوله ودبسه ، بل وفى كيفية الفتك به ، ومن الأسباب التى أوقفتهم عند حدم حوهم من قبيلته ، وانظر إلى حالته فى تصنيفهم عليه بالشعب واتخاذ قبيلته معهم - مدحهم وكافهم - ولم يحضر معهم أنهم يصرون إلى امتك بشخصه ، كريم حتى مسكروا ذلك المكر العظيم ، إذ اتفق رأيهم على أن يمتدحوا لقتله من كل قبيلة . حل ليمترق دمه فى القتل فيسحر قومهم عن الأخذ بشأره واسكنهم بمكرهم ويمكر الله والله خير الماكرين .

### ﴿ قصة شعيب عليه السلام ﴾

تسأله الله وأمره إلى أهل مدين ، وكانوا مع شركهم يعشرون المكابيل والموازين ، ويعشرون فى المعاملات ويقصون الناس أشياءهم ، فدعاهم إلى توحيد الله ونهاهم عن الشرك به وأمرهم بالعدل فى المعاملات ، وحرهم عن المحسن فى المعاملات ، وذكرهم الخير الذى دبره الله عليهم ، والأوراق المتنوعة ، وأنهم ليسوا بحجة إلى حال الناس فى أموالهم ، وحوهم العذاب المحيط فى الدنيا من الآخرة ، فأجابوه ساحرين وردوا علمه متبهكين فقالوا ( يا شعيب أطلناك تأمرنا أن نترك ما يبد آناؤنا أو أن نعمل فى أموالنا ما نريد . أنت لست الخليل الرشيد ) أى نحن حارمون على عبادة ما آناؤنا يعبدون ، وحرمون على أن نعمل فى أموالنا ما نريد من أى معاملة نكون فلا ندخل تحت أوامر الله وأوامر رسله ، فصر لهم ( يا قوم ، رأيتم إن كنت على بينة من ربي وورقي منه رداً حسناً ) أى أعفاني الله ( وما أريد أن أخافكم لى ، أنتم كم عنه ) أى ما يبتكم عن المعاملات الحبيثة وظلم الناس فيها ، لا وأن أكون نارك لها مع أن الله أعطاني ووسع على وأنا محتاج إلى المعاملة وسكنى متعبد بطاعة ربي ، إن أريد فى معنى وأمرى لكم بالإصلاح أى أن تصح أحوالكم لدينية والنبوية ما سقطت « وما نوصيكم إلا بالله عليه توكلت وإلى الله ألقب »

ثم حوهم أحداث الأمم التي حولهم في الزمان والمكان فقال ( ولا يجرمكم شقاقكم أن تصيكم  
 مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم سعيد ) ثم عرض عليه  
 النومة ورعيه . وقال ( واستمروا : منكم من توأما ليه . يا ربى رحيم ودود ) فلم يصد بهم  
 فقالوا ( م نفعه كثيراً مما تقول ) وهذا لعادهم ومعصية السبع للحق ( وبك لنراك قريباً صعيماً ولولا  
 رهطك رحماك وما أنت عيب بمر ) قال ( يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم  
 صهرياً ، يا ربى ، نعمه من محيط ) ثم لما رأى عتوهم قال ( ويا قوم اعلموا على مكانتكم : فى عامل سوء  
 تعلمون من يأتته عدب بحريه ومن هو كاذب : وادعوا إلى معكم رقيب . فلما جاء أمرنا نجينا  
 شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وبمخيبيهم من عاداب غليظ ) فأرسل الله عليهم حراً أخذ بأفئسهم  
 حتى كانوا يحشقون من شره ، ثم فى ثناء ذلك أرسل سبحانه باردة فأطلمتهم فقتلوا إلى ظلمها غير  
 الظليل ، فله احتدموا بموا التهمت عليهم ناراً فأحرقتهم وأصبحوا حديد من مدبرين مدبرين  
 مدونين فى جميع الأوقات .

وفى قصة شعيب فوائد متعددة : —

مها أن يحس المسكاييل وموارى خصوصاً ، وبخس لاس أشياءهم عموماً من أعظم الجرائم  
 الملوحة لعقوبات الدنيا والآخرة

ومها أن المعصية الواقعة من عدم منه الداعى والحاجة إليها عظم ، ولهذا كل الرما من الشيع  
 فصح من الشاب ، والكسر من الفقير أنصح من الغنى . والسرقة من ليس يحتاج عظم من وقوعها  
 من المحترج لهذا قال شعيب لقومه ( فى أراكم بحير ) أى نعم كثيرة ، فأى أمر أحوكم إلى  
 المجمع إلى ما مأيدى لاس بطرق محرمة .

ومنها قوله ( بنية الله خير لكم ) فيه الحث على الرضا بما أعطى الله والاكتفاء بحلاله عن  
 حرامه ، وقصر النظر على الموحود عندك من غير تطلع إلى ما عند لاس .

ومنها فيه دلالة على أن الصلاة سبب لفعل الخيرات وترك المسكرات وللصليحة لعداد الله ،  
 وقد علم ذلك الكفار بم قاتوا شعيب : أصلاتك تأمرك أن تترك ما يصد آباؤنا أو أن تفعل  
 فى أموالنا نشاء ، إنك لآست الخليل الرسيد » وقال تعالى « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء  
 والمسكر » ومن هنا تعرف حكمة الله ورحمته فى أنه فرض علينا الصلوات تتكرر فى اليوم والليلة  
 لعظم وقها وشدة نفعها وحيل آثارها ، فله على ذلك نتم الحمد .

ومها أن العبد فى حر كات يده ونصراته وفى معاملاته المالية داخل تحت حجر الشريعة ،  
 فما أتيح له منها فله ، وما منعه الشرع تعين عليه تركه ، ومن يرغم أنه فى ماله حر له أن يفعل

ما يشاء من معاملات طيبة وخبيثة ، فهو بمنزلة من يرى أن عمل بدنه كذلك ، وأنه لا فرق عنده بين الكفر والإيمان ، والصدق والكذب ، وفعل الخير والشر الكل مباح . ومن المعلوم أن هذا هو مذهب الانحياضيين الذين هم شر الخليقة ، ومذهب قوم شعيب بشبه هذا لأنهم أنكروا على شعيب لما اتهمهم عن المعاملات لظلمة ، وأباح لهم مواها ، فردوا عليه أنهم أحرار في أموالهم لهم أن يفعلوا ، فبب ما يريدون ، ونظير هذا قول من قال إنما البيع مثل الربا ، فمن سوى بين ما أباحه وبين ما حرمه الله فقد انحرف في فطرته وعمله بعد ما انحرف في ديبه .

ومنها أن الصالح للحق الذي يأمرهم وينهاهم من تمام قبول الناس لقوله أنه إذا أمرهم بشيء أن يكون قول القاعدين له ، وإدانيهم عن شيء كان أول التاركين لقول شعيب ( وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه )

ومنها أن الأنبياء جميعهم بمنزلة بالإصلاح والصلاح ، ونهوا عن الشرور والفساد ، فكل صلاح وإصلاح ديني وديني هو من دين الأنبياء ، وخصوصاً إمامهم وحائهم عند سيدنا محمد فانه أئدي وتعد في هذا الأصل ووضع للحق الأصول السامعة التي يحرون عليها في الأمور العادية والدينية كما وضع لهم الأصول في الأمور الدينية ، وأنه كما أن على العبد السعي والاحتشاد في فعل الإصلاح والإصلاح ، فعليه أن يستمد العون من ربه على ذلك ، وأن يعلم أنه لا يقدر على ذلك ولا على تسكيهه إلا بالله فهو شعيب ( إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ) .

ومنها أن الداعي إلى الله يحتاج إلى الحلم وحسن الخلق ومقابلة السيئين بأقوالهم وأفعالهم بصد ذلك ، وأن لا يحفظه أدى الحق ولا يصد عنه شيء من دعوته ، وهذا الخلق كاله لمرسل صلوات الله عليهم وسلم ، فانصر إلى شعيب عليه السلام وحسن خلقه مع قومه ودعوته لهم بكل طريق وهم يسمعون الأقوال السنية ويصوبونه بمقابلة السعية ، وهو عليه السلام يحلم عليهم ويصفح ويتكلم معهم كلام من لم يصدر منهم ، وفي حقه إلا الاحسان ويرون هذا الأمر أن هذا خلق من طفرته وحاربه فقد طار بالخط العظيم ، وأن مدحه عند الله المصائب العلية والعيب المقيم ، ويرويه أنه يصلح أمماً قد طبعوا على أخلاق الرثم وسمعهم ضرب من قلع الجبال الرواسي ، ومرنوا على عقائد ومذاهب بذلوا فيها الأموال والأرواح ودموها على جميع مبهت عدمهم ، أفتظن مع هذا أن أمثال هؤلاء يقتنعون بمجرد القول بأن هذه مذاهب باطلة وأقوال فاسدة ، أم تحسبهم يغفرون لمن نالها سوء كلام الله إن هؤلاء يحتاجون إلى معالجات متنوعة بالطرق التي دعت إليها الرسل ، يدكرون بسم الله وأن الذي تمرد بالعم يتعين أن يفرد بالمعادة ، وبذكر لهم من تفاصيل العلم ما لا يعد ولا يحصى ،

ويذكرون بما في مذاهبهم من الزيف والفساد والاضطراب والتمحض المزلل للعقائد الداعى إلى تركها ، ويدكرون ما بين أيديهم وما خلفهم من أيام الله ووقائمه بالأمم المسكونة للرسول ، المسكونة للتوحيد ، ويدكرون بما في الايمان بالله وتوحيده ودينه من المحسن والمصالح والمافع الدينية والدينية الجارية للقلوب المسبلة لكل مطلوب ، ومع هذا كله فيفتح الخلق إلى الاحسان اليهم ويدل المعروف ، وأقل ذلك الصبر على أذام وتحمل ما يصدر منهم ولين اسكلام معهم ، وسلوك كل سبيل حكمة معهم ، والتقل معهم في الأمور بالاصطفاء ببعض ما تسمح به أنفسهم ليستدرج بهم إلى تكميله ، ولنداء بالأمم قلام ، وأعظمهم تيمناً بهذه الأمور وغيرها سيدهم وخاتمهم وإمام الخلق على الإطلاق محمد ﷺ .

### ﴿ قصة موسى وهارون عليهما السلام ﴾

قد ذكر الله لموسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام صيرة طويبة ، وراق قصصه في مواضع من كتابه بأساليب متنوعة واختصار أو بسط يليق بذلك المقام ، وليس في قصص القرآن أعظم من قصة موسى ، لأنه طالع فرعون وجنوده ، وطالع بني اسرائيل أشد المعالجة ، وهو أعظم أنبياء بني اسرائيل ، وشريسته وكتابه التوراة ، هو مرجع أنبياء بني اسرائيل وعلمائهم واتباعه أكثر أتباع الانبياء غير أمة محمد ﷺ ، وله من القوة العظيمة في اقامة دين الله والدعوة اليه والنيرة العظيمة ما ليس لغيره ، وقد ولد في وقت قد اشتد فيه فرعون على بني اسرائيل فكان يبيع كل مولود ذكر يولد من بني اسرائيل ويستحيي النساء للخدمة والامتهان ، وما ولدته أمه خافت عليه خوفاً شديداً ، فان فرعون حمل على بني اسرائيل من بريق ساءهم ومواليدهم ، وكان يبيتها على ضفة نهر النيل فأعلمها الله أن وضعت له تابوتاً إذا جاءت أحداً ألقته في النهر وربطته بحبل للتأخرى به حرية الماء ، ومن لطف الله به أنه أوحى لها أن لا تحبى ولا تحرنى إيماناً رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين ، فلما ألقته ذات يوم انفلت رباط التابوت ، فذهب الماء بالتابوت الذي في وسطه موسى ، ومن قدر الله أن وقع في يد آل فرعون وحى به إلى امرأة فرعون آسية فلما رآته أحته حماً شديداً ، وكان الله قد ألقى عليه المحبة في القلوب وشاع الخبر ووصل إلى فرعون فطلبه ليقتله ، فقالت امرأته لا تقتلوه فرة عين لي ولك عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ، فمحا بهذا السبب من قتلهم ، وكان هذا الآخر الطيب والمقدمة الصالحة من السعي المشكور عند الله ، فكان هذا من أسباب هدايتها وإيمانها بموسى بعد ذلك .

ما ثم موسى فانها فرغت وأصبح قوادها غارغا ، وكاد الصبر أن يظلب فيها إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ، وقالت لأخته قصيه وتحسني عنه ، وكانت امرأة

فرعون قد عرّضت عليه المراص فلم يقبل ثدى امرأة ، وعطش وحمل يتوى من الجوع وأخرجه الى الطريق لعل الله أن ييسر له أحداً ، فحانت من أخته نظرة اليه ونصرت به عن حنب وهم لا يشعرون شأنها ، فلما أقبلت عليه ومهت منهم أنهم يظنون له مرصعا قلت لهم : هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ؟ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ثم ذكر الله في هذه السورة قصة مفصلة واضحة ، وكيف تنقلت به الأحوال ، قراءتها كافية عن شرح معناه ، بوضوحها وتفصيلاتها ، والله تعالى ما فصل لنا إلا ما ننتفع به ونعتبر به ، ولكن في قصته من العبر والفوائد شيء كثير ننبه على بعضها .

### ﴿ ذكر الفوائد المستنبطة صاعداً و طهراً و تكميلاً أو تعاليل من قصة موسى عليه السلام ﴾

منها : لطف الله بأمر موسى ، بذلك الإلهام الذي به سلم أسرها ، ثم تلك الإشارة من الله لما رده إليها ، التي لولاها لقصى عليها الحزن . وفي ولدها ، ثم رده إليهم سبحانه اليه ، صراعاً بتحريم المراص عليه وبذلك وغيره يعلم أن اللطاف الله على أوليائه لا يتصورها العقول ، ولا تعبر عنها العبارات ، وتأمل موقع هذه الإشارة ، ثم رده الله ترصعه جهرًا وتأخذه عليه أخراً ونسى أمه شرعاً وقدره وبذلك اطمان قلب وارداد يمينه ، وفي هذا مصداق لقوله تعالى ( وعسى أن نكفرها شيئاً وهو خير لكم ) فلا أكره لكم موسى من وقوع انقباب بيد آل فرعون ، ومع ذلك ظهرت عواقبه الحميدة وآثاره الطيبة .

ومنها : أن آيات الله وعبره في الأمم ابنة : إنما يستفيد منها ويستنير بها المؤمنون ؛ والله يسوق القصص لأحدهم ، كما قال تعالى في هذه القصة ( فتوكل على الله ، فلو كان معه جبار معك ) لقوم يؤمنون .

ومنها : أن الله يدرئ دسائسهم ويسببهم ، وأنى به شيئاً فشيئاً بالتدريج لإدفعه واخذه .

ومنها : أن الأمة المستضعفة ولو بلغت في الضعف ما بلغت لا يسع أن يستولى عليه الكمال عن السعي في حقوقه ولا اليأس من الارتقاء إلى أعلى الأمور ، خصوصاً إذا كانوا مطروحين ، كما استفاد الله بني إسرائيل - على ضعفها واستعدادها لفرعون ومنه منه - ، ومكسبهم في الأرض ومساكنهم ملائمتهم .

ومنها : أن الأمة ما دامت دليلاً متهورة لا تطالب بحمها لا يقوى لها أمر دسها كما لا يقوم لها أمر دسها .

ومنها : أن الخوف الطبيعي من الخلق لا ينافي الإيمان ولا يربيه ، كما جرى لأمر موسى وموسى والخوف من تلك الخوف

ومنها - أن الإيمان يريد ويتضمن لقوله ( ولتكون من المؤمنين ) والمراد بالإيمان هو رغبته وزيادة طمأنينته .

ومنها أن من عظم نعم الله على العبد تثبيت الله به من المقلقت والمخوف ، فإنه كما يرداد به إيمانه ونوايه فإنه يتمكن من التوكل والصواب ، ويسبى دأبه وأفكاره ثباته ، وأما من لم يحصل له هذا الثبات ، فإنه لضعفه وروعه يصيب فكره ويدهل غشه ولا ينتفع بنفسه في تلك الحال .

ومنها . أن العبد وإن عرف أن التقصير والقدر حق ، وأن وعد الله قد لا يدمر ، فإنه لا يمكن فعل الأسباب التي تمنع ، فإن الأسباب والسعي قيم من قدر الله ، فإن الله قد وعد أن موسى أن يردده عليم ، ومع ذلك لما التفتله أن فرعون سمع بالأسباب وأرسلت تحت يده وتعمل الأسباب المناسبة لتلك الحال .

ومنها . حوار خروج المرأة في حوائجها وتكليمها للرجال ، إذا انتهى المحذور ، كما صنعت تحت موسى وأبنت صاحب مدين .

ومنها . حوار أحد الأحرار على الكهنة والرصاص ، كما فعلت أم موسى ، فإن شرع من قبلنا شرع لما لم يرد من شرعنا ما يسحه .

ومنها أن قتل الكافر الذي له عهد بمقد أو عرف لا يجوز ، فإن موسى سمع على قتله القبطي واستغفر الله منه وتاب إليه .

ومنها أن الذي يقتل النفوس نفي حق بعد من الحباريين المفسدين في الأرض ، ولو كان عرصه من ذلك الأرواح ، ولو رعم أنه مصلح حتى يد الشرح بما يليق بقتل النفس .

ومنها : أن احذر العير بما قيل فيه وعنه على وجه التحذير له من شر يقع به لا يكون نهيته ، بل قد يكون واحداً ، كما صدق الله حين ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى محذراً لموسى على وجه الثناء عليه .

ومنها . إذا خاف التلذذ بالقتل لعبير حق في إقامته في موضع ، فلا يلقي بيده إلى التهمكة ويستسلم للهلاك ، بل يفر من ذلك الموضع مع القدرة كما فعل موسى .

ومنها : إذا كان لا يد من ارتكاب إحدى مفديتين تهيئ ارتكاب الأخرى منها الاسم دفعا لما هو أعظم وأخطر ، فإن موسى لما دار الأمر بين بقاءه في مصر ولكمه يقتل وذهابه إلى بعض البلدان البعيدة التي لا يعرف الطريق إليها ، وليس معه دليل يده غير هداية ربه ، ومعلوم أنها أرحم بالسلامة لا حرم آثرها موسى .



ومنها . فيه تسمية لطيف على أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى العمل أو التكلم به إذا لم يترجح عنده أحد القولين ، فإنه يستهدي به ويأمله أن يهديه إلى الصواب من القولين بعد أن يقصد الحق بقصده ويبحث عنه ، فإن الله لا يحب من هذه حاله ، كما جرى لموسى لما قصد تلقاء مدين ولا يدرى الطريق المعين اليه قال ( عسى رب أن يهديني سواء السبيل ) وقد هداه الله وأعطاه بما رجاه وتمناه .

ومنها : أن الرحمة والاحسان على الخلق ، من عرفه العبد ومن لا يعرفه ، من أخلاق الأنبياء . وأن من حمة الاحسان الاعانة على سقى الماشية ، وخصوصاً آمنة العاهر ، كما فعل موسى مع ابنتي صاحب مدين عجب سقى لها ، لما رأتهما عاجرتين عن سقى ماشيتهما قبل صدور الرعاة . ومنها : أن الله كما يحب من الداعي أن يتوسل اليه بأسمائه وصفاته ونعمه العامة واخصاه ، فإنه يحب منه أن يتوسل اليه بضعفه وعجزه وقره وعدم قدرته على تحصيل مصالحه ودفع الأضرار عن نفسه كما قال موسى ( رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ) لما في ذلك من اظهار التصرع والمسكنة والافتقار لله الذي هو حقيقة كل عبد .

ومنها . أن الخيرة والمكافأة على الاحسان لم يزل دأب الأمم الصالحين . ومنها . أن العبد إذا عمل العمل لله خالصاً ثم حصل به مكافأة عما به نفير قصده فإنه لا يلام على ذلك ولا يخل بإخلاصه وأجره ، كما قل موسى مكافأة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يطله ولم يستشرف له على معاوضة

ومنها . جواز الاحارة على كل عمل معوم في نفع مملوء أو من مسمى ، وأن مرد ذلك إلى العرف ، وأنه يجوز الاحارة وتكون المنفعة النصح ، كما قال صاحب مدين ( إني أريد أن أنكحك إحدى بنتي هتين ) الآية . وأنه يجوز للابن أن يحطب الرجل لابنته ونحوها من هو ولي عايله ولا نقص في ذلك ، بل قد يكون نفعا وكالا ، كما فعل صاحب مدين مع موسى

ومنها قوله ( من خير من استأجرت النوى الأمين ) هذان الوصفان بهما تمام الأعمال كلها ، فكل عمل من الولايات أو من الخدمات أو من الصاعات أو من الاعمال التي لقصد منها الحفظ والمراقبة على المال والأعمال إذا جمع الاسان الوصفين ، أن يكون قويا على ذلك العمل بحسب احوال الأعمال ، وأن يكون مؤتمنا عليه ، ثم ذلك العمل وحصل مقصوده ونمرته ، والحيل والنقص سببه الاحلال به أو تأخيرهم

ومنها من أعظم مكارم الاخلاق تحسين الخلق مع كل من يتصل به من خادم وأجير ووروة وولد ومعامل وغيرهم ، ومن ذلك تخفيف العمل عن العامل لقوله ( وما أريد أن أشق عبيك ، ستحبني إن شاء الله من الصالحين ) وفيه أنه لا بأس أن يرغب العامل في معامته بالمعاوصات

والاجرات بأن يصف نفسه بحسن المعاملة بشرط أن يكون صدقاً في ذلك  
ومنها حوار عقد المعاملات من احلارة وغيرها بغير اسم دلقو ( والله على ما نقول وكيل )  
وتقدم أن الاشهاد تحفظ به الحقوق ، وتل المد رعب ، وانس في هذا الموسع درجت متماوتة  
وكذلك الحقوق

ومنها الآيات البينات التي أبد الله بها موسى من انقلاب عصه التي كال يعرفها ( حية تسمى )  
ثم عودها سيرتها الأولى ، وأن يده إذا ادحها في حية ثم أخرجها صارت بيضاء من غير سوء  
للطائر ينمو من رحمة الله وحديثه لموسى وهرون من فرعون ، وانه من اطلاق الحجر لمصره موسى نهضاه  
فصار اثني عشر طريقاً وسلكه هؤلاء ، فحقوا ، وتوم فرعون فملاكوا ، وغير ذلك من الآيات  
المتتابعات التي هي براهين وآيات لمن رآه وشاهدها ، وبراهين لمن سمعها ، غالب نقلها من مطبعه مصدر  
اليقين ، الكتب المتأوية ، ونقلها القرون كلها ، ولم يسكر من هذه الآيات إلا جاهل مكابر  
زنديق ، وجميع آيات الانبياء بهذه المثابة .

ومنها أن آيات الانبياء وكرامات الاولياء ، وما يخبره الله من الآيات ومن تغيير الاسباب أو  
من سببها أو احتيجها إلى سبب آخر أو وجود مواعيع تعونها هي من البراهين العقلية على  
وحدانية الله ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن أقدار الله لا يخرج عنها حدث حليل ولا حسير ،  
وأن هذه المعجزات والكرامات والتغييرات لا تأتي ما حصل الله في هذه المحفوظات من الاسباب  
المحسوسة والنصمات المعهودة ، وإنك لا تجد لـ الله تمديلاً ولا تحويلاً ، فان سن الله في جميع  
الحوادث السابقة واللاحقة قسماً :

أحدهما وهو جمهور الحوادث والاسكائنات والاحكام الشرعية والقدرية وأحكام الجراء  
لا تتغير ولا تبدل عما يهده الس وعرفون أسببه ، وهذا القسم أيضاً مدرج في قدرة الله  
وقضائه ، ويستفاد من هذا العلم بكان حكمة الله في خلقه وشرعه ، وأن الاسباب والحديات من  
سلك طرقها على وجه كامل أفصت به إلى نتائجها ونماتها ، ومن لم يسلكها أو سلكها على وجه  
ناقص لم يحصل له الثمرات التي رتب على الأعمال شرعاً ولا قدرأ ، وهذه توجب للسعد أن يحمد  
ويجتهد في الاسباب الدينية والدنيوية السعة مع استعنته بالله والتساع على ربه في تيسرها وتيسير  
اسباب وآلاتها وكل ما تنوقف عليه

القسم الثاني - حوادث معجزات الأنبياء ، التي تواترت نواتراً لا يتواتر مثله في جميع الأخبار  
وتساقطها القرون كلها ، وكذلك ما يكره الله به عباده من احاطة الدعوات وتبرج الكرامات وحصول

المطالب المتنوعة ودفع المكافأة التي لا قدرة للمدعي دفعها ، والعقوبات الربانية والالطامات الالهية والاثوار التي يقذفها الله في قلوب خواص خلقه فيحصل لهم بذلك من اليقين والطمينة والعلوم المتنوعة مالا يدرك بمجرد الطلب وصل السبب ، ومن نصرة للرسل وتناعهم وحدانه لاعدااتهم وهو مشاهد في كثير من الأوقات ، فهذا القسم ليس عند الخلق اعتداء على أساس هذه الحوادث ولا حمل لهم في الأصل وصول إلى حقيقتها وكهها ، وإنما هي حوادث قدرها الرب العظيم الذي هو على كل شيء قدير بأسباب وحكم وسنن لا يحيطها الخلق ، ولا لحواسهم وتحدتهم وصول اليها بوجه من الوجوه ، وبها آمن الرسل من أولهم إلى آخرهم وأنواعهم ، الأولون منهم والآخرين ، وبها يعرف عظمة السدري ، وأن مواهي العباد بيده ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ويعرف بذلك صحة ما حدث به الرسل ، كما يعرف أيضاً بالقسم الأول ، وكما أنه لا سبيل إلى العبد في هذه الدار إلى إدراك كنه صفات اليوم الآخر وكنه ما في الجنة والدار ، وإنما يعدون منها ما تلقته من الرسل ورأت به الكتب ، ولا سبيل إلى أهل هذه الكون الارضى للوصول إلى العالم السماوى ، ولا سبيل لهم إلى جحيم الموتى وإيجاد الأرواح في اجسادات - فكذلك هذا النوع العظيم من حوادث الكون ، وإنما أطلقنا الكلام على هذه المسألة وإن كانت تستحق من التبسط أكثر من هذا الأمرين .

أحدهما . أن الرندة المتأخرين الذين أنكروا وجود السدري وأنكروا جميع ما أخرجت به الرسل والكتب السماوية من أمور الغيب ، ولم يثبتوا من المبدء إلا ما وصلت إليه حواسهم وتجاربهم القاصرة على بعض علوم الكون ، وأنكروا ما سوى ذلك ، ورعوا أن هذا العلم وهذا النظام الموجود فيه لا يمكن أن يعبره غير ، أو يعبر شيئاً من سده ، وأنه وحده صدقة من غير إيجاد موحد ، وأنه آله تعالى بنفسه وطبيعته ، ليس له مدبر ولا رب ولا خالق ، وهؤلاء جميع أهل الأديان يعرفون مكابرتهم ومباهتتهم لأنهم كما عبدوا الذين بالكيفية فقد احتلت عقولهم الحقيقة ، وأنكروا تحلى الحقائق وصحتها ، وأعظمها بهين وآيات ، وأنها مقولهم القاصرة وآرائهم الفسدة ، هؤلاء أمرهم معلوم ولكن .

الأمر الثانى : أن بعض أهل العلم المعصرين الذين يتظاهرون بغير الاسلام ، والدخول مع هؤلاء الرندة في الجدل عنه يريدون بإحتيادهم وإغترارهم أن يظفروا السنن الالهية ، وأمور الآخرة على ما يعرفه المبادئ بحواسهم ويذكر كونه بتجربتهم ، فخرقوا لذلك المنهج ، وأنكروا الآيات السنية ، ولم يستعينوا إلا بالسرر على أنفسهم وعلى من قرأ كتاباتهم في هذه المباحث ، ودفع عنهم بالله تحريفهم للمعجزات الأنبياء تحريماً يؤول إلى إنكارها وإنكارهم هذا النوع العظيم من قضاء الله وقدره ، وصفت يمين من وصف على كلامهم ممن ليست له نصيرة ولا عهده من

العلوم الدينية ما يبطل هذا النوع . ولم يحصل ما رعموه من جلب الماديين إلى الهدى والدين ، بل زادهم غمراً في مذهبهم ، لما رأوا أمثال هؤلاء ، يحولون ارجاع النصوص الدينية ومعجزات الانبياء وأموال العيب إلى غيره هؤلاء القاصرة على التعارض والمدرجات بالحواس ، فيما عظم المصيبة وياشدة الحرم المروق ؛ ولكن ضعف الصبورة والاعتجاب برندقة الدهريين ، وحب التصنع لأقوالهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومنها أن من عظم العقومات على العبد أن يكون إماماً في الشر وداعياً إليه ؛ كما أن من اعظم نعم الله على العبد أن يجمعه رباً في الخير هادياً مهيئاً ، قال تعالى في فرعون ومنه (وحملناه أثمة يهودون إلى النار) (وقل) (وحملناه أثمة يهودون ما أمرنا)

ومنها ما في هذه القصة من الدلالة على رسالة محمد ﷺ إذ أخبر بهذه القصة وغيرها خبراً مفصلاً مطبقاً وتأصيلاً . ووافقاً ، قصة قصاً صدق به المرسلين وأيد به الحق المبين ، وهو لم يقتصر في شيء من تلك المواضع ولا درس شيئاً عرف به أحوال هذه التفصيلات ، ولا جالس واحد عن أحد من أهل العلم ، بل هو إلا رسالة الرحمن الرحيم ، ووحى نزل عليه الكريم المنان لينذر به العباد جميعين . ولهذا يقول في آخر هذه القصة (وما كنت بجانب الطور ، وما كنت بجانب الغربي إذ أوحينا إلى موسى ، وما كنت نوباً في أهل مدين) الآية . وهذا نوع من أنواع إلهام رسالته ومنها ذكر كثير من أهل العلم ؛ انه يستفاد من قوله تعالى عن حوار موسى لربه لما سأله عن العصا فقال (وما تلك بيمينك يا موسى) قال هي عصاى أنوكأ عايبها وأهش بها على غنمي) الآية ، استحب استصحاب العصا لما فيه من هذه المدافع المنيعة والمحملة في قوله (ما رب أخرى) وانه يستفاد منها أيضاً الرحمة بالبهائم والاحسان لبيها ولسمى في ردة ضررها .

ومنها أن قوله جل ذكره (ثم الصلاة لذكرى) أي ذكر العبد لربه هو الذي خلق له العبد منه صلاحه وفلاحه ، وإن المقصود من اقامة الصلاة إقامة هذا المقصود الأعظم ، ولولا الصلاة التي تشكر على المؤمنين في اليوم والليلة لتدكرهم الله ، ويتدعون فيها قراءة القرآن والشهادة على الله ودعائه والتقصوع له الذي هو روح الذكر ، لولا هذه النعمة لكانوا من الغافلين . وكما أن الذكر هو الذي خلق الحق لأخيه ، والعبادات كلها ذكر لله ، فكذلك الذكر يمين العبد على القيام بالبطاعات وإن شئت ، ويرون عليه الوقوف بين يدي الحبايرة ، ويحذف عليه الدعوة إلى الله ، قال تعالى في هذه القصة (كي نسحك كثيراً ونذكرك كثيراً) وقل (أذهب أنت وأهلك رباني ولا نبيا في ذكرى) ومنها : إحصاء موسى ﷺ على أخيه هارون إذ طلب من ربه أن يكون نبياً معه ، وطلب المعاونة على الخير والمساعدة عايبه إذ قال (واحملني وربراً من أهلي هارون أحي أشدد به أزري وأشركه في أمري) الآية .

ومنها : أن العصاة والذين هم على التعليل وعلى إقامة الدعوة ، لهذا طلب موسى من ربه أن يحمل عقدة من لسانه ليعتقوا قوله ، وأن اللثة لأعيب فيها إذا حصل الفهم للكلام ، ومن كمال أدب موسى مع ربه أنه لم يسأل زوال اللثة كلها ؛ بل سأل إزالة ما يحصل به المقصود .

ومنها : أن الذي ينبغي في محاسبة الملوك والرؤساء ودعوتهم وموعظتهم : الرفق والكلام اللين الذي يحصل به الأفهم بلا تشويش ولا عنطة ، وهذا يحتاج إليه في كل مقام ، لكن هذا أهم المواضع . وذلك لأنه الذي يحصل به الغرض المقصود ، وهو قوله ( لعل يتذكر أو يحشى )

ومنها : أن من كان في طاعة الله مستعيناً بالله واتقاً بوعده الله راحياً ثواب الله ، فإن الله معه ومن كان الله معه فلا خوف عليه ، لقوله تعالى ( لا تخافا ) ثم علله بقوله ( إني معكما أسمع وأرى ) وقال تعالى ( يدعون لصاحبه لا تحزن إن الله معنا )

ومنها : أن أسباب العذاب منحصرة في هذين الوصفين ( إدا قد توحى اليك أن العذاب على من كذب وتولى ) أي كذب حبر الله وحبر رسله ، وتولى عن طاعة الله وطاعة رسله ، ونظيرها قوله تعالى ( لا يصلاح ولا الآسفي الذي كذب وتولى )

ومنها : أن قوته تعالى ( وإني لعدو لمن تاب وآمن وعمل صالحاتم اهتدى ) سوجب الله بها الأسباب التي تدرك بها مغفرة الله

أحدها : التوبة ، وهو الرجوع عما يكرهه الله طهراً ونهياً إلى ما يحبه الله طهراً وباطناً ، وهي نجبة ما قبلها من الذنوب صفارها وكبارها .

الثاني : الإيمان ، وهو الاقرار والتصديق بإجازه العام بكل ما أخبر الله به ورسوله ، الموجب لأعمال القلوب ، ثم تنمها أعمال الجوارح ، ولا ريب أن مدى إقبال من الإيمان بالله وكشفه ورسوله ولذوم الآخر الذي لا ريب فيه ، أصل الطاعات وأكبرها وأوسعها ، ولا ريب أنه يحجب قوته يدفع السيئات ، يدفع ما لم يقع فيمتنع صاحبه من وقوعه ، ويدفع ما وقع بالاتباع بما ينافيه وعدم إصرار لقلب عليه ، فإن المؤمن ما في نفسه من الإيمان ونوره لا يجامع المعاصي .

والثالث : العمل الصالح ، وهذا شامل لأعمال القلوب وأعمال الجوارح وأقوال اللسان والحسنات يذهب السيئات .

الزائم : الاستمرار على الإيمان والهداية والاردياد منها . فمن كمل هذه الأسباب الأربعة عليه بشر بمغفرة الله العامة الشاملة . ولهذا أتى فيه بوصف المتألفة فقال ( و إني لغفار ) ولستف من قصة موسى بهذه الفوائد ، مع أن فيها فوائد كثيرة للمسلمين .

## ( قصة يونس صلى الله عليه وسلم )

وهو من أنبياء بني إسرائيل العصام . بعثه الله إلى أهل نينوى . فندبهم  
إلى الله تعالى فأتوا عليه ، ثم كرر عليهم الدعوة فأتوا . فوعدهم لعذاب وجح من بين أشهرهم  
ولم يصبر الصبر الذي ينبغي ، ولا كفه أتق مخلصاً لهم . وهم لما ذهب إليهم ألقى في قلوبهم  
التوبة إلى الله والابانة بعد ما شاهدوا مقدمات لعذاب ، وكشف الله عنهم العذاب  
والظاهر أن يونس علم أن كشف العذاب عنهم واستمر في دهايه عنهم ، ولهذا قال تعالى ( إذ  
ذهب مخلصاً ) وقال تعالى ( إذ أتى إلى الظلمات المشحون ) فركب في سفينة موفرة من الركاب  
والأحمال ، وما توسلوا لبحر شارفت على العرق ودار الأمر بين أن يلقوا جميعاً فيها فيهلكوا  
وبين أن يلقوا بمصرهم بمقدار ما تحب السفينة فيسلم لفاقول . فاحذروا لآخر أمدهم ونوفهمهم  
فاقتنعوا ، وأصابت القرعة باسمهم ، ومهم يونس عليه السلام ، ولهذا قال ( وكان من المدحجين ) أي  
المعويين في القرعة . فالتقوا فالتقوا حوت في البحر ابتلاءً ، لم يكسر له عظماً ولم يصنع له لحماً  
فما صار في جوف الحوت . في تلك الظلمات نادم ( لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من  
الظالمين ) فأمر الله الحوت أن يلقه بالمراء . فخرج من بطنها كالفرح الممعوط من السيصة في  
حياة لضيق والوهن ، فطلب الله له وأنت عليه شجرة من يقطين ، فأنقذه بطنها لتليل حتى  
قوى وشدت ، وأمره الله أن يرحم إلى قومه فيعلمهم ويدعوهم ، فاستجاب له أهل بلده مائة ألف  
أو يزيدون فآمنوا فقتنعهم إلى حين .

وفي هذه القصة عذب الله ليونس ( من ) اللطيف وحسنه في بطن الحوت ليكون كفارة  
وآية عظيمة وكرامة ليونس . ومن نعمه الله عليه أنه استجاب له هذا العدد الكثير من قومه  
فكثرة أتباع الانبياء من جملة فضائلهم .

وفيها استعمال القرعة عند الاشتباه في مسائل الاستحقاق والحرمان إذا لم يكن مرجح  
سواها ، وفي عمل أهل السفينة بعد العمل دليل على القاعدة المشهورة أنه يرتكب أحسن  
الضررين لدفع الضرر الذي هو أكبر منه ، ولا يب أن الفاء نصبه وإن كان فيه ضرر ؛  
فطلب الجميع إذا لم يلق أحد أعظم .

وفيها أن العدد إذا كانت له مقدمة صالحة مع ربه وقد يعرف إلى ربه في حال الرجاء ، أن الله  
يشكر له ذلك ويدفعه في حال الشدة يكشفها بالكلمة أو تخفيفها ، ولهذا قال في قصة يونس ( فلولا  
أنه كان من المسيحين لثبث في بطنه إلى يوم يبعثون )

وفيها ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم - دعوة أبي ذى النون ما دعى به مكروب إلا فرج الله عنه ( لا إله  
إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين )

وفيها الإيمان يحيى من الأهلوال والشهداء لقوة تعالى (وكذلك ننجي المؤمنين) أى إذا وقعوا فيها لا يمتهم .

### قصة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام

وكان من أعظم أنبياء بنى اسرائيل ، وجمع الله له بين السوة والحكمة والملك العظيم القوى أما داود عليه السلام فكان من حملة العسكر الذين مع طالوت انتهى اختياره أحد نبيى بنى اسرائيل ملكا على بنى اسرائيل لشجسته وقوته وسعه فى السياسة وعظم الجيوش ، كما قال تعالى ( ورأى سطة فى العلم والجسم ) ولما برروا الخلود وحدود دوسير عسكر طالوت واستعدوا بالله تفوق داود عليه السلام على الجميع بالشجاعة العظيمة ، فاشترى نفسه قتل ما كرهه خالوت وحصلت الهزيمة على بقيتهم . وبصر الله بنى اسرائيل ذلك المصير نأ الله داود وسطاء الحكمة والملك القوى ، كما قال تعالى ( وشددنا ملكه وآتينا الحكمة وفصل الخطاب ) وكان قد أعضه الله قوة فى العبدية ونصيرة ، ووصفه الله بهذين الوصفين الذين يثبت كل ائمة فقال ( اصبر على ما يقولون وادكر عند داود داودا الايسى إنه أواب ) فوصفه بأية العظيمة على ما أمر الله ، وأماه أواب لسكال معرفته بالله ، وكان الله تعالى قد سحر له الطير والجمال تسبح الله معه ، وكان قد أعطى من حسن الصوت وريخامته ما لم يؤب أحد من العالمين . وكان يسم صنف الليل ويقوم ثلثه ويصوم يوما ويعصر يوما ، وكان إذا لاقى العدو رعى الخلق من شجسته ما يحب المطربين ، وقد ألان الله له الحديد وعلمه صفة الدروع الواقية فى الحروب ، وهو أول من صنع الدروع السردية دون الخلق التى يحصل فيها الوقية وهى حذيفة الحمل . وقد عانته الله بسبب دسب أدنه بأن أرسل اليه ملكيين بصورة حصين ، فدحوا عليه وهو فى محرابه ففرع منهم بالآية دحوا شايه فى وقت لا يدح عليه فيه أحد وتسوروا المحراب وقالوا ( لا تخف حصين بنى بعض على بعض ، فاحكم بينا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ) ثم قص عليه احدى القصص فقال : إن هذا أخى له تسع وتسعون نسجة - والمراد بها امرأة - ولئى نسجة واحدة ، فقل أكفسيهم ، وعزنى فى الخطاب ، أى صار خطابه أقوى منى فمضى . فقل داود عليه السلام لقد طمك سؤال تعجلك الى معاجه ، وإن كثيرا من المخطاة لينى بعضهم الى بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، وعلم داود أنه هو المراد بهذه القصية فأنشئ الملك ( وطن داود ثوبا فتناه فاستغفر ربه وجر راكعا وأنتب يعمر به ذلك وإن له عندنا لازى وحسن مآب ) فحسب الله منه مذنب وعاد بعد التوبة أحسن مما كان قبل ذلك ، حصل له القرب العظيم من ربه وحسن المعاملة ، وقد الله له ( يا داود إنا جعلناك



حليقه في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ( الآية )  
 وأما سيدنا داود عليه السلام قال الله سبحانه أسوة دورث أمه عمه وسوته ومكة ، وراده  
 الله بمكة عظيم لم يحصل لأحد قبله ولا بعده ، سحر الله به الريح تجري بأمره وتدبيره برحمة ، أي  
 بسهولة حيث أراد ، غدوها شهر ورواحها شهر ، وسخر الله له الجن والشیاطين والعقاريت يعبدون  
 له الأعمال العجبة بحسب إرادته ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وحنان كالجواب ،  
 وقصور راسيات ، وذهب ونحى بأمره إلى حيث أراد ، وسحر له من الجنود من الالاس والجن  
 والعلمير ، فهم يورعون بتدبير عجيب ونظام غريب ، وعلمه الله منطق الطير وسائر الحيوانات ،  
 فكلمات تحطيه ويفهم ما تكلم به ، ولهذا خاطب الله ورجمه تلك المراحة ، وسمع لحنه ؛  
 بدت في قومه ( يا أيها الذين آمنوا مسكركم لا يعظمكم سيدان وجوده وهم لا يشعرون )  
 فحدثت وحشرت بما بقي من الحشر واستدرت عن سيدان وجوده ، فلماذا انتم سيدان صاحبان  
 قولها وقال ( رب أوردني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه  
 وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين )

ومن حسن نظامه وحرمة أنه يتفقد الجنود بنفسه ، مع أنه قد حصل لهم مديري ، فان قوله  
 ( فهم يورعون ) دليل على ذلك ، حتى أنه تفقد الطيور لي طرها هي لارمة لرا كزها فقال ( ماني  
 لا أرى الهدى أم كان من العائين ) وليس الأمر كما يقول كثير من المفسرين أنه طله ينظر  
 له الأرض وبعد ما ، فان هذا خلاف اللفظ القرآني ، فان الله لم يقل وطلب الهدى ، بل قال  
 ( وتفقد العائير ) ثم توعده لمخلفته لأمره ، ولما كان ملكه مدياً على كمال العدل استثنى فقال  
 ( لأعديه عداً شديداً أو لأدبحه ) وليأنيب سلطان ميين . فكث غير بعيد فقال : أحطت  
 بما لم تحط به وحشتك من سبأ بدأ يقين ، إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها  
 عرش عظيم ؛ وجبتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وري لهم ليطان أعظم فصدى عن  
 السبيل فهم لا يفتنون ، ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون  
 وما تعملون ، الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ) ففي هذه المدة القصيرة جاء الهدى بهذه  
 المعلومات العظيمة . أحبر سيدان عن ملك الديار اليمنية ، أن مسكنهم امرأة ، وأنهم قد أعطيت  
 من كل شيء يحتاج الملك إليه وأن لها عرشاً عظيماً ، ومعهم ملكهم وقومهم فهم أيضاً دينهم  
 وثبتهم مشركون يعبدون الشمس ، وأمر الهدى عليهم عاية الاسكار ، هذا من الأدلة على أن  
 الحيوانات تعرف ربهم وتسبحه وتوحده ، وتحب المؤمنين وتدين ربه بذلك ، وتعلم الكفا  
 المكذبين ، وتدين الله بذلك . فقال له سيدان ( مسطر صدقت أم كمت من الكاذبين ، اذهب

دكتابتى هذا فأنه ليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا جعون ) فذهب بالكتاب فالتقاء في حجر امرأة ملكة سبأ ، فقرأته عطية ، حدث وأرغعت منه فرساً وجعت رؤس قومها فقلت ( يا أيها الملك ) إنى لقي إلى كتب كرم : إياه من سليمان ، وبه اسم الله الرحمن الرحيم لا تعلموا على واهتوني مساهم ) كتب مختصر جامع فيه المتقود كله . قالت ( يا أيها الملك ) فتونى فى أمرى ) أى أشيروا على ، وهذا من حرم . من نذيرها : استعيت اشور مع رؤس قومها ( ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهرون ) فاه : نحن أووا قوة ووفاء : من شديد ، والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين ) أى استعديس : فتولين حراً وسدا ، وأخف الأمر إلى ما نخت : من غرمها : حرمها وبعد : هـ عشت من الحرب وحدثت السيل : لكن بصورة حزمة . فقلت : سأهدى له هدية حاضرة ( فطرفة به برحه امرسلون ) أى كان من أمهك انك ليس فم إلا للدها : فرمنا أن الهدية كسرت سوادته وفدت غريته وسماو : ساء من بعيد . وإن كان سحر ذلك بأن : الأمر فأرسلت : ساء دوى عقل وجره وخبرة ومعرفة . فاحذوا السببان بهدية قل ( تهمنون بمن ) أى آتى الله خير مما آتاكم : كمال : ثم به تشكوا مرحون ) فبين لهم أنه لا حرص له فى الدنيا ، وبعد غرمه بومة الدين ودحول عباد الله فى لاسلام ، ثم وصى ارسى واستعنى بذلك عن الكتاب ، وقال للرسول ( ارجع اليهم فمأتينهم محمود لاقى لهم ، ولحرحهم منها : ذنة ومحج عروس ) وعلم سببان أنهم سيقدون ويسلدون ، فقل لأهل محمسه ( بكم يا بني نعرشها قبل أن يأتونى مساهم ) من غريته من الخن أما آتيك به فى أن يوم من مملك وإني عمه لقوى : مهن ) وسببان بالديار الكمية وبينه وبينها مسافة شهرين ذهاباً وشهرين إياباً : ثم قال : متى عمه عى من الكتاب ( يا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ) يحتمل أنه كما قل أكثر المفسرين : به رجل صالح قد أعطى الاسم الأعظم الذى إذا دعى الله به أحب ، وأنه دعى الله فأتى به فى أن يرتد إليه طرفه ، ويحتمل أن الذى عمه عى من الكتاب عنده من الأسرار التى سحره الله لسببان : سببان يحصل به التقريب المواصفات وجلب الأشياء البعيدة .

وعلى كل هذا الملك عصية بلحضة بخضر : هذا العرش العصى . ولهذا الماراة مستقراً عند دحد الله على ذلك ، فـ ( هذا من قصص ربى يبين أنى أشكر الله أشكر : ومن شكر فامد يشكر لنفسه ومن كفر فامد رى عى كرم ) فقال من حوله : نكروا له عرشها : أى غيروا فيه وريدوا وأنقصوا : نصرته حتى أنه تكون من الذين لا يبدلون ، وكان قد مدح له : بها : عظمها : فاجب أن يقف على الحقيقة : فم : جاءت فى ( فهكذا عرشت ) وعرض سببان : فم : رأته عرفته ورتت ما فيه من التكبر فأبكته فبدلت مودة بالاحتياش ( كأنه هو ) أى قل هو : فم : من التعبير ،

ولم تنف أنه هو لما كانت تعرفه ، فأنت بلفظ صالح للأمرين ، فعرف سليمان رجاحة عقابها .  
( وأوتيت العلم من قبلها وكنا مسلمين ) إن كان هذا من كلام سليمان فعليه أنما أحبره عن  
عقلها وعلما بذلك قبل هذه الحالة فتحققها لمسيراتها ، وإن كان الكلام كلام ملكة سبأ ،  
فإنها تقول ( وأوتيت العلم ) عن ملك سليمان ، وأنه ملك نومة ورسالة وقوة هائلة من قبل هذه الحالة  
( وكنتم منكم ) مدعين لما قاله سليمان بعدما تحققوا أمره ، فكأنه قيل مع عقابها هذا ورأيها  
السديد فكيف كنت تعبد غير الله ، وكيف اجتمع العقل وعادة من لا يسمع ولا يضر ، وإنما  
يضر من عبده .

حاصل الجواب قوله ( وصدها ما كنت تعبد من دون الله أنها كانت من قوم كافرين ) أي  
العقائد التي نشأت عليها ، والمذاهب الفاسدة تسيطر على عقل العاقل وتذهب لب اللبيب حتى  
يقيض له من الأسباب المدركة ما يبين له الحق ويمر عليه بانساعه .

وكان له صرح من قوارير أخرى تحته الأنهار ، فكان من ينظر إليه يطعمه ماء يجرى ، لأن  
الريح شفاف ، وما قيل لها ادخلي الصرح . فرأته ليلة وكشفت عن ساقها . قل إنه صرح عمرد  
من قوارير قالت ( رب إني طمست نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) فأسلمت لله وانتهى  
قومها ، فيقال إن سليمان تزوجها ، فافقه أعلم

وما كنت الشياطين ممن سألهم قد حرم الله له ونصه منهم باحتماهم بالناس يعمونهم  
السكر فجمعهم وتوعدهم وأحد كتبهم ودفعها ، فلما توفي سألهم جاءت الشياطين للناس وقالوا :  
إن ملك سليمان مشيد على السحر ، واستخرجوا الكتب التي دفعها ، وأشدوا من عوائهم للناس  
أنها مأخوذة من سألهم ، وإن سليمان ساحر ، وروح ذلك طائفة من اليهود ، فبرأ الله سليمان من  
هذا الأمر وبين أن السحر من العلوه المصدرة فقال تعالى ( واسموا ما تفلوا الشياطين على ما كنتم  
سليمان وما كفر سليمان ) أي تعليم السحر وإرضاء به ( ولكن الشياطين كفروا يهدون الناس  
السحر ) الآية ، وهذا من عطية القرآن أنه يأمر الخلق بالإيمان بجميع الرسل ويدكرهم بأوصافهم  
الجميلة ويترهم عما قاله الناس فيهم مما يتناقى رسالتهم

وكن الله قد انتهى سليمان وألقى على كرسيه حذاء ، أي شيطاناً عتياً له على دهر الطهوات  
وارجعاً له إلى كمال الخضوع لربه ، ولهذا قال تعالى ( ثم أوبى ) إلى الله بقلبه ولسانه وبدنه  
بطهره وناطه فقال ( رب اغفر لي وهد لي ملكاً لا ينفعي لأحد من بعدى ، إليك أنت الوديع )  
فاستجاب الله له دعاءه وعطاه ما طلبه من مغفرة الذنوب ، وأعطاه جميع ما طلب كما تقدم  
وقد انتهى الله على داود وسليمان عليهما السلام والحكماء ، ونص سليمان بزيادة الفهم فقال ( وداود

وسليمان إذ يحكم في الحث إذ نضت فيه غم القوم ) أي دخلت الغم مساعدهم ليلا فرغت زرعه وأتجره ، فحكم داود بحسب اجتهاده وتقديره أن الغم تكون لصاحب الحث ، لظنه أن الذي تلف من الحث يقابل قيمتها ، ثم رفعت القضية إلى سليمان ، فحكم على صاحب الغم أن يقوم على حث صاحب البستان بالسقي والتمجير والملاحظة حتى يعود كما كان قبل هشها ، ويدفع له صاحب الغم الغم يستفيع بذرهما ولنهما ودهنهما وصوبهما ومغنيا مقابلة ما كان يصد أن يستفيع بذرهما في هذه السنة ، فكان هذا الحكم من سليمان أقرب إلى الصواب وأرفع لصاحب الغم والحث ، فلهذا قال تعالى ( مهمهما سليمان وكلا آتينا حكما وعلما )

ونصير هذه القضية حكم داود وسليمان بين المرأتين اللتين خرجتا ومع كل واحدة منهما فعدا الذئب على ابن الكبرى ، فادعت الكبرى على الصغرى أن الذئب أكل ابن الصغرى ، وأن الذي سلم من الذئب أنها ، والمرأة الصغرى أنكرت وقالت : بل الذئب أكل ابن الكبرى فتحاكما إلى داود فلم ير لكل منهما بينة إلا قولها رأى أن يحكم به للكبرى اجتهاداً ورحمة بها لكبرها ، وثبت الصغرى في مستقر عمرها سيرتها الله ولداً بذله ، ثم رفعت القضية إلى سليمان فقال لها أنتوني بالسكين أسقه يسكها عرضت الكبرى وقالت الصغرى لما دار الأمر بين شقة أو شقاء بيد غيره ، وهو أهون الأمرين عليها - هو آدم يأنى الله ، فعلم سليمان بهذا الأمر الطمى الذي هو من قوى السمات أنه لبس أسماً للكبرى لكونها رصيت بشقة وانلاقه ، وأن دنواها على الأخرى إنما حملها عليه الحسد ، وأنه ابن الصغرى حين فرغت من شقة إلى التنازل عن دنواها ، فعلى به سليمان للصغرى ، ولا ريب أن استعراج الصواب في التقصا بالبيانات والقرائن وشواهد الأحوال ، من أهم الذي يخص الله به من يشاء .

فصل في بعض امواله المنسطة من قصة داود وسليمان عليهما السلام

فما أن الله يقص على نبيه محمد ﷺ أخبار من قبله لتثبيت فؤاده وتطمين نفسه ، ويدكر له من عباداته وشدة صبرهم وادبهم ما يشوق إلى مسامحة والتقرب إلى الله الذي تدمسوا في قربه والصبر على أدى قومه ، ولهذا دكر تعالى في أول سورة ( ص ) ما قاله المسكوبون لحمد ﷺ وما آدوه به ، قل بعدها ( اصبر على ما يقولون وادكر عبدك داود ذا الأيدي أنه أواب ) الآيات ومما أن قوله ( ذا الأيدي أنه أواب ) مدح عظيم من الله لهدى الوصفيين ، قوة القلب والبدن على طاعة الله والابادة طاماً وظاهراً إلى الله المستلزمة لمحنته وكال معرفته ، وأن هذين الوصفيين للأنبياء على وجه الكمال ولم يمدحهم من أتباعهم على حسب اتساعهم ، والثناء من الله عليهما يقتضى الحث

على جميع الأسباب التي تضمن على القوة والامانة ؛ وأن يكون العبد رجاءاً إلى الله في حال اسراء والضراء ، وفي جميع الأحوال

ومنها ما ذكره الله به نبيه داود (ض) من حسن الصوت ورجائه ، وأن الجبال والطيور تسبح الله معه وتحاويه ، وذلك من زيادة درجته ومقاماته العلية

ومنها أن من أكبر نعم الله على عبده أن يرزقه العلم النافع ويعرف الحكم بين الناس في المقالات والمداهب وفي الخصومات والمشاحنات . كما قال تعالى ( وآتينا الحكمة وفصل الخطاب )

ومنها كمال اعتناء المولى بأبيائه وأصفياؤه عندما يقع منهم بعض المفورات بعثة أيام واتلاهم بما ينزل عنهم المحصور حتى يعودوا أكل من أحوالهم الأولى كما جرى لداود وسليمان

ومنها أن الأنبياء موصوفون فيه بملعون عن الله ، فإن الله أمر بطاعتهم مطلقاً ، ومقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك ؛ وقد يجرى منهم أحياناً بعض مقتضيات الطبيعة من الخالعات ، ولكن الله تعالى يبادرهم بملطفه ويتداركهم بالتوبة والانابة

ومنها أن داود في أغلب أوقاته ملازماً بحراجه لخدمة ربه وله وقت يخصص فيه لحوالح الخلق فقد أتم القيام بحق الله وحق عباده

ومنها أنه ينسب استهانة الأدب في الدخول على الناس ، خصوصاً الحكام والرؤساء ، فإن الخصمين ما دخلوا على داود في حانه غير معتادة ، ومن غير الناس فزع منهم ، واشتد عليه ذلك ؛ ورآه غير لائق بالحال

ومنها أنه لا يسمع الحكم من حكم بالحق سوء أدب الحكم ومعه مالا يسمى

ومنها كمال حلم داود ، فإنه ما غضب منها حين جاءه غير استند ولا انتهره ولا وبهجه

ومنها حوار قول المظالم لمن ظلمه أنت ظلمتني أو يا ظلم ونحوه أو يا باغي لقوله ( من نصب

على بعض ) . . .

ومنها أن المصوح ولو كان كبير القدر كثير العلم عليه أن لا ينصب ولا يشتمز ، بل يندرج

بقبول النصيحة والشكر لمن نصحه ، وبحمد الله إذ قبيض له النصيحة على يد الصالح ، فإن

داود لم يشتمز من قول الخصمين ( فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واحدنا إلى سواء الصراط ) بل

حكم بالحق الصرف

ومنها أن المحاطة بين الأقرب والأصحاب والمعلمين وكثرة التعلقات الدنيوية المالية

موحدة للتعاذ ، ومنى بعضهم على بعض ، وأنه لا يرد عن هذا الداء العصال إلا التقوى والاهتمام

بلايئز والعمل الصالح ، وأن هذا من أقل شيء في الناس

ومنها ، كرام الله لداود وسليمان بالبرلى عدة وحن المسك ، فلا يتوهم أحد أن ما جرى منهما منقص لدرجاتهما عند الله ، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين ، أنه إذا غفر لهم وأزال عنهم أثر الذنوب ، أزال الآثار المترتبة عليها حتى ما يقع في قلوب الخلق ، وما ذلك على فصل الكريم بغير ومها أن مرتبة الحكم بين الناس مرتبة دينية تولاه رسل الله وخواص خلقه ، وأن على القائم بها الحكم بالخلق وأن لا يتبع الهوى ، فالحكم بالخلق يقتضي العلم بالأمور الشرعية والعلم بصورة القضية المحكوم بها ، وكيفية ادخالها في الأحكام الشرعية الكلية ، فالجاهل بواحد من هذه الأمور لا يحل له الاقدام على الحكم بين الناس

ومنها أن سليمان بعد من فضائل داود ومن من الله عليه ، قال تعالى (ووهب لداود سليمان نعم الممد انه أبواب) وهذا أعظم ترقية وأكبر نحر لسليمان ومنها كثرة خير الله وفعله على عبده الأخير بمن عاهده بالخلق الخفية والأعمال الصالحة ، ثم ينشئ عليهم بها ويرتب عندها من الثواب أنواعاً موعة ، وهو المتوصل بالأسباب ومسبباتها ومنها أن سليمان قدم محبة الله على محبة كل شيء ، وأنتب حينئذ إلى أهله عن ذكره حتى توارت الشمس بالحجاب

ومنها أن كل ما أشغل الممد عن طاعة مولاه هو مشغوم فليفرقه وليقتل على ما هو أفع له ومنها أنه يؤخذ من أن سليمان لما ألق الحيل الحيد - التي ألهته عن طاعة الله - سحر الله له اربيع والشياطين : أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

ومنها أن تسخير الشياطين وتسخير الريح على الوجه الذي سحرت لسليمان لا تكون لأحد بعد سليمان ، ولهذا لما رأى النبي (ص) أن يأخذ الشيطان الذي تعنت عليه ليلة فيرطه في سارية المسجد قال : ذكرت دعوة أخى سليمان فتركته

ومنها أن سليمان كان ملكاً نبياً مباح له أن يفعل ما يريد ، ولكمه لكانه لا يريد إلا الخير والعدل ، وهذا بخلاف النبي الممد ، فانه لا يكون له إرادة مستقلة ، بل إرادته تابعة لإرادة الله منه فلا يعمل ولا يترك إلا تفعاً للأمر ، كحال نبيينا محمد ﷺ

ومنها أن الله أعطى سليمان ملكاً عظيماً ، فيه أمور لا يمكن أن تدرك بالأسباب ، وينتهي من تقدير الملك الوهاب ، مثل تسخير الريح تفعاً لأمره ، وتسخير الشياطين ، وكون حدوده من الانس والجن والطير ، وأن الطيور كانت تخدمه الخدامة العظيمة يرسم للحمامات توصل منه الاحار وقائيه بأحار تلك الجهات ؛ وقد عطاها الله من الفهم ومعرفة أحوال الأدميين ما قص الله علينا نأه في هذه القصة ، وكذلك الذي علم من الكتب حين استند أن يأبيه بعرش ملكه مبأ قبل أن يرتد اليه طرفه ، وهذه آيات أنبياء ، فهذا مهيا يلع الخلق في الترقى في علوم الطبيعة

والهارة بالمجترعات فمن يصلوا إلى ما أعطيه سيبر  
ومنها أنه ينبغي للملك والرؤساء أن يسألوا عن أحوال الأمراء والرؤساء والرجال المتميزين  
ولا يكتفوا بمجرد السؤال ، بل يحتجروهم ويختبرون معرفتهم للأمور وعقولهم ؛ كما فعل سليمان  
مع ملكة سبأ امتحنها ليستدل على كمال عقلها ورجاحتها ولم يكف باسؤل ، وهذا فيه للملك فوائد  
عظيمة ، وهم محتاحون لهذا أشد الحاجة ، وتنبأ الملك أن يدبر دفته لرجال السكاملون

### ﴿ قصة أيوب عليه الصلاة والسلام ﴾

كان أيوب من أنبياء بني إسرائيل ومن الأصفياء الكرام ، وقد ذكره الله في كتابه وثني  
عليه بالصلح الحميدة عموماً ، وبالصبر على البلاء خصوصاً ، قال الله تعالى ابتلاه بولده وأهله وماله ،  
ثم يجده ، فأصابه من البلاء ما لم يصب أحداً من الخلق ، صبر لأمر الله ولم يزل مديناً لله .  
ولما تطول به المرض العظيم ، ونسيه الصاحب والحليم ، دى ربه ( أنى منى الصبر وأنت  
أرحم الراحمين ) فقيل له ( اركض برحلك ) فركض ، فسمعت بركسته عين ماء بارد ، فقيل له :  
اشرب منها واعتدل ؛ ففعل ذلك فأذهب الله ما فى بطنه وطهره من البلاء ، ثم أعاد الله له أهله  
وماله وأعطاه من السم والخيرات شيئاً كثيراً ؛ وصار بهذا الصبر قوة للصبرين وسوة للستائين  
وعبرة للمستعبرين ، وكان فى مرضه قد وجد على روحه المرأة البارة الرحيمة فى بعض شيء ، فحلف  
أن يحلها مائة جلدة فحلف الله عنه وعنها ، وقيل له : خذ بيدك ضمناً حزمة حشيش أو علف أو  
شمارج أو نحوها فيها مائة عود فاضرب به ولا تحس ، أى ينحل بملك يمينك وفى هذا دليل على أن  
كفارة اليمين لم تشرع لأحد قبل شريعتنا ؛ وأن اليمين عندهم بمنزلة النذر الذى لا بد من وفائه ،  
وفى هذا دليل على أن من لا يحتمل إقامة الحد عليه لصفه ونحوه أنه يقدم عليه مسى ذلك ، لأن  
الفرض التمسك ليس بالانلاف والاهلاك

### ﴿ قصة الخضر مع موسى ، ومحلها فى أثناء قصص موسى ﴾

وذلك أن موسى عليه السلام قام ذات يوم فى بنى إسرائيل مقدماً عطياً ، منهم فيه علوماً جمة ،  
وأعجب الناس بكمال علمه ، فقال له قائل يابى الله ، هل يوجد أو هل تعلم فى الأرض أحداً أعلم  
منك ؟ فقال لا ، بدءاً على ما يعرفه ، وترغيباً لهم فى الاحد عنه ، فأجبه الله أن له عبداً فى مجمع  
البحرين عنده علوم ليست عند موسى وإلهامات خارجة عن الطور المهود ، فاشتاق موسى إلى  
لقبه رغبة فى الازداد من العلم ، فطلب من الله أن يأذن له فى ذلك وأخبره بموصاه وتزودا حوثاً  
وقيل له : إذا فقدت الحوت فهو فى ذلك المكان ، فذهب موجدته ، وكان ما قص الله من نبأهما فى



سورة الكهف (وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقاً - إلى قوله -  
ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً)

وفي هذه القصة من العوائد والأحكام والقواعد شيء كثير نذكره على بعضه دون الله  
ونذكر المهم منه

فمنها ما اشتملت عليه القصة من فصيلة العلم وشرقه ومشروعية الرحلة في طلبه ؛ وأنه أم  
الأمور ، فإن موسى رحل في طلبه مسافة طويلة وأتى في ذلك المصعب ، وترك الإقامة عند بني  
إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم ، واحترار السير لزيادة العلم على ذلك

ومنها البداءة في العلم بالأمم فالأمم من ريادة علم الإنسان بنفسه ثم من ترك ذلك اشتغالا بالتعليم  
فقط ، بل يتعلم ليعلم

ومنها حوار أخذ الخدم في السفر والحضر لكفة ربة المؤن وطلب الراحة ، كما فعل موسى  
صلى الله عليه وسلم

ومنها أن المسافر يطلب العلم أو العلم أو غيره من أسفار الطاعة ، بل وكذلك غيرها إذا  
اقتضت المصلحة الأحبار بمطلبه وأين رآه ، فله أن يأكل من كتفه ؛ فإن في إظهاره من فوائد  
الاستعداد له عدته ، وإتيان الأمر على بصيرة والإعلان بالمرعيب لهذه العادة الفاضلة لقول موسى  
( لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقاً ) ولما غزا صلى الله عليه وسلم توك أحمر الناس بمقصده ، مع  
أنه كان في الدلب إذا أراد غزوة ورآى سيرها نهماً للمصلحة في الحاليتين

ومنها إصافة الشر وأسمائه إلى الشيطان ، وكذلك القصص لقول فتي موسى ( وما أسمائيه  
إلا الشيطان من أذكره )

ومنها حوار أحار الإنسان عما يحبه مما هو مقتضى الطيبة الذميمة من نصب أو جوع أو عطاش  
إدراكه لم يكن على وجه التسلط وكان صدقاً لقوله ( لقد ألقينا من سر ما هذا نصبا )

ومنها أنه يدعى أن يتحد الإنسان حادماً فكيف قصاً كيف ليتم له أمره الذي يريد  
ومنها استصحاب الطعام للإنسان خادماً من مأكله وأكلها جميعاً لأن طاهر قوله ( آتاه عداها )  
أنه للعجم وممها أن المموية تنزل على العبد بحسب قيامه بالامر الشرعي ، وأن ما وافق ربه  
الله يعان عليه فلا يعان على غيره لقوله ( لقد ألقينا من سر ما هذا نصبا ) والاشارة إلى الغر  
الحذر لمجمع البحرين ، وأما الأول فلم يشك منه مع طوله

ومنها أن ذلك العبد الذي لقيه إيس بدياً بل هو عند صالح عالم ما هم ، لأن الله ذكره بالعالم  
وأنه ودية الخلافة والأوصاف الخلية ، ولم يذكر معها أنه نبي أو رسول ، وما توفى آخر القصص  
( ولما فعلته عن أمري ) فإنه لا يدل على أنه نبي ، وإنما يدل على الإلهام والتحديث ، وذلك يكون

لغير الأنبياء ، قال تعالى ( وأوحى ربك إلى النحل ) ( وأوحى إلى أم موسى ) الآية .

ومنها أن العلم الذي يعلمه الله للعبد نوعان : علم مكتسب يدركه العبد بطلبه وحده ، وعلم إلهي لدنئ يهبه الله لمن يمن عليه من عبده ، لقوله ( وعلمناه من لدنا علماً ) فالنفس أعطى من هذا النوع الحظ الأوفر . ومنها التأدب مع المولى والتأطع في خطاه لقول موسى ( هل أتيتك على أن تمنن فما علمت رشداً ) فأخرج الكلام بصورة الملاحظة والمشاورة ، وأنتك هي تأذن لي أم لا ؟ وأظهر حاجته إلى المعلم وأنه يتعلم منه ومثاق إلى ما عنده ، بخلاف حال أهل الكبر وخفاء الذين لا يظهرون حاجتهم إلى علم المعلم ، فلا أنفع لغير من أظهر الحاجة إلى علم المعلم وشكره على تعليمه ومنها تواضع الفصل للتعليم من هو دونه ، فإن موسى بلا ريب أفضل من النضر

ومنها تعلم العلم العاقل للعلم الذي لم يتعلم فيه من مهر فيه ، وإن كان دونه في العلم درجات ، فإن موسى من تكابر أولى العرب من الرسل الذين منحهم الله وأعظم من العلوم ما لم يعط سواه ، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند النضر ما ليس عنده ، فقد اشتد حرصه على التعلم منه ومنها أنه يتمم إضافة العلم وغيره من الفصائل إلى فضل الله ورحمته ، والاعتراف بذلك وشكر الله عليه لقوله ( تعلمن مما علمت رشداً )

ومنها أن العلم الدقيق هو العلم المرشد إلى الخير ، وكل علم فيه رشد وهداية لطريق الخير وتحذير عن طريق الشر أو وسيلة إلى ذلك ، فانه من العلم الدقيق ، وما سوى ذلك فما أن يكون صادراً أو ليس فيه وسيلة لقوله ( أن تعلمن مما علمت رشداً )

ومنها أن من ليس له صبر على صحة العالم ، ولا قوة على التمسك على طريقة التعلم ، فانه زاهر ليس بأهل لتلقي العلم ، فمن لا صبر له لا يدرك العلم . ومن استكمل الصبر ولارمه أدرك به كل أمر سعى إليه ، فإن النضر اعتذر عن موسى انه لا يصبر على علمه الخاص

ومنها أن مما يعين على الصبر على الأشياء إحاطة العبد بها علماً وبمفهمها ، وبمراتبها ونفسيها ، فمن لا يدرك هذه الأمور يصعب عليه الصبر لقوله ( وكيف صبر على ما لم تحط به خبراً ) ومنها الأمر بالتأني والتثبت وعدم المبادرة إلى الحكم على الأشياء حتى يعرف ما يبراد منه وما هو المقصود .

ومنها مشروعية تعليق إيجاد الأمور المستقلة على مشيئة الله لقوله ( ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً ) وإن العزم على الشيء ليس بمنزلة فعله ، موسى عزم على الصبر ولكن لم يفعل .

ومنها أن المعلم إذا رعى من المصلحة أن يحبر المتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها ، فإن المصلحة تنبع ، كما إذا كان همه قاصراً أو نهياً

عن التدقيق الشديد أو الأسئلة التي لا تتعلق بالموضوع ومنها حوار ركوب البحر إذا لم يكن في ذلك خطر .

ومنها أن الناسي غير مؤاخذ ، لا في حق الله ولا في حق الصاد ، إلا إن ترتب على ذلك إتلاف مال ، فيه الصالح حتى على الناسي لقوله ( لا تؤاخذني بما نسيت )

ومنها أنه يسمى الله أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم المعومين وما سمحت به أنفسهم ولا يسمى له أن يكافهم ملا يعاقبون أو يشق عليهم أو يرهقهم ، فإن هذا داع إلى التفور ، بل يأخذ المتيسر لينتصر . الأمر

ومنها أن الأمور تجري على طاهرها ، وتعلق بها الأحكام الدنيوية في كل شيء ، فإن موسى عليه السلام أسكر على الحضر حرق العمية وقتل العلاء بحسب أحكامها العامة ، ولم يلتفت إلى الأصل الذي أصلاه هو والخضر أنه لا يسأله ولا يعترض عليه حتى يكون الخضر هو المستدى . ومنها فيه نسيه على القاعدة المشهورة الكبيرة ، وهو أنه يدفع الشر اكبير بارتكاب الشر الحفيف ، ويراعى كبر المصلحتين تصويت أدماها ؛ فإن قتل العلاء الصنير شر ، ولكن بقاءه حتى يسمع ويعتق أبويه عن دينهم أعظم شراً ؛ وبقاء العلاء من دون قتل وإن كان في طاهر الحال أنه خير ، فالخير بقاء أبويه على دينهما خير من ذلك ، فلذلك قتله الخضر بعدما ألهمه الله الحقيقة ، فكان إلهامه الساطي يعتزله النبيلات الطاهرة في حق غيره

ومنها القاء دمة الكبيرة الأخرى ، وهي أن عمل الإنسان في مال غيره إذا كان على وجه المصلحة ودفع الضرر بحجور ملا إدن ، حتى ولو ترتب عليه إتلاف بعض المال ، كما حرق الخضر السفينة لتعيب قتل من عصب الملك العالم ، وتحت هاتين القاعدتين من الفوائد مالا حصر له ومنها أن العمل بحجور في البحر كما بحجور في البر ، لقوله ( يعملون في البحر ) ومنها أن القتل من أكبر الذنوب

ومنها أن العبد الصالح يحضه الله في نفسه وفي دريته وما يتعلق به ، لقوله ( وكان أبوهما صالحاً ) وأن خدمة الصالحين وعمل مصالحهم أصل من غيرهم لأنه على أنصالة بالحداد بقوله ( وكان أبوهما صالحاً )

ومنها استعمال الأدب مع الله حتى في الأنطاط ، فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى ضه بقوله ( فأردت أن أعيبها ) وأد الخير فأداه إلى الله لقوله ( فأراد ذلك أن يملأ أشدهما ويسترحا كثرهما راحة من ذلك ) وقال إبراهيم ( وإذا مرضت فهو يشفيني ) وقالت الجن ( ونا لا ندرى أشرأ تريد بمن في الأرض أنه أرادهم ربهما رشداً ) مع أن الكل قصاء الله وقدره

ومنها أنه يسمى لا مد أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال ويترك صحبه ، بل في له

بذلك حتى لا يجد الصبر محلاً ، وأن موافقة الصاحب لصاحبه في غير الأمور المحذورة مدعاة وسبب لبقاء الصحة وتأكد كدها ، كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة

### ﴿ قصة ذو القرنين ﴾

وكان ذو القرنين ملكاً صالحاً ، وقد أعطاه الله من القوة أسباب الملك والفتوح ما لم يكن لغيره ، فذكر الله من حسن سيرته ورحمته وقوة ملكه وتوسعه في المشرق والمغرب ما يحصل به المقصود الثم من سيرته ومعرفة أحواله ، ولهذا قال ( وبأولئك من دى القرنين قل سأتو عليكم منه ذكراً ) أى من بعض أخباره ، ومن المعلوم أن ما قصه الله في كتابه هو حسن ورفع ما يقص على العباد ، فأخبر أنه أعطاه من كل شيء ما يحصل به قوة الملك وعم السياسة وحسن التدبير والسلاح المصنع للأمم وكثرة الجود وتسهيل المواصلات وجميع ما يحتاجه ، ومع ذلك فقد عمل بالأسباب التي أعطيتها ، فكل أحد يعطى الأسباب السابعة ، ولا كل من أعطيتها يتبها ويعمل بها .

أما ذو القرنين فإنه تم له الأمران أعطى سبباً فأنعم به ، فعرا بحيشه الجردة ذى أفرقيه وأقصاه حتى بلغ البحر المحيط العربى فوصل إلى محل إذا غربت الشمس ( أحدها تعرف في دين حجة ) أى رآها في رؤية العين كأنها تعرب في البحر ، والبحر لونه أسود كالثمة ، ولتقصد أنه وصل إلى حيث انتهى الخلف والحفر من بلاد أفرقيه ، ووجد في ذلك المحل وتلك الاقطار قوماً منهم المسلم والكافر ، واببر والصحراء دليل قوه ( قلنا يا ذا القرنين بما أن تمدد به أن تتحد فيهم حسب ) إما أن القائل له من أنبياء الله أو أحد المصا ، أو ان اعنى أنه بسبب قدرته كان محبداً قديراً ، وإلا فمن المعلوم أن الشرع لا يسوى بين الامرين المتدوتين في الاحسان والاساءة قتال ) أما من ظلم صفوف نمديه ثم يد إلى ربه فيعده عذاباً فكرياً وأما من آمن وعمل صالحاً فله جراً الحسن وسقول له من أمرنا يدرا ) وهذا يدل على عده وأنه ملك صالح وعلى حسن تدبيره ( ثم أنعم سبب ) أى ثم عمل بالأسباب التي وتيم عندما أحصع أهل المعارب رجع يفتح الارض قطراً قطراً حتى وصل إلى منبع الشمس من بلاد الصين وشواطئ البحر المحيط الهادى . وهذا منتهى ما وصل اليه الفتحون ( وجبها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سفراً ) أى لا ستر لهم عن الشمس ، لانياب ينسجون ويابسونها ، ولا بيوت يديسونها ، أى وحده هؤلاء القوم الذين في أقصى المشرق هذه الصفة والوحشة بمنزلة الوحوش التي تأوى إلى العياض والغيران والامراب منتظمين عن الناس ، وكما في ذلك الوقت على هذه الحالة التي وصف الله ، والمقصود من هذا أنه وصل إلى ما لم يصل اليه أحد ، ثم كر داحماً وأنعم سبباً يمكنه من مباحة البلاد

وتخضع العباد قاصداً نحو الشمال ( حتى إذا بلغ بين السدين ) أى بلغ محلاً متوسطاً بين السدين الموحدين مسد حلق الله الأرض ، وهما سلاسل جبال عظيمة شاهقة متواصلة من تلك الفتوة ، وهى الربع إلى البحار الشرقية والغربية وهى فى بلاد الترك ، على هذا اتفق المفسرون ومؤرخون وإنما اختلفوا هل هى سلاسل جبال القفقاس أم دون ذلك فى أدريبيجان ، أم سلاسل جبال القباى أم الجبال المتصلة بالسور الصينى فى بلاد منغوليا وهو الظاهر ، وعلى الأحوال كلها ، فوجد عند تلك الفتوة التى بين سلاسل هذه الجبال قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ، من عند لغتهم ونقل فهمهم للغات للأمم ( فقالوا ياذا القريين ياأحوج وأحوج ممدون فى الأرض ) وهم ثمرة عظيمة من نسل يابث بن نوح من العاصم التركية وغيرهم ، كما هو مذكور مفصل من أحوالهم ومشروع من صفاتهم ( فهل تحمل لك حرجاً على أن تحمل يديا وبينهما سداً ؟ قل ما مكنتى فيه ربي ) من القوة والاسباب والاقتصاد غير فأعينوني بقوة : أى إن هذا ساء عظيم يحتاج فى الإعانة عليه إلى مساعدة قوية فى الأبدان ( أحمل يسكب وبينهم ردماً ) ولم يقل سداً ، لأن الذى نرى فقط هو تلك الشنية والربع الواقعة بين السدين العظيمين ، أى بين سلاسل تلك الجبال ، فخيرهم على كيفية آلائه ونبياهم فقال ( آتوني زبر الحديد ) أى اجمعوا لى جميع قطع الحديد الموحودة من صدر وكدار ولا تدعوا من موحود شيئاً ، اركبوه بين السدين ، هملوا ذلك حتى كان الخدين تلولا عظيمة مواردة للبحار ، ولهذا من ( حتى إذا ساوى بين الصدين ) أى الجبلين المكتفين لذلك الردم قل ( انفضوا حتى يدحمه دراً قل . آتوني أفرغ عليه نقار ) أى صر بانحس فاديب بالديران وحمل بسيل بين قطع الحديد فالتحم بعضها بعض وصارت حلالاً ثلاثاً متصلاً بالسدين ، فحصل بذلك انحدود من عيش يأحوج ومأحوج ، ولهذا قل ( فاستأذنوا أن يظهره ) أى يصعدوا ذلك الردم ( وما استأذنهوا له نقار ) قال هذا راحة من ربي ( أى ربي الذى وفضى لهذا العمل العظيم والاثمر الجليل ، فرحمكم إذ مسكم من صرر يأحوج ومأحوج بهذا السبب الذى لا قدرة لكم عليه ) فإذا جاء وعد ربي حمله دكاً . ( أى هذا العمل والحيولة يسكم وبين يأحوج ومأحوج مؤقت إلى أجل ، فإذا جاء ذلك الأجل قدر الله للخلق من أسبب القوة والقدرة والصناعات والاختراعات الهائلة ما يمكن يأحوج ومأحوج من وطء بلادكم أيدياً ، المحاورون ، بل ومن وطء مشرق الأرض ومغاربها ، كما قال تعالى ( حتى إذا فتحت يأحوج ومأحوج وهم من كل حذب ينسلون ) أى من كل مكان مرتفع ، سواء ، مثل هذه السدود والحدود وحوا السبى ( ينسلون ) أى يسرعون فيها غير مكترئين ولا حازر يحرم ، فاعطى من كل حذب يشمل جميع المواضع والأقطار بها سببها وصحبها ، منحصرها ومرتفعها ؛ وإنما هى الله على المرتفعات لأن السهول والأماكن المنخفضة من باب أولى وأخرى ، وقد ورد فى صفاته أحاديث فى الصحيحين تؤيد ما فى هذه الآيات من صفته

وأورد أصحاب السير والتواريخ الأول من صفتهم وهيئاتهم آثاراً لا خطام لها ولا رمام شوت أفكار أكثر الناس ومنعتهم من الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية وتطبيقها على الواقع ، فعليك بعلوم ما دل عليه الكتاب والسنة ودع ما سوى ذلك ، فان فيه الهدى والرشد والهدى .

### ﴿ قصة عيسى وأمه ، وذكرا ويحيى عليهما السلام ﴾

كانت روضة عمران . وهو من أكبر بنى إسرائيل ورؤسائهم وذوى المقامات العالية عندهم . نذرت حين طهر حملها أن تحرر ما في بطنها لبيت المقدس ، يكون خادماً لبيت الله مصداً لعبادة الله طناً أن الذي في بطنها ذكراً ، فما وضعتها قالت معتدرة إلى الله شاكية إليه الحال ( رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وصفت ، وليس الذكر كالأنثى ) أى إن الذكر الذي له القوة والقدرة على ما يراد منه من القيام بخدمة بيت المقدس ( وإني سميتها مريم ، وإني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ) فخصتها بالله من عباده هي وذريتها . وكان هذا أول حفظ وحماية من الله لها ولهذا استجاب الله لها في هذه الدية ( فقبلها ربها بقبول حسن ) أى أن الله حبر أمها وصدر لها عنه ربها من القول أعظم له المذكور ( وأمتها ثناءً حسناً ، وكلمها ذكراً ) فجمع الله لها بين التربة الجسدية والتربة الروحية ، حيث قدر أن يكون كافلاً لغيره أنبياء بنى إسرائيل في ذلك الوقت فان أمها لما حانت بها لأهل بيت المقدس نادى بها أيتها ربيسة ، فأتى عوا وألقوا أقلامهم ، فأصابت القرعة ذكراً رحمة به وبمريم ، فكلمه أحسن كلمة ، وأعلمه على كفائتها بكرامة عظيمة منه ، فكانت قد نشأت نشأة الصالحات الصديقات ، وعكفت على عبادة ربها ولزمت محرابها ، فكان ذكراً كلما دخل عليها المحراب وجد عبداً رقيقاً ، قل أنى لك هذا ؟ قاله ليس لها كافل غير ذكراً قالت ( هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ) أى رزقه تعالى يأتي بطرق معبودة وبطرق أخرى ، والله على كل شيء قدير

حين رأى هذه الحالة ذكره ذلك لطلب ربه ورجعه إلى رحمة ، فقال الله أنى لك ولداً يرثه علمه ونوته ويقوم بعده في بنى إسرائيل ، في تعليمهم وهدايتهم ( فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب ) الله يبدرك بيحيى مصداً بكلمة من الله ( أى عيسى عليه السلام ) وسيداً أى عطيها عند الله وعند الخلق لما حبله الله عليه من الإحلاق الحميدة والعلوم العظيمة ، والأعمال الصالحة ( وحضوراً ) أى مجموعاً بمصمة الله وحفظه ووقايته من موافقة المعاصي ، بوصفه الله بالتوفيق لجميع الجبريات والحماية من السيئات والزلزلات وهدايتها كمال العبد ، فصحب ذكراً من ذلك وقال ( أنى يكون لى ولد وامرأتى عاقر وقد ملئت من الكبير عتياً ) قال كذلك قال ربك هو على هين

وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) وهذا أعجب من جعلها وهي عاقر على صكرك ، فمن فرحه ورغسته العظيمة في طائفة قلبه قال ( رب احمل لي آية ) تدلني على وجود الولد ، قال ( آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ) ( وادكر ربك فاعشى والاسكار ) وهذه آية كبرى ، يمنع من الكلام الذي هو أ- هل ما يقدر عليه الانسان ، وهو سوى فلا يقدر أن يكلم أحداً إلا بالإشارة ومع ذلك لسانه مطلق بذكر الله ونسبته وتحميده ، فيثبت له الإشارة من الله وعرف أنه لا بد أن يكون ، فولدت روحه يحيى ، وأنشأه الله نشأة صحيحة ، فتعلم وهو صغير ، ومهر في العلم وهو صغير ، ولهذا قال ( وآتيناك الحكم صبياً ) حتى قيل إن الله أيضاً ساء وهو صغير ، وكما أعطاه الله العلم العظيم فقد من عبده ما كمل الصفات فقال ( وحاماً من لدنا وركاة وكل نقياً . وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً ، وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ) ومصون هذا وصمه بالقيام بحقوق الله وحقوق والديه وحقوق الخلق ، وإن الله سبحانه له العواقب في أحواله كلها وأما مريم فأنبت من أهلها مكاناً شريعياً متجدة لخدمة ربها ( فأتخذت من دونهم حجاباً ) لئلا يشعروا أحد عما هي بصدده ، فأرسل الله لها الروح الأمين جبريل في صورة بشر سوى من أكل الرحال وأحدهم قطعت أنه يريد بها سوء ، فقالت ( في أعوذ بالرحمن منك إن كنت نقياً ) فتوسلت بالله في جعلها وحديثها ، وذكركه وحوب التقوى على كل مسلم يخشى الله فشكل هذا الورع العظيم منها في هذه الحالة التي يخشى منها الوقوع في الفحشاء ، ورفع الله بذلك مقامهم ونمى بالغة الكمال ، ونمى أخصت فرحها ، فقل لها جبريل ( إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً . قالت : أنى يكون لى علام ولم يمسى شرو لم أك نقياً . قال : كذلك قال ربك هو على هين ، ولحمله آية للناس ورحمة منا ) به ولك وبالناس ( وكان مرآاً قصياً ) فلا تمجى مما قدره وقصده ( حملته فأنبتت ) نى ابتعدت به عن الناس ( مكاناً قصياً ) حشية الاهتمام والأدوية منهم ( فأحاطها ) أى ألبأها المحاض أى الطلق ( إلى حدى العلة قالت ياليتى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ) لما تعرفه مما هي متعرضة له من الناس ، وأنهم لا يصدقونها ، ولم تدر ما الله صانع لها ( فدأها ) الملك ( من تحت ) وكانت في مكان مرتفع ، وأويناها إلى روة ذات قرار ومعين ( أن لا تحرفى قد حمل ربك تحتك سرياً ) أى نهراً جارياً ( وهزى اليك بمنح العلة ) من دون أن تمحرك إلى صعود ( تساقط عليك رطاً غيباً ) أى طرأاً ناصباً ( فكلى ) من الرطب ( واشربى ) من السرى ( وقرى عيياً ) بولادة عيسى ، وليذهب روعك وخوفك ( فلما ترى من البشر أحداً فتولى بى ندرت للرحمن صوماً ) أى سكوتاً ، وكان مهوداً عنهم أنهم يتعبدون بالصمت في جميع النهار ، ولهذا فسره بقوله ( فلن أكلم اليوم نسياً ) غاطان قلبها وزال عنها ما كانت تجد .



ثم لم تعالت من نفسها وأصلحت شأنها وقويت بعد الولادة (كنت به قومها نحمدك) علماً  
غير هائبة ولا مبالية ، فلما رآه قومها وقد علموا أنه لا روح له حرموا أنه من وجه آخر فقالوا  
(يا مريم لقد حثت شيئاً فرياً . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بعيداً .  
فأشارت إليه ) كما أمرت بذلك . فقالوا مسكرين عليها مقالاتها لهم ( كيف تكلم من كان في المهد  
صبياً ) فقال وهو في تلك الحال له أيام بكرة بعد ولادته ( إني عبد الله أتاني الكتاب وجمعني  
نبياً ، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبراً بالذي ولم  
يجعلني جباراً شقياً ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُنثى حياً ) فكان هذا الكلام  
منه في هذه الحال من آيات الله وأدلة رسالته ، وأنه عبد الله لا كما يرمعه النصارى ، وحصل لأمه  
البراءة العظيمة مما يظن بها من سوء ، لأنها لو أُنثى بألف شاهد على البراءة وهي على هذه الحال  
ما صدقها الناس ، ولكن هذا الكلام من عيسى وهو في المهد حلّى كل ريب يقع في القلوب ،  
فاقسم الناس فيه بعد هذا ثلاثة أقسام :

قسم آمنوا به وصدقوه في كلامه هذا وفي الاقبياد له بعد السوء ، وهم المؤمنون حقيقة  
وقسم غلوا فيه وهم النصارى ، فقالوا فيه المقالات المعروفة وزلوه منزلة الرب ، تعالى الله  
عن قولهم علواً كبيراً

وقسم كفروا به وجنوه - وهم اليهود - ورووا أنه بما برأها الله منه ، ولهذا قال تعالى (فاختلف  
الاحزاب من بدمهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم)  
ولما أرسله الله إلى بني اسرائيل ، آمن به من آمن ، وكفر به من كفر ، وجعل يربهم الآيات  
والمعاني ، فكان يصور الطين فيفتح فيه فيكون طيراً بادن الله ، ويرى الآلهة والأبرص ،  
ويحيى الموتى بأذن الله وينبئهم عن كثير مما يأكلون ويدحرون في بيوتهم ، ومع ذلك فتكالت  
عليه أعداءه وأرادوا قتله ، فألقى الله شبهه على واحد من الخواريين أصحابه أو من غيرهم ، ورمعه  
الله إليه وظهره من قتلهم ، فأخذوا شديده فقتلوه وصلبوه وماءوا بالآثم العظيم والجرم الجسيم ،  
وصدقهم النصارى أنهم قتلوه وصلبوه ، ورمه الله من هذه الحالة فقال ( وما قتلوه وما صلبوه ولكن  
شبه لهم ) وقد قام عيسى في بني اسرائيل فبشر وأعلن برسالة محمد ﷺ ، فلما جاءهم محمد الذي  
يرمونه كما يرمون أنسائهم قالوا ( هذا سحر مبين ) كما قالوا في عيسى ( فقال الذين كفروا منهم  
إن هذا الا سحر مبين )

وفي هذه القصة من الفوائد أمور :

منها أن النذر ما زال مشروعا في الأمم السابقة ؛ والهي ﷺ قال فيه كلمة جامعة للصحيح

الصدق منه وقد طرد فقال « من يدري أن يطيع الله فيعطيه ، ومن يدري أن يعصى الله فلا يعصه »  
ومنها أن من صمته الله على الصد أن يكون في كفاية الصالحين الأخيار ، فإن المربي والكافل  
له الأثر الأعظم في حياة المكفول وأخلاقه وآدابه ، وهذا أمر الله المربين بالتربية العظيمة المشتملة  
على الحث على الأخلاق الحسنة ، والترهيب من مساوئ الأخلاق

ومنها تمت كرامات الأولياء ، فإن الله كرم مريم بأمر يسر لها أن تكون في كفالة زكريا  
عندما حصل الخصام في شأنه ، وأكرمها بأن كان رزقها يأتيها من الله بلا سب ، وأكرمها بوجود  
عيسى وولادتها إياه وبحطاب الملك لها بما يعظم قلبه ، ثم تكلامه في أمه ، هذه الأحيرة جمعت  
كرامة ولّى ومعجزة نبي

ومنها الآيات العظيمة التي أحراها الله على يد عيسى بن مريم . من حياء الموتى ، وإبراء  
الأكف والأبرص ونحوها

ومنها ما أكرم الله به عيسى بأن حصل له حوار بين وأنصاراً في حياته وبعد مماته في إث  
دعوته والنصر لدينه ، ولذلك كثر تأسوه ، ولكن منهم المستقيم وهو الذي آمن به حقيقة ،  
وآمن بجميع أوامره ومنهم المشرك . وهم الذين علوا فيه ، وهم جمهور من يدعى أنه من أتباعه  
وهم أبعد الناس عنه

ومنها أن الله أثنى على مريم بالكمال بالصدقية ، وثب صدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت  
من الفائتين ، وهذا وصف لمالئ الراس والمادة الدائمة والخشوع لله ، وأنه صفاها وفصلها  
على فساد العالمين

ومنها أن إحصار النبي ﷺ بهذه النعمة وغيرها مصنف مطبق للحقيقة من دلة رسالته وآياته  
مدوكة لقوله (ذلك من أسماء العيب توحى اليك) الآية

« هذه قصة يوسف ويعقوب عليهما الصلاة والسلام »

هذه القصة من أعجب القصص ، وذكرها الله جميعاً ، وفردده سورة مطوية معصية تفصيلاً  
واضحاً ، قراءتها تفي عن التعبير ، قال الله سبحانه فيها حجة يوسف من ابتداء أمره إلى آخره ، وما  
بين ذلك من تشكلات واختلاف الأحوال ، وقال فيها (لقد كن في يوسف وأخوته آيات للسائلين)  
فلقد كر ما يستلزم من هذه القصة العظيمة من فوائد ، فنقول مستعين بالله

ذكر ما فيها من الفوائد :

مبدأ هذه القصة من أحسن القصص وأوضحها ، لما فيها من أنواع التشكلات من حال إلى  
حال ، من محبة إلى محنة ، ومن محبة إلى مسحة دمة ، ومن دل إلى عز . ومن أمن إلى خوف

وبالعكس ، ومن ملك إلى رق وبالعكس ، ومن فرقة وشقات إلى الصمام والشلال وبالعكس ، ومن سرور إلى حزن وبالعكس ، ومن رخاء إلى حبس وبالعكس ، ومن صيق إلى سعة وبالعكس ، ومن وصول إلى عواقب جديدة ، فتشارك من قصصها وحاصلها عبرة لأولى الألبس

ومنها ما هي من أصول تصوير الرؤيا المناسبة ، وأن علم التعبير علم مهم يعطيه الله من شأنه من عباده ، وأن أغلب ما تنبى عليه المناسبات وصرح الأمثال والمثبة في الصفات

فوجه مناسبة رؤيا يوسف . أنه رأى الشمس ولحمه واركواك الأحد عشر ساحدين ، أن هذه ربة للسماء ، وفيها دودها . فكذلك الأبقار ، والسماء والأصمير . زينة الأرض ، ويحيط بهشمى في الطلمات كما يتحدى بالانوار السهوية ، ولأن أباد وأمه أصل ، وأخوته فرع عنها ، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نوراً وحرماً من الفرع ، فذلك كانت الشمس أمه أو أبوه ، والقمر لأخريتها ، ولكواكب أخوته ، ومن المناسب أن الساجد محترم لمن سجد له ، والموجود له معظم شتره ، قال ذلك على أن يوسف يصير معظماً محترماً لأبويه وأخوته ، ولا يتم هذا إلا بمقدمات تقتضى الوصول إلى هذا من علوه وأعمال واحتشاء من الله ، فهذا قال ( وصكذلك بمحبتك رمت ) الآية

ومنها المناسبة في رؤيا العتيين ، حيث عبر رؤيا من رأى أنه يعصر حمراً ، أن الذى يعمل هذا العمل يكون في العادة حاداً لهيئة ، وأيضاً المعصر مقصود لهيئة والخدم تبع لهيئة ويؤول أيضاً إلى السقى الذى هو خدمته ، فذلك أوله بما يؤول إليه ، وإنما تعبيرة لرؤيا من رأى أنه يحمل فوق رأسه حبراً تأكل العاير منه ، بأنه يقتل ويصلب مدة حتى تأكل الطير من ربح رأسه الذى هو يحمل .

وعبر رؤيا الملك بالبقرات والسمكات أنها السنين المحفصة والمجددة ، ووجه المناسبة أن الملك به ترتبط أمور الرعية ومصلحتها ، وبصلاحه وفساده تعد ، فهدد نسيته إدراكى هو الرؤيا ، وكذلك السنون بخصبها وحبسها تنتمى أمور الله ش وتحتل ، والبقو هي آفة حرث الأرض واستخراج معام ، والمعس هو البقر ، فرأى لسبب والسبب ، فرؤيته السبع السان من القرح السبع المحارب ، والسبع لسبلات الخضر ، ثم السبع اليابس . أى لا بد أن تتقدم السبع السنين الخصبات ، ثم تتلوها المحديات ، وتأكل ما حبس فيها من سلال ، ولا تنق إلا شيئاً يخصصونه عنها وإلا فهي يصدد أكلها كلها .

فإن قيل من أين أحد قوله « ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يعاثر السبع وفيه يعصرون » فإن بعض المفسرين قال هذه زيادة من يوسف في التعبير بوحى أوحى إليه فالحواب ليس الأمر كذلك وإنما أحدها من رؤيا الملك ، فإن السنين المحفصة سبع فقط ،

فدل على أنه سيأتي بعدهم عظيم الخصب كثير البركات يزيل الجسد العظيم الحاصل من السنين  
المجدبة الذي لا يزيلها عام حسب عادى ، بل لا بد فيه من حسب خلاف العادة ، وهذا واضح وهو  
من مفهوم العدد .

ومنها ما فيها من الأدب والبراهين على سيرة سيد محمد ﷺ حيث قص عليه هذه القصة المعصلة  
المبسوطة الموقفة للواعى التى تمت بالمقصود كله ، وهو لم يقرأ بكتب الأولين ولا دارس احداً  
كما هو مفهوم لقومه ، وهو سمع أى لا يقرأ ولا يكتب ، ولهذا قال ( ذلك من آباء النيب  
يوحى اليك وما كنت لبيهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون )

ومنها أنه ينبغي للعد النعم عن أسباب الشر وكتمان ما نحنى مصرته ، لنول يعقوب ليوسف  
( لا تنقص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً )

ومنها ذكر لسان بما يسكره على وجه الصدق والصيحة له أو لغيره لقوله ( فيكيدوا لك  
كيداً ) ومنها أن نعمة الله على العد نعمة على من يشتمق به ويتص من أهل بيته وأقربيه وأصحابه  
فانه لا بد أن يصلحهم ويشملهم منها جانب لقوله ( ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ) أى بما يحصل  
لك ، ولهذا لم تمت النعمة على يوسف حصل لآل يعقوب من العز والتحكيم والسرور وروال  
المكروه وحصول المحبوب ما ذكر الله في آخر القصة

ومنها أن النعم الكبيرة الدينية والديوية لا بد أن يتقدمها أسباب ووسائل اليها ، لأن الله  
حكيم وله سنن لا تتغير ، فعلى أن المطالب العالية لا تقبل إلا بالأسباب النافذة ، خصوصاً العلوم  
الدقيقة وما يتفرع عنها من الأخلاق والأعمال ، فهذا عرف يعقوب أن وصول يوسف إلى تلك  
الحالة التى يحصل له فيها أبوه وأمه وإخوته ، مقام عظيم ومرتبة عالية ، وأنه لا بد أن ينسب الله  
ليوسف من وسائل ما يوصله اليها ، ولهذا قال ( وكذلك يمتدك ريثك ويمسكك من تأويل  
الاحاديث ويتم نعمته عليك ) الآية

ومنها أن العدل معنوي في جميع الأمور الصادر والكار ، في معاملة السلطان لرعيته ، ومعاملة  
والدين للأولاد ، والقيام بحقوق الروحات وغير ذلك في المحبة والايثار ونحوها ، وأن القيام  
بالعدل في ذلك تستقيم الأمور صغارها وكبرها به ويحصل للعد ما أحب ، وفي الاحلال بدات  
نفسه الاحوال ويحصل للعد المكروه من حيث لا يشعر ، لهذا قد يعقوب عليه السلام يوسف  
في المحبة ، وحمل وجهه له جرى منه على أيهم وأخيه من المكروه ما جرى

ومنها الحذر من شؤم الذنوب ، فكم من ذنب واحد استتبع ديوماً كثيرة ونسلل الشر  
المؤسس على الذنب الأول ، وانظر إلى جرء إخوة يوسف ، فانه لما أرادوا الصريق يسه وبين  
أييه الذى هو من أعظم الجرائم ، احتلوا على ذلك بعدة حيل ، وكذبوا عدة مرات ، وزوروا

على أيهم في القمص والتم الذي فيه ، وفي صفة حلم حين أتوا عشاء يكون ، ولا بد أن الكلام في هذه القصة تسلسل وتثني ، بل ربما أنه اتصل إلى الاجتماع بيوسف ، وكلما بحث في هذا الموضوع فهو بحث كذب ورور مع استقرار أثر المصيبة على يعقوب ، بل وعلى يوسف ، فليحذر العدد من الذنوب ، خصوصاً الذنوب المتسلسلة ، وضد ذلك بعض الطاعات تكون طاعة واحدة ، ولكن ينسلل ففعلها وبركتها حتى تستنفع طاعات من الفاعل وغيره ، وهذا من أعظم آثار بركة الله للعبد في عمله وعمله .

ومنها أن العبرة للعد في حال كمال النهاية ، لا ينقص الداية ، فإن أولاد يعقوب عليهم السلام جرى منهم ما جرى في أول الأمر من الجرائم المتنوعة ، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح ، والاعتراف التام ، والمعروف التام عنهم من يوسف ومن أبيهم والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة ، وإذا سمح الصد بحق فأنه أولى بذلك وهو خير الراحمين الفافرين ، ولهذا في أصح الأحوال إن الله جعلهم أنبياء لحوم ما سبق منهم وكأنه ما كان ولقوله (وما أنزل على إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولألساط) وهم أولاد يعقوب الاثنا عشر وذريتهم ، وما يؤيد هذا أن في رؤيا يوسف أنهم هم السكاك التي فيها النور والهداية ، وهي من صفات الأنبياء ، فإن لم يكونوا أنبياء فأنهم علماء عباد

ومنها ما من الله به على يوسف من العلم والحلم والخلق السكاكة والدعوة إلى الله وإلى دينه وعفوه عن إخوته الخاطئين عفواً بادرهم به ، وتم ذلك بأن أخبرهم أنه لا يثرب عليهم بعد هذا العفو ، ثم بره العظيم بأبيه وأمه وإخوته على إخوته ، وإحسانه على عموه الخلق ، كما هو بين في سيرته وقصته .

ومنها أن بعض الشر أهون من بعض ، وارتكك أخف الصررين أولى من ارتكك أبطلهما فإن إخوة يوسف لما قالوا (اقتدوا يوسف أو اطرحوه أرضاً) الآية وقال قائل منهم (لا تقتلوه وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض البيرة إن كنتم فاعلين) كان قوله أحسن منهم وأخف ، وبسببه خف عن إخوته لائم الأكبر ، وهو من جملة الأسباب التي قدر الله ليوسف في وصوله إلى الغاية التي يريد

ومنها أن الشيء إذا تداولته الأيدي وصار من جملة الأموال ولم يعلم المعاملون أنه على غير وجه الشرع فلا يتم على من باشره ببيع أو شراء أو خدمة أو انتفاع أو استعمال ، فإن يوسف باعه إخوته يوماً محرماً عليهم ، واشترته السيارة بقاءاً على أنه عبد لإخوة يوسف الدائمين ، ثم ذهبوا به إلى مصر فباعوه بها ، وبقي عبد سيده علاناً رفيقاً ومحمداً له سيداً ، وكان عندهم بمنزلة الرقيق المسكرم ، وسعى الله شراء السيارة وشراءه في مصر معاملة لما ذكرنا

ومنها الحذر من الخلوة بالنساء الاحبيبات ، وخصوصاً اللاتي يخشى منهن الفتنة ، والحذر أيضاً

من الهبة التي يحمي ضررها ، فان امرأة العزيز حرم منها ما جرى بسبب توحيد يوسف وحباها الشديد له الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة ، ثم كذبت عليه فسخن ذلك السجن الطويل .  
ومنها أن الهمة الذي هم به يوسف ثم تركه الله ولبرهان الايمان الذي وصحه الله في قلبه مما يرقيه الى الله ربي ، لأن الهمة داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء ، وهو طبيعة طبع عليها الآدمي ، فإذا حصل الهمة بالمعصية ولم يكن عند العبد ما يقاوم ذلك من الايمان والخوف من الله وقع الذنب ، وإن كان لعبد مؤمناً كامل الايمان ، قال الهمة الطبيعي إذا قلبه ذلك الايمان الصحيح القوي منصفه من ترتب أثره ، ووركا الداعي قوياً ، ولهذا كان يوسف من أعلى هذا النوع ، قال تعالى ( لولا أن رأى برهان ربه ) بدليل قوله ( كذبت لمصرف عه السوء واعتشاه به من عبادنا المخلصين ) لاستخلاص الله إياه بقوة يمينه وإخلاصه ، خلصه الله من الوقوع في الذنب ، فكان ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، ومن أعلى السعة الذين يظلم الله في قلبه يوم لا ظل إلا ظله ، هذا كرم الله عليهم رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله فبهما لم كان لامعارض له استمرت في مراودته ، وهما عرض عرض ثم رال في الحال يبرهه ربه

ومنها أن من دخل الايمان قلبه ثم استدار بمعرفة ربه وتور الايمان به ، وكان مخلصاً لله في كل أحواله ، فان الله يدفع عنه يبرهه إيمانه وإخلاصه من أنواع السوء والعتشاء وأسباب المعاصي ، فهو حراً لا يدينه وإخلاصه ، لأن الله على صرف هذه الأمور عن يوسف بقوله ( به من عبادنا المخلصين ) على قراءة من قرأها بكسر الهمزة ، ومن قرأها بالفتح ، فان من أحاطه الله واحتماه فلا بد أن يكون مخلصاً ، فالمؤمنان ملازمان

ومنها أنه ينفي للعبد إذا ابتلى بالوقوع في عمل فيه فتنة وأسباب معصية أن يفر ويهرب غاية ما يمكنه ليتصبر من التخلص من ذلك الشر ، كما هو يوسف هارياً للرب ، وهي نمك بثوبه وهو مدبر عنها .

ومنها أن المرائين يعمل بها عند الاستدانة في الدعوى ، وديت أن الشهد الذي شهد به في حكم على يوسف وعلى المرأة استبرأ القرملة فقد ( إن كان قيصه قد من قبل ) إلى آخر القصيدة ، وصار حكمه هذا موافقاً للصواب ، ومن اقترائى وحود الصواع في رجل الأخ ؛ وقد اعتبر هذا وهذا

ومنها ما عليه يوسف من الجمال الداهر طاهراً وباطناً ، فان جلاله الطاهر ، وحب لامرأة العزيز ما أوجب من الحب المبرط والمراودة المستمرة ؛ ولك لاهما السبب دعته واعتدت لمن مشكناً وآتت كل واحدة منهن سكناً ، وقالت : اخرج عليهن . فلما رأيه أكبرته وقطن يديهن وقال حاش لله ، ما هذا بشراً ، إن هذا إلا ملك كريم

وأما جماله الباطن فهو العمة العظيمة منه ، مع وجود النواحي الكثيرة لوقوع سوءه ، ولكن الإيمان ونوره والاخلص وقوته لا يشد عنهما قصبة ولا تحامهما رذيلة ، وقد بينت امرأة العزيز للنساء من يوسف الأمرين ؛ فأنها دأبتهن حالة الظاهر الذي اعترقن أن هذا الجمال لا يوجد في آدميين قالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) وقالت بعد ذلك (الآن حصص الحق أنا وراودته عن نفسه وإني لمن الصادقين)

ومنها أن يوسف عليه السلام احتار الحزن على المعصية ، فهكذا إذا ابتلى العبد بأحد أمرين ، إما أن يلجأ إلى فعل المعصية ، وإما أن يعاقب عقوبة دنيوية ، فعليه أن يختار العقوبة الدنيوية التي فيها الثواب من هذا الوجه بعدة أمور : ثواب من جهة اختياره الإيمان على السلامة من العقوبة الدنيوية ، وثواب من جهة أن هذا من باب التحليص للمؤمن والتصفية ؛ وهو يدخل في الجهد في سبيل الله ، وثواب من جهة المعصية التي نالته والألم الذي أصابه ، فسخان من بسم سلاته ويلطف بأصفيائه ، وهذا أيضاً عنوان الإيمان وعلامة السعادة

ومنها أنه يسمى للعبد أن يلتحق إلى ربه ويحتسب بمجاهدته وحود أسباب المعصية ويبتعد من حوله وقوته لقول يوسف (ولا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) فالعبد الموفق يستعين به على دفع المعاصي وأسمائها ، كما يستعين به عند فعل الطاعات والخيرات والله كافي المتوكلين .

ومنها أن العلم والعقل الصحيح يدعوان صاحبهما إلى الخير ويبهانه عن الشر ، وإن الجهل يدعو صاحبه إلى ضد ذلك لقوله (أصب إليهن وأكن من الجاهلين) أي الجاهل بالأمور الدينية ، والجاهل بالحقائق الدائمة والحقائق الصادرة

ومنها أنه كما على العبد عبودية له في حال رخائه ، فعليه عبودية في حال الشدة ، فيوسف عليه السلام لم يرل يدعو إلى الله ، فما دخل السجن استمر على ذلك ودعا من يتصل به من أهل السجن ودعا الفقيين إلى التوحيد ونهاها عن الشرك ، ومن كمال رأيه وحكمته أنه لم رأى فيهما قابلية لدعوته حين احتاجا إليه في تعبير رؤياه وقال له (إن أراك من المحبين) رأى ذلك فرصة ، فدعاه إلى الله قبل أن يعبر رؤياه ليكون أقرب إلى حصول المطلوب ، وبين لها أن الذي أوصله إلى هذه الحال التي رأياه فيها من السكال والعلم لإيمانه وتوحيده وتركه لمة المشركين ، وهذا دعاء لها بالحال ثم دعائها بالمقال ، وبرهن لها على حس التوحيد ووجوبه ، وعلى قبح الشرك وتحريمه

ومنها أنه يبدأ بالأمم فالأمم ، وأنه إذا مثل المفتي وكان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينسئ له أن يعلم ما يحتاج إليه قبل أن يجهت سؤاله ، فإن هذا علامة على نصيح المعلم وفطنته



وحسن إرشاده وتعليمه ، فان يوسف لما سأله الفتيان عن رؤياهما ، وكانت حاجتهما إلى لوحيده والايغان أعظم من كل شيء قدمها

ومنها أن من وقع في مكروه وشدة لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تحليله بفعله أو الاخبار بحاله . وأن هذا لا يكون نقصاً ولا شكوى إلى المحقوق ممنوعة ، فان هذا من الأمور العادية التي جرى لعرف باستماعة الناس لبعضهم ببعض فيها ، ولهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج منهما ( أذكرني عند ربك )

ومنها أنه يتمين على المعلم والداعى إلى الله استعمال الاحلاص التام في تعليمه ودعوته ، وأن لا يجعل ذلك وسيلة إلى معاوضة في مال أو جاه أو نعم ، وأن لا يتعصم من التعليم إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم ، فان يوسف قد وصى أحد الفتيتين أن يذكره عند ربه فلم يذكره ونسى هذا بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتى وحده مثلاً مستفتياً عن تلك الرؤيا ، فلم ينفقه يوسف ولا ونحه ، بل ولا قال له لم لم تذكرني عند ربك وأجابه جواباً تاماً من جميع الوجوه .

ومنها أنه ينبغي للمستأول إذا أجاب السؤال أن يدل السائل على الأمر الذي ينفعه مما يتعلق بسؤاله ويرشده إلى الطريق التي ينتظم بها في دينه ودنياه ، فان هذا من كمال نصحه وجرالة رأيه وحسن إرشاده ، فان يوسف لم يقتصر على تفسير رؤيا الملك ، بل دلهم مع ذلك وأشار عليهم بما يسمعونه في تلك السنين المحصنات من الاكثار من الزراعة وحسن الحفظ والجدابة ومنها أنه لا يلام العبد على دفع النعمة عن نفسه بل ذلك مطلوب كما امتنع يوسف من الخروج من السجن حتى تتبين لهم برائته مع السوء الذي قطع أيديهم .

ومنها فضيلة العلم ، علم لشرع والاحكام ، وعلم تفسير الرؤيا ، وعلم التدبير والتربية ، وعلم السياسة ، فان يوسف عليه السلام إنما حصلت له الرفعة في الدنيا والآخرة بسبب علمه المتشوع ، وفيه أن علم التعبير داحل في الغتوى ، فلا يحل لأحد أن يحرم بالتعبير قبل أن يعرف ذلك ، كما ليس له أن ينفي في الاحكام بغير علم ، لأن الله سماها فتوى في هذه السورة

ومنها أنه لا بأس أن يحجر الانسان عما في نفسه من الصفات السكامة من العلم وغيره إذا كان في ذلك مصلحة وسلم من الكذب ولم يقصد به الزيادة لقول يوسف ( اجعلنى على خزائن الارض أنى حفيظ عليم ) وكذلك لانتم الولاية إذا كان المتولى لها يقوم بما يقدر عليه من اقامة الشرع وإيصال الحقوق إلى أهلها ، وأنه لا بأس بطلبها إذا كان أهلاً وأعظم كفاءة من غيره ، وإنما المدهوم إذا لم يكن فيه كفاءة أو كان موحرفاً من هو أمثل منه أو مثله ، أو لم يرد بها اقامة أمر الله بل أراد الترامس والمأسكة للمالية

ومنها أن الله واسع الخود والكم ، يجوز حتى سده بحيراته ، والآخرة ، وإن حير الآخرة  
له سدان لا ثالث لهما ، إلا أن لكل ما أوجب الله الإيمان به ، والتقوى التي هي امتثال الأوامر  
الشرعية واحتساب النواهي ، وأن حير الآخرة حير من ثواب الدنيا وملكم ، وأنه يسمى للعبد  
أن يسع نفسه ويشوقها لثواب الله ولا يدعها تحرق إذا رأت لذات الدنيا ورغباتها وهي عذرة  
عنها ، من يسلبها بثواب الآخرة ليحب عليها هذه حصول الدين ، يقول يوسف ( والآخرة  
الآخرة حير لذين آمنوا وكنوا يتقون )

ومنها أن حيازة الأوراق إذا أريد بها التوسعة على النفس من غير صبر يلحقهم لا بأس به ،  
بل ذلك مخطوب ، لأن يوسف أمرهم بحيازة الأوراق والأطعمة في السنين المحصنة للاستعداد به  
للسنين المجذبات ، وقد حصل به الظاهر الكثير .

ومنها حسن تدبير يوسف لما نزل حرائق الديار المصرية من أنصافها إلى أنصافها . فمن  
الرعاية حتى كثرت الملال حيا ، فصار أهل الأقطار يقتصدون مقدار لطلب الميرة منها عندما  
فقدوا ما سدهم ، لعدم توفره في مصر ، ومن عده وتديره وجوهه من تلاعب بها التحذير أنه  
لا يكبل لأحد إلا بما راحته خاصة أو أقل ، لا يريد كل قده على كبل سحر وحمله ، وطاهر  
حبه هذا أنه لا يعطى شيء أسد إلا أقل من ذلك بكثير لحصول هذه

ومنها مشروعية الصياغة ، وثب من سنن المرسلين وإكرام الصيغ . يقول يوسف ( ألا ترون  
أنى أوفى الكيل وأنا خير المرلين )

ومنها أن سوء النعم مع وجود لقرائن اندالة عليه غير ممنوع ولا محرمة ، من يعقوب قال  
لأولاده ( هل آسكم عليه ، لا كما تمسك على شحمه من قبل ) وقال ( ما سولت لكم أنفسكم  
أمرا ) ثم في الأحيرة ، وإن ، يكونوا مغرطين به فقد جرى منه ما أوجب لآبيه أن يقول  
ما قال من غير لوم عليه

ومنها استعمال الاسماء لدعوة للمع وغيره من المكائد والبراهمة ، كما ورد في غير  
تسوع ، وإن كان لا يقع شيء ، لا ينصف الله ، ودره . وإن الاسماء أيضا من انصاف والقدر ، يقول  
يعقوب ( ما لي لا تدخنوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ) الآية

ومنها حوزة استعمال الخيل والسمكائد التي يتوصل بها إلى الحقون . وإن لم يلطرق الخفمة  
الموصلة إلى مقاصده ، كما يحمد عليه الصد ، وأما الخيل التي يراد بها إسقاط واجب أو فعل محرم  
فإنها محرمة غير نافذة .

ومنها أنه ينبغي لمن رددت يوم غيره بأمر لا يجب عليه أن يستعمل المعارض القوية  
والفعالية المانعة من السكوت ، كما فعل يوسف حين تلقى الصواع في رجليه ثم استخرجها

منه موهاً أنه سارق ، وليس في ذلك تصريح بسرقته ، وإنما استعمال أعاريص ، ومثل هذا قوله ( معذرة الله أن يأخذ إلا من وحدها متعبد عنه ) وأيضاً من سرق متعبد

ومنها أنه لا يجوز أن يشهد إلا بما علمه وتحققه برؤية أو سماع لتوهم ( وما شهدنا إلا بما علمنا ) وقوله ( إلا من شهد بالحق وهم يعلمون )

ومنها هذه الخطة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام ، إذ قضي بالتفريق بينه وبين اسمه يوسف الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة ويحمره أشد الحزن ، فتم له هذه المعرفة مدة طويلة ويعقوب م يذوق الحزن قلبه ، وابتعت عيانه من الحزن فهو كطيم ، ثم إرداده الأرحمين اتصال فراق الابن الثاني بالأول ، وهو في ذلك صابر لأن الله يحب الأحرار من الله ، وقد وعد من نفسه الصبر الجميل ، ولا ريب أنه وفي بما وعده به ، ولا بد في ذلك قوله ( إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ) فإن الشكوى إلى الله لا تمنى الصبر ، وإنما الذي ينهيه الشكوى إلى المخلوقين ، ولا ريب أن الله رضى بهذه المحنة درجت عالية ومقامات سامية ، لا تقال إلا بتسل هذه الأمور .

ومنها أن المرح مع اشتداد الكرب ، فانه لما تراكت الشدائد المتشعبة وصاق العمد ذرعاً بحملها ، فرحها فارج الهم كاشف الهم بحجب دعوة المصطرين ، وهذه عوائده الجميلة ، خصوصاً لأولياته وأصدياته ، ليكون ذلك الوقع الأكبر ولحل الأعظم ، وليحصل من المعرفة بالله والمحبة له ما يوازن ويرجح بما جرى على العبد بلا نسبة

ومنها حوار احذر العمد بما يحمد وما هو فيه من مرض أو ضرر أو غيرهما على غير وجه النسيط لقول يعقوب ( يا أباي على يوسف ) وقول إسماعيل يوسف ( من وأهلنا الصبر ) وأقرهم يوسف

ومنها فضيلة التقوى والصبر ، وإن كل حيرة في الدين والآخرة فمن آثر التقوى والصبر ، وإن عاقبة أهلها أحسن العواقب لقوله ( قد من الله على عباده ، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين )

ومنها أنه يسمى للعبد إذا نعم عليه سعة بعد صده ، أن يتذكر الحالة التي كان عليها ليحفظ ويعظم وقع هذه النعمة الخاصة ويكثر شكره لله تعالى ، ولهذا قال يوسف ( وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من لدنكم من بعد أن تربح الشوط بيني وبين أخوتي )

ومنها ما في هذه القصة من الألفاظ المتشعبة المسببة للسلاسة منها رؤيا يوسف السابقة ، ومن فيه روحاً ولطف بيوسف ويعقوب ، وشارة بالوصول إلى تأويلها ، ولطف الله بيوسف إذ أوحى إليه وعرف في الحب لتعشبه بأمره هذا ، وهو لا يشعرون ، ونقلاته من حال إلى حال ، فإن فيها

الطافاً ظاهرة وخفية ؛ ولهذا قل في آخر الامر ( إن ربي لطيفٌ بـ ) يشاء ) يطلب به في حواله الداخلية ، ويطالب له في الأمور الخارجية ويوصله إلى أعلى المطالب من حيث لا يشعر ومنها أنه ينسى للعبد أن يلج دائماً على ربه في تثبت يديه وأن يحسن له الخاتمة وأن يجعل خير أيامه آخره ، وخير أعماله حوائها ، قال الله كريمٌ حواد رحيم

### ﴿ قصة أصحاب الكهف ﴾

وهم فتية وفقهم الله وألهمهم الايمان وهرموا ربه ونكروا ما علمه قومه من هدة الأوثان وناموا بين أظهرهم معدين في بيوتهم عقيدتهم ، خائفين من سطوة قومه فقالوا ( ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا ) نرى إن دعوا عدوه ( شططا ) أي دوراً وبيدةً أما وطلساً ( هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة ، لولا يأتون عبهم سلطان بين ، فمن علم من افترى على الله كذباً ) فلما اتفقوا على هذا الامر ، وهرموا أنه لا يمكنهم اظهار ذلك أو مهم سأو الله أن يسهل أمرهم فقالوا ( ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً ) فأووا إلى غار يسره الله غاية القيسر ، واسع الفجوة ، فبه نحو الشمال لا تدخله الشمس ، لا في طلوعها ولا في غروبها فناموا في كهفهم يحفظ الله ورعائهم ثلاث مئة سنين وادادوا قصباً وقد صرف الله عليهم نطقاً من ارحم على قريهم من مدينة قومهم ، ثم انه في العار تولى حفظهم بقوله ( وظلهم ذات اليمين وذات الشمال ) وذلك لئلا تنلى الارض أحسادهم ، ثم أيقضهم صد هذه المدة الطويلة ( ينساءوا بينهم ) ولهمفوا في آخر الامر على الحقيقة ( فقل قائل منهم كم لستم ؟ قالوا لستنا يوماً أو بعض يوم . قالوا ربكم أعلم بما لستم ، فابنوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة ) إلى آخر القصة .

فيها آيات بيوت وموائد متعددة :

منها أن قصة أصحاب الكهف وإن كانت معجزة فليست من أعجب آيات الله ، فإن الله آيات عجيبه وقصصاً فيها عبرة للمعتبرين .

ومنها أن من توى إلى الله أواه لله واطاب به وحمله سبب الهداية الصائين ، فإن الله لطيف بهم في هذه النومة العويبة ابقاءً على ايمانهم وهدايةً من نعمة قومهم وقولهم ، ويجعل هذه القومة من آياته التي يستدل بها على كمال قدرة الله وتنوع احسانه ، وليلم العباد أن وعد الله حق ومنها الحث على تحصيل المعود النافعة والمباحة فيها ، لأن الله ينهم لأجل ذلك ، ويبحثهم ثم يعلم الناس بحالهم حصل البرهان والعلم بأن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها ومنها الأدب فيمن اشتبه عليه العلم أن يرد إلى حاله ، وإن يقف ههنا يعرف ومنها صحة الوكالة في البيع والشراء وصحة الشرك في ذلك ، لقولهم ( فابنوا أحدكم بورقكم

هذه إلى المدسة فليأتكم برزق منه ( الآية . ومنها حوار أكل الطيبات والتجبر من الأطماع  
ما يلائم الآداب ويوافقها ، بدلا من تخرج إلى حد الأسراف أسعى عنه ، لقوله ( فليفتقر أيها أركي  
طعاماً فليأتكم برزق منه )

ومنها الحث والتجبر ، ولاستحقاقه ، ولما عن موافقه لغنى في الدين ، استعمال السككيات الذي  
يبدأ عن الامتنان الشر .

ومنها بيان رعية هؤلاء الغني في الدين ، وفراهم من كل فتنة في دينهم ، وتركهم لأوطانهم  
وعوائلهم في الله

ومنها ذكر ما اشتغل عليه امرؤ من مصادره ، وما راد إليه رعية لعصاة تركه ، وترهده  
لحرفة طريقه المؤمنين

ومنها أن قوله ( قال الدين سدوا عن أمرهم ) تحدد عليهم مسجداً ( منه دليل على أن هؤلاء  
القوم الذين يتوكلون رعية ، من أهل ندين . لأنهم معصومون هذا التخصيص حتى عرفوا على أحد  
مسجد على كاهنهم . وهذا وإن كان محمداً ، وخصوصاً في شهر ربيعة . فاقصود بيان أن ذلك السدوف  
العصية من أهل الكفر وذنوب إيمانهم ودفعهم في الدنيا ، فليعلم الله به بعد ذلك أميت وبعضهم من  
الخلق ، وهذه عوائلهم الله فيمن يحمل أمثالي من أهلهم ، يحمل به العاقبة الجيدة

وهذا أن كذبة الحث وطولته في الدنيا أن لا تخمية لها لا يلقى إلا حسنة به قوله ( فلا  
تدريهم إلا مراداً )

وهذا أن موافق من لا علم به في القضية المشغول فيها ، أو لا يؤمن به ، هي عنه تارة ( ولا  
تستغث فوهم منهم أحداً )

ر قصة حاتم البدين وإمام المرسدين ومن أن عليه القرآن هدى ورحمة المؤمنين

اعلم أن سيرة نبينا محمد ﷺ أعظم هون على معرفة تفسير كتاب الله ، والقرآن بما كان  
يعرف تماماً ، من سيرة ، وما يتوجه للحلق وحوار ما يقرب به ، ويحصل به تحقيق الحق الذي  
حاه به ، وأطلس المذاهب التي حاه لا تطالع ، وهذا من حكمة إلهائه ، فمراً ، كما ذكر الله هذا المعنى  
قوله ( كذلك شدت به و زادك ورثتهما نبي الام ، ولا يأتونك بتس إلا حشاك فاحق وأحسن  
تفسيراً ) وقال ( وكلا ، من عريك من أم ، الرسل ما شئت به فؤادك وحاشا في هذه الحق )  
فليس من سيرته ﷺ على الاحوال انبساطه لتأويل الآيات المهيبة ، أو لحسن النوع من علوم  
القرآن ليكون هو تاف في هذا المقام .

فأول مقامته في إزال القرآن عليه أنه كان قبل بعثته قد تعصت اليه عدة الأوثان ،

ونفض اليه كل قول قبيح وفعل قبيح ، وفطر ﷺ فطرة مستعدة مهيئة لقول الحق علماً وعملاً والله تعالى طهر قلبه وزكاه وكرمه ، فكان من رغبته العطية فيما يقرب إلى الله أنه كان يذهب إلى عراء الأيام ذوات العدد ويأخذ معه طمماً يعلم منه المساكين ويتصدق ويتحدث فيه ، فقله في سيرة اتحاق به ، ويفعل من العادات ما وصل اليه علمه في ذلك الوقت الجاهل الخالي من علم ، ومع ذلك فهو في غاية الاحسان إلى الحق ، مما تم هره أربعين سنة وثمت قوته المعقبة وصح لتلقى أعظم رسالة رسل الله ، حياً من خلقه ، ندى له جبريل ﷺ فرأى مسطراً لله ورتبه ، ولم يتقدم له شيء من ذلك ، وإنما قدم الله له الرؤيا ، التي كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح

فأول ما أنزل الله عليه ( اقرأ باسم ربك ) فهاهنا بها جبريل وقال له : امرأ فأجبه أنه ليس به رى - أي لا يعرف أن يقرأ - كما قال تعالى ( ووحدك صلاتاً مهدياً ) وتفسيره الآية الأخرى ( ما سكنت قدرى ) السكتان ولا الإيمان ، ولكن حمداه نوراً تهدي به من شاء من عباده ) فعطه جبريل مرتين أو ثلاثاً ليهينه لتلقى القرآن لعطية ، ويتعبد قلبه وسمته وماهره وباطنه لذلك فثقلت هذه الآية في قلبه ، وأمره بالقرآن لمسه به ، وفيه تصديق بسمه على الألسن بتعظيمه لآيات الله من اللطيف والخبير ، فهاهنا إلى حديجة ترسله فرائضه من الفرق وحبه بما رآه وما جرى عليه ، فقلت حديجة رضى فف عنها : نشر فوالله لا يحزبك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتقرى الصيوت وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على رائب الحق ، أي ومن كانت هذه صفته ، فما تستدعي مما من الله أكبرها وأعظمها ، وكان هذا من توفيق الله لها ولتبيينه ، ومن توفيق التلقى الذي أصابه .

وبهذه سورة اقتدب سبوتة ثم فزع عنه الوحي مدة لبثت في ليله وليكون أعظم مواعده عنده وكان قد رأى الملك على صورته فارعب ، فهاهنا إلى حديجة بضاً ترعده فرائضه فقل : ذروني ذروني ، فأدرك الله عليه ( يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك مكبر ، وثباتك قصير ، والرحم فاهجر ) الآيات وكان في هذا الأمر له بدعوة الحق وإسارهم ، فشرع ﷺ من عزمه وصده على الدعوة إلى ربه مع عزمه أنه سيمام به بعد الأمر التعميد والتفريق ، وسيبقى كل به ردة من نوعه ومن غيرهم وشدة . ولكن الله يده وقوى عزمه ويده يروح منه وبالذين الذي جاء به ، وحده سورة الصبح في فترة الوحي لما قال لما كذبون . رب محمد فله قال ( والصبح والليل إذا سجي ، ما ودستك ربك وما قلى ) إلى آخره

وهذا السبب نص من الله سورة . وفي لكل قص : وشرارة ما كل حالة له أحسن مما فيها وحير منه . والله سيعطيه من العسر والأيسر والمر العسر وأمنه والذين ما يرضيه

مكان عظيم مقامات دعوته دعوته إلى التوحيد الخالص والنهي عن صده ، دعى الناس لهذا ، وقرره الله في كتابه وعرفه بطرق كثيرة واضحة تبين وجوب التوحيد وحسنه ، وتعييه طريقاً إلى الله وإلى دار كرامته ، وقرر ابطال الشرك والمذاهب الصارة بطرق كثيرة احتوى عليها القرآن ، وهي أغلب السور المكية ، فاستحب له في هذا الواحد ضد الواحد هي شدة عظيمة من قومه ، وقومه قومه وغيرهم ونمواله الموائيل ، وحرصوا على اطباء دعوته بخدم وقولهم وعملهم ، وهو بخدمهم ويتحداهم أن يأتيوا بمثله ، وآمن ، وهم يصفون أنه الصادق الأمين ، ولكنهم يكذبون ويحسدون آيات الله ، كما قال تعالى ( فأنظر لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يحسدون ) . ولهذا لما كان استماعهم للقرآن على وجه الكفر والجحد والعكديت وتوطين نفوسهم على معاداته حذر الله تعالى أنه حمل على قلبهم أكمة أن يفقهوه وفي آذانه وفرايد وأنهم لا يتقنون بسبب ما أسسوا من هذا الأصل الخبيث ، فاستحب لصاحبه من كل خير وهدي ، وهذا مما يعلم به حكمة الباري في اصلاح اديب ، وأنهم لما احتدوا لأنفسهم الضلال ورعدوا فيه ، ولاهم الله ماتولوا لأنفسهم وتركهم في طعنهم يمدحون ، وأنهم لم يردوا نعمة الله عليهم حين حاجتهم ، فلب الله أنفستهم ونصر استماعهم ونهى أنصارهم وفندتهم ، وهذا الوصف الذي أشرنا إليه قد ذكره الله في كتابه عنهم ، وهو يعيد على فهم آيات كثيرة بحبر الله فيها بصلاتهم واستداد طرق الهدى عليهم ، وهدم قلوب محمهم وقبورهم للهدى . وانسب دسسه وهم السبب في ذلك ؛ قال تعالى ( فريقتا هدى وعرفاً حق عليهما الصلوة ، منهم اتحدوا شياطين أولياء من دون الله ) وبصده تعرف الحكمة في هديته للمؤمنين ، وأنهم لم كانوا مصعبين ليس غرضهم إلا الحق ، ولاهم قصد إلا طلب رضا ربهم ، هداهم الله بالقرآن ، واددات به علومهم ومعارفهم وإيمانهم وهدى بينهم المتنوعة قال تعالى ( يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجه من الظلمات إلى النور فاذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ) وهذا الوصف الخليل يؤمن هو الأساس لهدايتهم وريادة إيمانهم واتقيادهم وبه يمتح لك الداب في فهم الآيات في وصف المؤمنين وسرعة اتقيادهم لمحق أصوله وفروعه ومن معصيت النبي ﷺ مع المكذابين به أنه يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة وبجادهم بالنبي هي أحسن ، ويدعوهم فراداً ومترتين ، ويدكرهم بالقرآن ويتلوهم في الصلاة وحارحهم ، وكانوا إذا سمعوه صموا آذانهم ، وقد يسونه ويسون من أمره ، فأدال الله على رسوله آيات كثيرة في هذا ، بمعنى بين حظه مع سميع القرآن وشدة نفورهم كآثارهم مستندة قرب من قصورة ، ونش شياطينهم ورؤسائهم في الشر فكروا وقدرروا ونظروا فيما يقولون عن القرآن ويعصونه به ليفروا عنه الناس ، حتى قرر رئيسهم الويدين البعيرة الذي سماه الله وحيداً فقال إن هذا الأسعر يؤثران هذا الا قول البشر ، ولكن أبي الله الآن يملو هذا الكلام كل كلام ويزهق هذا الحق



كل باطل ، وكانوا من إصمهم يقولون في القرآن الأقوال المتناقضة ، يقولون إنه حجر ، إنه صكمانه ، إنه شعر ، إنه كذب ، إنه أساطير ، شتموا القرآن عصين ، كل هذا أثر النفس الذي أشرق قلوبهم ، حتى قالوا فيه مقالة المتحدين ، وكل قولوا قولاً من هذه الأقوال ، أنزل الله آيات يبطل بها ما قالوا ، ويبين زورهم واعتراءهم وتناقضهم .

وكان من الأدلة والبراهين على رسالة محمد ﷺ وأن القرآن من عند الله مقابلة المكذبين له فان من نظر إليها علم أنها سلاح عليهم ، وأكبر دليل على أنهم مقاومون للحق مدعون في انطاله وأنهم على الباطل الذي ليس له حظ من الحق ، كما ليس له حظ من الدين ، وكانوا أيضاً يقولون في النبي ﷺ الأقوال التي ليس فيها دلالة على ما كانوا يعتقدون ، وليس فيها نقص بالنبي ﷺ يقولون : لو أن محمداً صدق لأمر الله ملائكة يشهدون به بذلك ، ولأنه الله من المشي في الأسواق وطلب الرزق كما يصنع غيره ، ولجس له كذب وكذا مما توحى إليه عقولهم الفاسدة ، ويذكرها الله في القرآن في مواضع متعددة ، تارة بصورها للمعاد فقط ، لأن من تصورها عرف بطلانها وأنها ليست من أشبه الفادحة ، فضلاً عن المحجج المتبررة ، وتارة بصورها ويذكر ما يبطلها من الأمور الواضحة ، وهذا كثير في القرآن .

ومن مقاماتهم مع النبي ﷺ أنهم سمعوا شدة السعي أن يكف عن عيب آلهتهم والظن في دينهم ويحسون أن يتاركة ويتركوه . معهم أنه إذا ذكر آلهتهم ووصفها بالصفت التي هي عليه من النقص ، وأنه ليس فيها شيء من الصفات بوجوب أن تستحق شيئاً من العادة ، يعرفون أن الناس يعرفون ذلك ويعترفون به ، فلا أحب إليهم من التزوير وإلقاء الأمور على علاتها من غير بحث عن الحقائق . لأنهم يعرفون حق المعرفة أن الحقائق إذا قامت صهر للحق بطلان ما هم عليه وهذا الذي منه يعرفون . وهذا المقام أيضاً ذكره الله في آيات متعددة ، مثل قوله ( ودوا لو تدهن عبيدهم ) ونحوها من الآيات . وما توه تسمى ( ولا تصوا الذين يدعون من دون الله فيسوا الله عدواً نذير علم ) فهذا إذا ترتب على السب المذكور سببه الله ، فإنه يترك ما يرتب عليه من الشر .

ومن مقاماتهم المدعوة مع النبي ﷺ كانوا يفرحون بالآيات بحسب هوته ويقولون إن كنت صادقاً فأتنا بعدد الله ، أو بما بعدنا . أو أرل عبد حال مكة وأجل له فيها شهراً وبعيناً . وحتى يحصل لك كذا وكذا مما ذكره الله عنهم فحسبهم الله عن هذه الأقوال ما رسوله ﷺ يدعيه الله بالآيات والله أعلم بما ينزل من آياته . وتعلم بما هو أجمع له ، وأنه قد حصل المقصود من بيان صدقه وقامت الأدلة والبراهين على ذلك . فقول الجاهل اللاحق لو كذب كذا وكذا أهل منه وكفر ومثله محصاة ، ودرة يحجرهم أنه لا يمنعه من الاتيان بها إلا الاقصد عليهم

وأما بوجاهة لا يؤمنون . فقد ذلك ، فالحمد لله العبد . ودره بين هم أن الرسول إنما هو  
 مدير من ، ليس به من الأمر شيء ، ولا من الآيات شيء وأن هذا من عند الله ، فصحة من الرسول  
 محض الظن والعدول ، وهذه النعم في القرآن كثيرة بأساليب متعددة

وأحياناً يمدحون في الرسول فتدبرون فيه على الله ، وأنه لولا لزل هذا القرآن على  
 رحل من القرآن عظيم ، ومحمد ليس كذلك ، والله يا عبد الله ما في القرآن من فضل  
 تفضل علينا بالحق ، ونحوه من الآيات المست من الحمد ، فيحییهم الله بذكر قصه ، وأن قصه  
 يؤتیه من يشاء ، وأنه أمر حيث يحسن رسالته والمحل اللائق بها . ويشرح هم من صفات رسوله  
 التي يشاهدونها رأي عين ما يظنونهم وعيهم أنه أسطر رحل في العالم ، وأنه ما وجد ولن يوجد  
 أحد يقاربه في الكمال ، مؤيداً ذلك بالأمور المحسوسة والبراهين المسموعة . وقد أتى الله هذه  
 المعاني وأعادها معهم في مواضع كثيرة .

ومن مقاماته <sup>والتحليل</sup> مع المؤمنين الرقة الحضية والرحمة لهم والمحنة المنة والفهم معهم في كل  
 أمورهم ، وأنه لم أرهم وأرأف من آباءه وأمهاته ، وأحق عليهم من كل أحد ، كما قال تعالى  
 ( لقد جاءك رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم - لقد من  
 الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب  
 والحكمة ، وإن كانوا من قبل لى لسلال مبين ) فما رحمة من الله لست هم ، وبركمت عطفاً عليهم  
 القلب لا يعضوا من حولك - فاعلم عنهم واستمع لهم وشاورهم في الأمر ) هم يرسل يداه إلى  
 التوحيد وعقائد الدين وأصونه ، ويقرر ذلك بالبراهين والآيات المتدوعة ، ويحذر من الشرك  
 والشركاء كما هي منه نصت إلى أن استكمل بعد ثمة ، ونحو عشر سين وهو يدعو إلى الله  
 على بصيرة

ثم أمرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته ، وعرج به إلى فوق  
 السموات السبع ، وعرض الله عليه الصلوات الخمس بأوقاتها وهيئاتها ، وحده حبريل على أثره  
 فعله أوقاتها وكيفيات ، وصلى به يومين ، اليوم الأول صلى الصلوات الخمس في أول وقتها  
 واليوم الثاني في آخر وقت ، وقال : لصلاة ما بين هذين الوقتين ؛ هزمت الصلوات الخمس قبل  
 الهجرة سحر ثلاث سنين ، ولم يرض لأذان في ذلك الوقت ولا بقية أركان الإسلام ، وانتشر  
 الإسلام في المدينة وما حولها . ومن بعد الأسباب أن الأوس والخزرج كان اليهود في المدينة  
 حيراناً لهم ، وقد أحترقهم أنه ينتظرون مبعوثاً من قبل زمانه ، وذكروا من أوصافه ما دله عليه .  
 فصدر الأوس والخزرج - أحتموا باللهي ( من ) في مكة وتيقنوا أنه رسول الله ، وأما اليهود فاستولى  
 عليهم الشقاء والحقد ، فلما حاربوا كفروا به . وكان المسلمون في مكة في ذي شدي من

قريش فأذن لهم النبي ﷺ في الحجرة ، ولما إلى الخبيثة ، ثم إلى كثير من أهل المدينة صارت  
الهجرة إلى المدينة

وحين خاف أهل مكة من هذه الحال احتسب ملاهم ورؤسائهم في دار الندوة يريدون القصة  
التي على لسان النبي ﷺ ، فاتفق رأيهم أن ينتحوا من قبائل قريش من كل قبيلة رجلاً شجاعاً  
فيحتمون ويصربونه بسيوفهم ضربة واحدة ، قالوا لأجل أن يتعرف دمه في القاتل فتصعب يسو  
هم عن مقدمة سائر قريش فيصرون بالديه ، هم يذكرون ويمكرون والله خير الماكرين ، فحاء  
الوحي إلى النبي (ص) وغرم على الهجرة ، وحرأبا بكر بذلك وطلب منه الصلحة فأجابه إلى  
ذلك وخرج في تلك الليلة التي احتسبوا على الإيقاع به ، وأمر علياً أن يسه على فراشه وخرج هو  
وأبو بكر إلى لعار ، فلم يرانوا يرصدونه حتى يرق القدر ، فخرج إليهم على قتلوا أين صاحبك ؟  
قال لا أدري .

ثم ذهبوا يطلونه في كل وجهة وحملوا الحملات الكثيرة لمن يأتي به . وكان الحبل الذي فيه  
العار قد امتلأ من الخلق يطلدون رسول الله (ص) فقال أبو بكر يا رسول الله لو نظر أحدهم  
إلى قدميه لأبصرنا فقال يا أبا بكر ما طئت ثابتي الله ثالثهما ؟ وأنزل الله تعالى (لا تصروه  
فقد نصره الله يد أحرجه الذين كفروا ثابتي اثنين اذ هما في العار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن  
الله معنا ، فأمر الله سكينته عليه وأيده بخمود ثم تزوها وحل كلمة الذين كفروا ، السلي وكلمة الله  
هي العليا ، والله عزيز حكيم ) فهاجر إلى المدينة واستقر بها وأذن له في القتل بعدما كان قبل الهجرة  
ممنوعاً لحكمة مشاهدة ، فقال ( أذن للدين يقتلون بأنهم ظفروا ) والله على صرهم لغيره ) وحمل  
يرسل السرايا ، ولما كانت السنة لثمة فرض الله على لصاد الركعة والصيام ، وآيات الصيام  
والركعة إنما نزلت في هذا العام وقت فرضها ، وأما قوله تعالى ( وويل للمشركين الذين لا يؤتون  
الركعة ) قال المراد ركعة القلب ومطهارته بالتوحيد وترك الشرك .

وفي السنة الثامنة أيضاً كانت وفاة بدر وسببها أن عيراً لقريش تحمل نجارة عظيمة من  
الشام ، خرج النبي ﷺ بمن خلف من أصحابه لطبها ، فخرجت قريش سماتها ونواها في بدر على غير  
ميعاد ، فالتبرحت والسير القوا به رسولاً وصحبه ، وكانوا قد كادى العدو الخليل ، والمسلمون  
ثلاثاً ونضمة شر على سبعين عيراً يعصونها ، هزم الله المشركين هزيمة عظيمة ، قتلت سرواتهم  
وصناديدهم ، وأسروا من أسر منهم ، وأصاب المشركين مصيبة ما أصيبوا بمثلاً ، وهذه الفزوة  
أنزل الله فيها وفي تفصياها سورة الأنفال . وبما رجع إلى المدينة منها مطفراً منصوراً ذل من  
بقي ممن لم يسلم من الأوس والخزرج ، ودخل معهم في الإسلام طائفاً ، ولذلك جميع الآيات التي  
نزلت في المنافقين إنما كانت بعد غزوة بدر .

ثم في السنة الثالثة كانت غزوة أحد - غزا المشركون وجيشوا الخيوش على المسلمين حتى وصلوا إلى أطراف المدينة ، وخرج إليهم رسول الله ﷺ فأصحبه وعبثهم ورتبهم واتفقوا في أحد عند الخيل المعروف شمال المدينة ، وكانت الدائرة في أول الأمر على المشركين ، ثم لما ترك المائة من ركابهم الذي رتبهم فيه رسول الله ﷺ وقال لهم لا تبرحوا عنه صهرا أو غلب ، وجاءت الخيل مع تلك الشجرة وكان ما كان ، حصل على المسلمين في أحد ما يقتله نكروهم الله بالشهادة في سبيله ، وذكر الله تعالى هذه الغزوة في سورة آل عمران ، وبسط متعلقاتهم ، فالوقوف على هذه الغزوة من كتب السير يعين على فهم الآيات الكثيرة التي نزلت فيها كقصة العزوات

ثم في السنة الرابعة تواجد المسلمون والمشركون فيها - في بدر - فجد المسلمون لذلك الموعد وتحالف المشركون معتدلين أن السنة محدودة ، فكاتبها الله غزوة بالمسلمين ، واخذوا سبعة من الله وقصل لم يسهم سوء ، واتفقوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

ثم في سنة خمس كانت غزوة الخندق - اتفق أهل الخندق واتفق أهل الجدار وأهل نجد ومطهرهم سو قرية من اليهود على غزو النبي ﷺ وجمعوا ما يقربون عليه من الحدود ، فاجتمع نحو عشرة آلاف مقاتل وحصدوا المدينة ، وما سمع بهم النبي (ص) حشد على المدينة ، وخرج المسلمون نحو الخندق ، وجاء المشركون كما وصفهم الله بقوله (إدخالكم من فوقكم ومن أسفل منكم) ، وإذا راغبت الأعداء وبلغت القلوب الحداجر) ومكثوا محاصرين المدينة عدة أيام ، وحال الخندق بينهم وبين صطلة الجيوش ، وحصل ماوشات يسيرة بين أفراد من الخيل وسدب الله عدة أسلح لا تخدع المشركين ، ثم انشروا إلى ديارهم ، وما رحلوا خائفين لم يبالوا ما كانوا حازمين على حصوله تفرع النبي (ص) إلى فريضة الذين طهروا المشركين بتولهم وتشجيعهم على قصد المدينة ومطاهرتهم العملية ونقصهم ما كان بينهم وبين النبي (ص) فحذرهم فزلوا على حكم سعد بن معاذ بحكم أن تقتل مقاتلتهم وتبني ذرائعهم ، وفي هذه الغزوة نزل الله صدر سورة الأحزاب من قوله (يا أيها الذين آمنواذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنودكم فأرسلنا عليهم ريحا وحبودا لم تروها - إلى قوله - وأورثكم أرضهم وديارهم وأرضا لم تطغوها - وكان الله على كل شيء قديرا)

ثم في سنة ست من الهجرة عتس (ص) وأصحبه محمد الخديفة ، وكان البيت لا يصد عنه أحد ، فعد المشركون على صد النبي (ص) عنه ، وبلغ الخديفة ورأي المشركين قد أحدثهم حمية لحصيه حازمين على القتال دخل معهم في صلح الحنظلي بدماء في بيت الله الطراء ، ولم في ذلك من المصلح ، وصار الصلح على أن يرجع النبي (ص) عامه هذا ولا يدخل البيت ، ويكون الفداء من العام القدي ، ونصح الحرب أوزرهم بينهم عشر سنين ، فكره جمهور المسلمين هذا الصلح حين توهموا أن فيه خصاصة على مسلمين وقد يظلموا على ما فيه من المصلح الكثيرة ،

فرجع (ص) عامه ذلك وقضى هذه العمرة في عام سبع من الهجرة ، فأُنزل الله في هذه القصية سورة  
الفتح فأكرمها ( إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ) فكان هذا الفتح ب فيه من الصبح الذي تمكن فيه  
المسلمون من الدعوة إلى الاسلام ودخول الناس في دين الله حين شاهدوا ما فيه من الخير والصلاح  
والنور وقد تقدم أن قصة بني قريظة دخلت في صن قصة الخندق ، أما قصة بني النضير من  
اليهود فاتها قبل ذلك ، حين هموا بالفتك بالنبي ( ص ) وكانوا على حارب المدينة غرامهم ( ص )  
واحتتموا بمحصولهم ووعدهم المنافقون خلفهم نصرتهم ، فألقى الله الرعب في قلوبهم ، وأمرهم  
رسول الله (ص) - أن يجهلوا عن ديارهم ولهم ما حملت أمانهم . ويدعوا الأمان والعهدة ، وما لم يجدوه  
الامن لعدهم ، فأُنزل الله في هذه القصية أول سورة الحشر ( هو الذي أخرج الذين كفروا من  
أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ) إلى آخر القصية .

وفي سنة ثمان من الهجرة ، وقد تقضى قريش العهد الذي بينهم وبين النبي ( ص ) غرام مكة  
في حربه كثيف من المسلمين يقرب عشرة آلاف ، فحاربهم فتحاً طاماً ، ثم تمهم نصره حين هو راس  
وثيق ، فتم بذلك نصر الله لرسوله وللمسلمين ، وأُنزل الله في ذلك أول سورة التوبة

وفي سنة تسع من الهجرة عزاء نوك وأوعب المسلمون معه ، ولم يشعلف إلا أهل الأعداء  
وأداس من منافقين ، وثلاثة من صلحاء المؤمنين . كتب بن مالك وصحاه . وكتب وقت شديداً  
والحر شديداً والعدو كثيراً والعسرة مشقة . فوصل إلى نوك ومكث عشرين يوماً ولم يحصل  
قتال فرجع إلى المدينة ، فأُنزل الله في هذه الغزوة آيات كثيرة من سورة التوبة ، يذكر تعالى  
تفاصيلها وشأنها ، ويشي على مؤمنين ، ويسم المنافقين ونجدهم ، ويذكر نوبته على النبي والمهاجرين  
والأنصار الذين آمنوه في سعة العسرة ، ويدخل معهم الثلاثة الذين خالفوا بعد بؤسهم وأمانتهم .  
وفي مطاوي هذه العزوات يذكر الله آيات الحمد وفرسه وقصده وثواب أهله ، وما لا يكفين  
عنه من البذل والمجاهدة والعقاب الآجل . كما أنه في أثناء هذه امددة شرع الله الأحكام الشرعية شيئاً  
فشيئاً بحسب ما تقتضيه حكمته .

وفي سنة تسع من الهجرة أو سنة عشر فرض الله حج على المسلمين ، وكان أبو بكر حج  
بالأداس سنة تسع وندى إلى أشركين عهودهم ، وأتم غيود الذين لم يتقصوا ، ثم حج النبي ( ص )  
بالمسلمين سنة عشر واستوعب المسلمين معه ، وأتمهم بسلامات الحج والعمرة بقوله وفعله ، وأمر  
الله الآيات التي في الحج وأحكامه . وأُنزل الله يوم عرفة ( اليوم أكملت لكم دينكم ) وتمت  
دينكم بمعنى ورضيت لكم الاسلام ديناً ) فلم يبق من العباد ما ساقط علمه إلا سنة ثم ، فان القرآن  
تبيان لكل شيء ، فعلوم الأصول وعلوم الفروع والأحكام . وعلوم الأخلاق والآداب ، وعلوم  
الكون ، وكل ما يحتاجه الخلق من ذلك اليوم إلى أن تقوم الساعة ، في القرآن به والإرشاد إليه

وهو الذي إليه المرجع في جميع الحقائق الشرعية والعقلية ، ومحال وممتنع أن يأتي علم صحيح لا محذور ، لا مقبول ينقض شيئاً مما جاء به القرآن ، فإنه تنزيل من حكيم حميد ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا يتبدل القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ، إن هذا القرآن الذي أتىكم به فهو ( والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ) فهذه الآية جمعت بين معنى العبد . فإن الله وسائل ومقاصد ، وهو الحق الذي يقوله الله في كتابه وعلى رسوله ، ومعنى العبد . وهو الهداية إلى السبيل في كل علم وعمل ، كما أن قوله تعالى ( ولا تأتوا به من غيري ) . فإن الله تعالى هو الحق وأحسن تفسيراً ) جمعت السكال في المعاني ومعانيه ، فألفاظه أوضح الألفاظ وأدوم وأجود ، سبيل السكال . تفسيره من الحقائق ، موضحها وأحكامها وقوانينها ، ومعانيه كلها حق ، وذلك أنه تحت كلمة ريت صدقاً وعدلاً ، صدقاً في حصارها ، وعدلاً في أحكامها ، أنه مراد به هي . ( ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ) وحكامه على الإطلاق أحسن الأحكام . أنعم الله ، وهذا في شرعه ودينه ، بطوره في حقه . أي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين .

وقد جمع الله في آياته من استدلالات إلهية . وذلك لسكال هذا الكتاب وأحكامه كالأمانة . إن الله ، كما في قوله تعالى ( وتعاونوا على البر والتقوى ) فإن البر سر حميد لكل ما يحبه الله ويرضاه من العبادات والأعمال ، والتقوى السر حميد ما يحب الله فيه من جميع المسامحة . وهذا قال ( ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ) فالإثم المعاصي التي تملأها بمحقوق الله ، والعدوان المعنى على الخلق في الدماء والأموال والأعراض والحقوق . وكذلك قوله تعالى ( وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ) فجمع بين زاد سر الدبيب ، وراد سفر الآخرة بالتقوى .

وكذلك قوله تعالى ( يا أيها آدم قد أنزلنا عليك لباساً يوارى سوا نكح وريثاً ) فمدا اللباس الحسني الضروري والسكالي ، ثم قال . وليس التقوى ذلك خير ، فهذا اللباس المعنوي ، وإن شئت قلت عن الأول إنه لباس البدن ، وعن لباس التقوى أنها لباس القلب والروح . وكذلك قوله تعالى أولئك هم بصرة ومروءاً ) جمع لهم بين سر الظاهر بالبصرة والحس واللبس ، وبين اللبس السكالي والبدن .

وكذلك قوله في صفة سماء الجنة ( فيها خيرات حسان ) فوصفها بحسان الساطن بحسن الخلق السكالي . وحال الظاهر فأنى حال الوجوه وجميع الظاهر .  
ومن ذكر السبر الحسني ذكر السبر المعنوي . قال ( وعلى الله قصد السبيل ومنها حائر )

وكذلك قوله ( فانفروا ثبات ) أى أفراداً يدلّ قوله ( أوافروا جميعاً )  
وكذلك قوله ( لا يصلاح إلا الأشتى الذى كذب وتولى ) كسب الخبر وتولى عن الطاعة  
« التكذيب » انحراف الماثلين « والتولى » انحراف الظاهر ، وعظيمة قوله ( يا قد وحى اليما  
أن العذاب على من كذب وتولى )

وصد ذلك ما رتب الله على الإيمان والعمل الصالح من خير الدنيا والآخرة ، فإن الإيمان ضد  
التكذيب ، والتولى ضد الاستقامة والعمل الصالح

وكذلك قوله ( إياك نعبد وإياك نستعين ) فاعده وتوكل عليه تجمع جميع ما يراد من العبد ،  
فالعبادة حق الله على العبد ، والاعانة من ربه إسماعه بما استعان عليه من عبودية ربه وتوكلها من  
مناصه ، فالعبد فى عبادة الله واستعانته به .

وكذلك قوله تعالى ( من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فصحيبه حصة طيبة  
ولنجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ) تجمع المؤمن العمل للصلوات بين طيب الطيبة فى  
الدنيا والآخرة ، وعظيمة ( الذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، ولآخر الآخرة أكره - ربما  
آتانا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة )

وكذلك قوله ( لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) فى مواضع ، نرى جميع المذكور المسمى بنفى  
الحزن والمستقبل بنفى الخوف

وكذلك قوله تعالى ( فروح وريحان وحنة ميم ) فالروح اسم جامع لجميع الالط ، والريحان  
اسم جامع لجميع الأبدان ، وحنة ميم تجمع الأصمير

وكذلك قوله ( ومن أعرض عن ذكرى ) أى القرآن الذى أنزل ( فإن له معيشة ضسكاً ،  
ونحشره يوم القيامة أسمى ) جمع له بين عذاب الدنيا وعذاب العرخ وعذاب دار القرار .

وكذلك قوله ( يا الله لا يهذى من هو متكبر حذر ) أى متكبر على الحق حار على الحق .  
ومثله ( معتد أنيم ) أى معتد فى المسمى على عباد الله ( أنيم ) أى متعزى على محارم الله

وكذلك قوله فى مواضع ( من ولي ولا نصير ) فالولى الذى يحلب لموليه المنافع ( والنصير )  
الذى يدفع عنه المصار

### ﴿ فوائد مشورة متنوعة غير مرتبة ﴾

الامة . جاء فى القرآن لعدة معانى ، جاء بمعنى الامام أجامع خلصال الخير ، مش قوله ( إن  
ابراهيم كان أمة ) وبمعنى الطائفة ( وإن من أمة إلا حلا فيها نذير ) وهذا المعنى كثير ، وبمعنى الملة  
والدين ( وإن هذه أمتكم أمة واحدة ) وبمعنى المدة الطويلة ( واذكر بعد أمة )



السلطان . أكثر استعماله في القرآن بمعنى الحجة ، مثل قوله ( إن عندكم من سلطان - فاء ثواب سلطان مدين ) ويأتي بمعنى الملك ، مثل قوله ( هيك عني سطانية ) ويأتي بمعنى التسلط والسيطرة مثل قوله ( به ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ) إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون )

اللسان ورد في قرآن لعدة معاني ، ورد بمعنى المخرجة ( لا تحرك به لسانك .. ويقولون بأسمه ) وهو كثير ، وبمعنى اللغة ( وما أرسل من رسول إلا ملئت قومه - لسان عربي مبين ) وبمعنى اللسان ( واحصل لي لسان صدق في الآخرين ) « استوى » وردت في القرآن على ثلاثة أوجه ، مرة بمعنى دلى فتدل على لغو ولا ترفع ، مثل ( ثم استوى - على العرش . لتستويوا - على ظهره ) وتعدى دلى فتدل على القصد مثل ( ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ) وتأتي بالانتماء بحرف فتدل على الكمال ، ومرة قوله ( وما يلبث عندك استوى ) أي كمن في سقته وأحواله كلها يتأول أكثر وروده في القرآن بمعنى عافى شيء . وما يؤول إليه الوقت وقوعه ، مثل قوله ( هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين قوم من قومن ) أي ونوع الخبر به من المصاب ( هذا تأويل رؤيا من قدامك ) أي هذا ما آلت إليه وهذا وقوعها ، وقد يأتي بمعنى التفسير وهو قمين ، ومرة على أحد التفسيرين ( وما يعلم تأويله إلا الله ) أي تفسيره ، وعلى القول الآخر يكون من المعنى الأول ، أي وما يعلم حقيقة الخبر منه إلا الله وحده ، وعلى هذا المعنى يتبين أنوف على الله وعلى المعنى الأول أي معنى التفسير بمصنف ساه ( ولو أعلم ) أي ما يعلم تفسير المثلثه أي ينشأه منه على ذلك . أكثر الالاس بلا لله ولا شيء من الماوراء قوله بهذا المعنى العاد . ورد في القرآن بمعنى الجاهل ، مثل قوله ( لتذر قوما ما أنذر آباءهم فيها غافلون ) وبمعنى الميسر لله ذكر الله ونسب من طاعته ، كقوله ( وذكر ربك في نفسك نصراً وحماية ودون الخبر من القول بالعدو والأصل ولا تكلم من المدين . ولا تطلع من أعين قلبه عن ذكره )

هائدة احذر الله أنه مع عدوه يرد في القرآن على أحد معنيين

أحدهما - المعية العامة ، كقوله ( ما يكون من ثموى ثلاثة بلا هو رابعهم . ولا خمسة إلا هو سدسهم ) ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ) أي هو معهم دمه وحاطته

الثاني - المعية الخاصة ، وهي أكثر وروداً في القرآن ، علامتها أن يربطها الله بالانصاف بالأوصاف التي يجبرها والأعمال التي يرخصها ، مثل قوله ( إن الله مع المتقين ) مع المحسنين مع الصابرين ( لا تحزن إن الله معنا ) لا تحزن إنني معكم أصعب وأزى ) وهذه المعية تنفص العداية من الله والنصر والتأييد والتسديد بحسب قيام العبد بذلك الوصف الذي رزقت عليه المعية

وطريق هذا التفسير وصف العبد . ثم عليه الله . يرد في القرآن على نوعين - نوع عام ، مثل

قوله ( إن كل من في السموات والأرض إلا من الرحمن عبداً ) أى مبدءاً مملوكاً لله ، والنوع الذي  
المبودية الخاصة ، وهي تقتضي أن العبد بمعنى العبد المتعبد لله ، انتم تصوديته ، وذلك مثل  
قوله ( وعدد الرحمن - سرك الذي رزق الفراق على عبده - ليس الله بكاف عبده ) فموجب  
قيام العبد بمبودية ربه تحصل له كفاية الله

ونظير هذا القوت يرد في القرآن على قسمين : قوت عام ، مثل قوله ( وله من في السموات  
والأرض كل له قانتون ) أى الكل عليه خاضعون لزبويته وتديره النوع الثاني ، وهو الأكثر  
في القرآن القوت الخاص ، وهو دواء الطاعة لله في وجه الخشوع ، مثل قوله ( من هو قانت  
آياه الليل ساجداً وقائماً - وقوموا لله قانتين - يا مريم قننى لربك واسجدي - والقانتين  
والقانتات ) ونحوها .

قائدة : طمأنينة الرئاسة وطمأنينة المال بحملان صحيحهما على الكبر والبطر والسعي على الحق وعلى  
الخلق ، برهان ذلك قوله تعالى ( ألم تر إلى الذي حجاج إبراهيم في ربه أن آناه الله الملك ) وقوله ( إن  
الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ) فلهذا استعزى والضعفين بحصول الملك ورؤيته لنفسه الاستغناء ، أما  
الموفقون الأصفياء فأنهم في هذه الأحوال يعصمون لله ويمتثلون له بالعبادة ويردادوا صميمهم به ولهذا  
لم رأى سلبهم عليه السلام من مدركه ملكاً كبيراً ، ورأى عرشه مدركه سائماً مستتراً عبده لم يقطع  
ويقول هذا من حولي وقوتي ونعمه . بل قال : هذا من فضل ربي ليملأني أشكراً . أكرم  
وفاء قل ذلك - رب أو عني أن أكرم بمثلك التي أمنت على وعلى والذي وإن أعمل صالحاً  
ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين .

قائدة : من الحكمة استعمال اللين في مباشرة الإنزيم . وفي مقدم الدعوة للكافرين ، كما قل  
تعالى فيها رحمة من الله لعلهم ، ولو كسب نصراً عبيد القلب لا منصوا من حولك وقال  
قولا له قولاً لينا لعلهم يتدبر أو يحشروا فأمر باللين في هذه المواضع ، وذكر ما يترتب عليه من  
المصالح ، كما أن من الحكمة استعمال العظمة في موضعها فإن تعدي يا أيها النبي جهاد الكفار  
والضعفين واعط عبيدك لأن مقدمه من الله لا تميد فيه الدعوة ، بل قد تبين فيه القتال فالعظمة فيه من  
تجاه القتال وقد جمع الله بين الأمرين في قوله في وصف خواص الأمة ( أشد ، على الكفار رحماً بينهم )  
والفرق بينه له . بل لا يهين من أحبه . وبين قوله . وبين لذي إلى صراط مستقيم  
أن هداية الاستد والتعبد والبيان هي التي أنبأها لرسوله ، بل ولكل من له تعليم وأرسد للخلق  
كما قال : وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا . وقال ولكل قوم هاد . وما هداية الترميق ووضع  
اللائق في القرب ، فأنه محتصة فاقه ، فكما لا يحق ولا يرق ولا يحق وبهيت إلا الله ، فلا  
يهدي إلا الله

والفرق بين انصهرة والتدكرة في مثل قوله (تنصرة وذكرى لكل عبد منيب) أن التبصرة هي العلم بالشيء وانصهر فيه ، والتدكرة هي العمل بالعلم اعتقاداً وعملاً ، وتوصيح هذا أن العلم بالنام الناعم يقتدر على ثلاثة أمور : التفكير ، ولا في آيات الله المبسوطة والمذهودة ، فاد تفكر أدرك ما تفكر فيه بحسب فهمه ودكائه فعرف ما تفكر فيه وفهمه ، وهذا هو لتبصر ، فاد علمه عمل به ، فان كان اعتقداً و يمدناً صدقه بقلبه وأقر به واعترف ، وإن قصى عملاً قلبياً أو قولياً أو بدياً عمل به ، وهذا هو التذكر وهو التدكرة ، وحاصل ذلك هو معرفة الحق واتساعه ، ومعرفة الباطل واحتشده .

والفرق بين المواسم التي ورد في القرآن أن لباس لا يتساءلون ولا يتكلمون ، والمواسم التي ذكر فيها احتجاجهم وتكلمهم وخطب بعضهم لبعض من وجهين أو جهتين تقييد هذه المواسم بقوله ( لا يتكلمون ، إلا من أدن له الرحمن وقال صواباً ) فانيات الكلام المتعدد من المطلق يوم القيامة تنع لادن الله لهم في ذلك ، وفي التناول والكلام في الحالة التي لم يؤذن لهم . الوجه الثاني ما قاله كثير من المفسرين إن القيامة لها أحوال ومقامات ، هي نعم الأحوال والمقامات يتكلمون وفي بعضها لا يتكلمون ، وهذا الوجه لا يساق الاول ، فيقال هذه الأحوال والمقامات تنع لادن الله لهم أو عدمه

والفرق بين اثبات الله في القرآن الاسباب بين الناس في مواسم كثيرة ، ونفيها في مواسم إن مواسم المسمية المراد بها أن الاسباب لا تنعم ، كما أن جميع الاسباب لا تنعم يوم القيامة إلا سبب واحد ، وهو الابتناء والعمل الصالح ، كما ذكره في كتابه في مواسم ، وأما المواسم الماثنة فهو المطابق للحقيقة ، ويذكر في كل مقام بحسبه

وفي مقامات الفصل والثواب يذكر الله فصله على الخيم بالخاق الناقص من المؤمنين بالكامل من غير نقص لدرجة الكامل ، مثل قوله ( والذين آمنوا واتبعهم دريتهم نابعان ألقنا بهم دريتهم ، وما ألتناهم من عملهم من شيء ) أي ما نقصناهم ؛ ومثل ( حبات عدن يدخلونها ومن صلح من آتائهم وأزواجهن ودريتهم ) ونحوها

وفي مقامات العدل والعقوبة ، يذكر الاسباب وأنها لا تنعم ؛ وأن الامر أعظم من أن يلتفت الالبس إلى أقرب الساليه ، مثل قوله ( يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ نفيه وصاحبه وأخيه وفصيلته التي تؤويه ) ومثل ( يوم نمر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه )

ونظير هذا الاخبار عن المجرمين أنهم يشنون عن أعمالهم ، وذلك على وجه اظهار العدل والتوبيخ والتقريع لهم والفضيحة ، وفي بعض المواسم مثل ( فيومئذ لا يسئل عن دنيه اناس

ولاجن (أى لا يفتح في عم ذلك وحرائه عليه فى سؤال استعماله ، لأن مسطرة عليهم قد حطت بالشهود من الملائكة والحوارج والأرض وغيرها

قائمة النبي المحض لا يكون كماله ، وهذا فى مقامات المدح كل نبي فى القرآن فانه بعيد فائدتين فى ذلك النص المصرح به وتمت صده ونقصه ، ويدخل فى هذا أسية كثيرة أصحها أنه أنى على نفسه نبي أمور كثيرة تدعى كماله ، نبي اشربك فى موضع مقدمة مفتقى توحده بالكمال المطلق ، وأنه لا شربك به فى ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته ، وصح نفسه فى مواضع ، وأخر فى مواضع عن تسبيح المخلوقات ، والتسبيح نزيه الله عن كل نقص وعن أن يشبه أحد ، وذلك يدل على كماله ، ونبي من نفسه الصاحبة وولد ومكافاة أحد ومماثلته ، وذلك يدل على كماله المصدق وتفرده بالوحداية والمعنى المطلق والملك المطلق ونبي عن همه السنة والنوم والموت ، لكمال حياته وقبوميته ، ونبي كمال العلم فى مواضع كثيرة وذلك يدل على كمال عدله وسعه فضله ، ونبي أن يحيى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، ويحضر شئ ، وذلك لاطلاعه همه وكان قدرته ونبي الموت فى مخلوقه وفى شرعه ، وذلك لكمال حكمته ، وهذه قائمة عظيمة وحدها فى حرارة قلبك ، فانها خير الكنوز وأنفعها .

وكذلك نبي عن كنه القرآن الربيع والروح والنك ونحوه ، وذلك يدل على أنه الحق فى أحسنه وحكمته ، فأحاربه صدق الأحبار وحكمها ونعمها للصد ، وأحكمه كمال محكمة فى كمال العدل والحس والاستقامة على الصراط المستقيم

وقال عن نبيه ﷺ ( من صاحكم وما عوى ) معنى عنه الضلال من جميع الوجوه ، وهو عدم العلم ، أو نطقه أو نقصه أو عدم حودته ( والمعنى ) وهو سوء الفصد ، فبدن ذلك أنه أعلم الحق على الإطلاق ، وأهداه وأعطاه عما أوتى بما ، وأنه أصبح الحق بحق ، وأعظمه أحلاصاً لله وطباً ، عده ، وأعدم عن أعراض الردية ، وكذلك نبي عنه كل نقص قلل أعداؤه فيه وأنه فى القدوة العليا من الكمال المضاد لذلك النقص

وكذلك نبي الله عن أهل الحسب والكرم والصب والعلو والموت وغيرها من الآفات ، فبدل ذلك على كمال سرورهم وفرحهم واتصال نعيمهم وكماله ، وكمال حياتهم وقوة شبابهم وكمال محنتهم ونظام نعيمهم الروحي والقبلي والسموي من كل وجه ، وأنه لا على منه حتى يطلب عنه حولا

وعكس هذا ما فى القرآن عنه صفات الكمال ، فانه يثبت له ضد ذلك من النقص ، كما نبي عن آلهة المشركين جميع الكمالات القولية والفعالية والذاتية ، وذلك يدل على نقصها من كل وجه وأنها لا تستحق من العبادة مثقال ذرة

فائدة : قوله تعالى (إن الله اصطفاه عليكم وراده نعمة في العلم والجسم) أى القوة والشجاعة في هذه الآية ، على أن الملك إذا احتضنت فيه هاتان الخصلتان نعمة بالولاية والسياسة وحن التدبير والشجاعة والقوة ، وهو الذى يصلح للولاية والملك ، وإن لم يكن من بيت الملك ولا دأماً ، فإن العبرة بجميع الولايات امكلاً اقامتها والتهوض بها على أكل الحلات ، وولاية امكلاً لانه إلا بالعلم والشجاعة القلبية والبدنية .

فائدة : قوله تعالى (واأتوا السيوت من أموالها) يؤخذ من عموم اللفظ ومدى أن كل مطلوب من امطال المهمة يدعى أن يؤتى من ماله ، وهو أقرب طريق ووسيلة يتوصل بها اليه ، وذلك يقتضى معرفة النسب والورث من معرفة تامة يسهل لأحسن منب والاقرب والأسهل ، والأقرب نجاحاً ، لا فرق بين الأمور ممية ، عملية ، ولا بين الأمور الدينية والدينية ، ولا بين الأمور المدنية والعصرية ، وهذا من الحكمة

فائدة : ما ذكر الله الأئمة ، وأتى عليهم قبل (أثبت الدين هدى الله بهداهم ، فقهه) قدس على سائر جميع الأنبياء في جميع هداهم ، وشهد هداهم في عفة نهم وأخلاقهم ، وعمرهم وقواهم ، فدلهم بكل أمر أنى الله فيه على أحد من أنبيائه من هداهم أو حتى أو عمل ، فهداهم ، فهداهم بالافتداء بهم ، وذلك من هداهم وهو أبصراً من شريعته ، فإن الله أمر بذلك ، كما أمر بالأوصاف العامة التى تدخل فيها مفردات كثيرة

فائدة : إذا أمرنا الله في كتابه بأمر كل أمر ، وذلك ؛ وبكل أمر لا ينفك إلا به . فلا أمر مثلاً بالصلاة أمر باطهارة وستر العورة واحتساب الحاسة واستقلال القدمة وبجميع شروطها وأركانها ، وكذلك هو أمر بحرفتها ومعرفة مالا تمل إلا به ، وهذا من نعم لادولة على وجوب طلب العلم ، فإن المأمورات يتوقف تكليفها على معرفتها ؛ وكذلك يدتها الله عن شيء كان نهياً عن كل وسيلة تتوصل اليه ، والأمر بالجهاد أمر به وبكل ما يتوقف عليه من غير من ومكان ، والأمر بتسليم الشريعة أمر بكل ما يحصل به التسليم ويتم ويكسر ويشمل ، وهذا من هداهم للاحكام الشرعية وتسليمها للناس بجميع المقربات الحادثة

فائدة : قد أخبر الله في عدة آيات هدايقه الكعبر على اختلاف مقامه ونحله ، وتوبته على كل مجرم ، وأخبر في آيات أخر (أنه لا يهدى لقوم العاصين لا يهدى لقوم عاصين) فبالجميع يهدى ؟ فيقيد قوله تعالى (إن الدين حقت عندهم كلمة ذلك لا يؤمنون ولو حاقهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) هى العاصلة بين من هداهم الله ومن بعدهم ، فمن حقت عندهم كلمة العذاب ؛ لعنادهم ولعلم الله أنهم لا يستمعون للهداية ، بحيث صار علمهم واعيق وصار علمهم مازداً ، غير دين الروال ويعلم ذلك بظاهر أحوالهم وعنادهم ومكابرتهم للحقائق . هؤلاء يصعق الله على قلوبهم فلا يدركها

غير أمارة ، والجزم حرمه ، فانه رأوا سبيل الرشاد فزهدوا فيه ، ورؤ سبيل الحق فرسوا فيه  
وانحدوا لشياطين أوليه . من دون الله

قائمة . ورد في كثير من الآيات اشارة الامور إلى قدرة الله وثبته وعموم حاله ، وفي آيات  
كثيرة من فهم إلى علمه وعلمه ، وهذه الآيات متنوعة تنزل على الأصل العظيم المتيقن عليه  
بين سبب الأمانة ، والذي دل عليه العقل والعمل ، وهو أن جميع الامور وقعة مقصده الله وقدره  
وعيانها وتوحيدها وأفعده وحججه ما حدث ويحدث ، لا يخرج شيء منه عن قصائه وقدره . ومع  
ذلك فقد حمل الله الحوادث تبعاً لأسبابها ولارادة المحدثين لها وقدرته عليهم ، والآيات المتعددة  
الاصفة إلى عموم قدره تدل على لاصل الأول ، والآيات المتعددة المصدة إلى واعبها تدل على  
الاصل الثاني ، ولا بد من بيانه ، من ثبوت البعاد مثلاً في علمه وإدراكه وقدرته ، واقفه حاله  
وخالق قدرته وإرادته وحقيق سبب اقام حقيق السبب ، ومع ذلك فقد جعله في أفعاله وقدرته  
مختارين غير مجبورين .

قائمة . يحتم الله كثيراً من الآيات عندما سبب لامداد الاصول والاحكام النافعة بقوله ( لعلكم  
تعقلون ) وهذا يدل على أمور

منها أن الله يحب من آمن يعقل أحكامه وإرشاده ويصليته ، فحججه وبهيمها ويقام الله  
وتؤيد هذا العقل وثبته بالعمل بها

ومنها أنه كما يحسن ما أن يعقل هذا الحكم الذي ينشأ به خصوصاً ، فانه يحب أن يعقل بهيمة  
ما أنزل عليها من الكتب والحكمة ، وأن يعقل آياته المسموعة وآياته المشهودة

ومنها أن في هذا أكبر دليل على أن معرفة ما أنزل الله اليها من أعظم ما يرى عقول ويحسها  
عقولاً لها الحق في معرفة البصيرة والصدرة ، ونخرج هذه على هذه ، ولا نول بها الاوهام والاعراض  
والخيالات والخرافات البصيرة المعقدة للعقول

ويذكر ردت معرفة من لا يعرف عقول الخلق على الحقيقة ، فانه إلى عقول المهتدين بهداه لقران  
والسنة ، وإلى عقول المجربين عن ذلك تجد الله في العجز ، ولا يحسن العقل هو البكاء وقوة  
الفصاحة والفضيلة وكثرة الفهم والفكر ، وهذا العقل الصحيح أن يعقل الصدق فيه الحقائق  
النافعة ، عقلاً يحيط بغيرتها ويثبت بينها وبين صدقها ، ويعرف الزايج من الامور فيؤثره ،  
والمرحوح أو لضر فيتركه ، وبصورة أخرى مختصرة قول العقل هو الذي يعقل به العباد لنافعة  
ويعقل صاحبه ويعينه من الامور الضارة .

قائمة . ورد في القرآن آيات عامة هتلف هاليه بعض أفرادها لداخلة فيها ، وديك يدل على  
فصيلة المحصن وأكده ، وأن له من المزايا ما يحب الله عليه ، مثل قوله ( من كان عدواً

الله وملائكته وحبريين وميكائيل . قال الله عدو للكافرين . تنزل الملائكة والروح فيها ) وهو  
حبريين ( حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى - والذين يحكون ما كتب ) دخل فيه الذين كاه  
ثم من ( وقدموا الصلاة ) ومثله ( انزل ما أوحى إليك من الكتاب ) أي انعمه ، ويسجل في ذلك  
جميع الشرائع ، ( وأقم الصلاة ) وذكر الصلوة في ذلك ، إلى غير ذلك من الآيات التي  
قد تأملت مخصوص من العام تحت ذلك لشرفه وآكديته وما يترتب عليه من  
اثرات القيمة

قائدة لطيفة في عدة آيات من القرآن إذا ذكر الله الحكيم لم يوص على نفس الحكم عليه ،  
بل يذكر من سمائه الحسنى . إذا علم ذلك الاسم وعدم أثره ، علم أن ذلك الحكم من آثار  
دنيا الاسم ، وهذا هو من الله لعله أن يعرف أسمه حق معرفة ، وأن يدعوا إلى الأصل  
في الحق والأمر ، وأن الحق والآل من رسمائه الحسنى ، وذلك من قوله ( قل لله وان  
الله غفور رحيم ، ومن عمر موا علق قال الله جميع عليه ) فستعرف أن نفيته بحجها الله وأنه يعبر  
من ، ويرجعه ، وأن الإطلاق كره إلى الله . وما أمروا بإطلاق من الله تعالى سيحبه به على ما فعل  
من السد ، وهو لا إله . والمسب . وهو ما يترتب عليه ، ومثل هذا قوله تعالى « إلا الذين  
تابوا من قبل أن نذكرهم عليه وعلوا أن الله غفور رحيم » أي ومنكم إذا علم ذلك دفعته عنه  
العقوبة المشافهة بحق الله ، وهذا كنبر ، وقد بصر - الله ما حكم ويعلمه بذكر الأسماء الحسنى  
المسماة له .

قائدة قوله تعالى « كلوا واشربوا ولا تسرفوا به لا يحب السرفين » جمع الله بين أموراً  
كثيرة دفعة في مدبر والبدن والخال والبال ، والأمر بالاكل والشرب يدل على الوجوب ، وأن  
العمد لا يحميه ذلك شرباً ، كما لا يمكن من ذلك هدر ، دام عنه معه ، وأن الأكل والشرب  
مع فيه أمثال أن الله يكون عديم ، وأن الأس في جميع المناكولات واشترويات الاماحة ، لا  
من الشرع على تحريمه لصرده لاطلاق ذلك ، وعلى أن كل أحد يأكل ، يبعه ويسته ويبيع  
به ويوافق به وفقره ، ويوافق صحته ومجده ولعاده وعدمه ، لأنه حذف المأكول ، والآية  
ساقم الله لأمر السرف في مدبره ، وهي تدل على ذلك كله . وعلى أن أصل منه البدن تدبر  
العماء ، أن يأكل ويشرب مدبره ويبيع صحته وقوته ، وعلى الأمر بالاعتصاف في العدا والتدبير  
الحسنى ، لأنه أمر بالاكل والشرب معي عن السرف ، وعلى أن السرف معي عنه ، وخصوصاً  
في الأطعمة والاشربة ، من السرف نصير الدين والعقل والبدن والمال .

أما من الدين ، فكل من ارتكب ما نهى الله ورسوله عنه فقد تخرج دية ، وعليه أن  
يبدؤى هذا الجرح بالتوبة والرجوع .



وما ضرره العنى ، فمن العقل يحمل صاحبه أن يفكر ما ينفع على الوجه الذى ينفع ، ويوجب له أن يدبر حياته ومعاشه ، ولهذا كان حسن الخيرة على ما يشاء من أسسه ما يدل على عقل صاحبه ، فمن تمدى الطور الدمع إلى طور الاسراف صار - فلا ريب - ذلك سبب ضلاله - فانه يستدل على نقص العقل بسوء التصدير .

وما ضرره البدنى . فان من أسرف بكثرة المأكولات والمشروبات انصر منه واعتراه أمراض خطيرة ، وكثير من الأمراض إنما تحدث بسبب الاسراف فى الغذاء ، ثم إنه يضر أيضاً من وجه آخر ، فان من عود بدنه شيئاً استاده ، فاد عوده كثرة الأكل وأكل لأطعمة متنوعة فربما تعسرت فى بعض الأحوال لفقر أو غيره . وحيث يفقد البدن كل سنة : له فتعجز صحته وأمد مدته النبى عظامه ، فإن الاسراف يستدعى كثرة العفث ، وهذا فى تعالى ( ولا تسلطوا كل أبسط فتفسد موماً محوراً ) أى ماله على مدهات ، لأنه فى دبر حريقه ( ع - وراً ) فدرع ليد ، وحيث أنه لا يحب اسرفين ، دليل على أنه يحب التقتدير ، ففى هذه الآية كانت صفة المحبة لله ، وثنا تعمق بما يحبه الله من الأشخاص والأعمال والأحوال كلها ، فسبح من جعل كتابه كنوزاً للعلوم النافعة المتنوعة .

فائدة ذكر الله فى كتابه عدة آيات فيها وصف انفعول المرض ونامى والقدوة ، وبجعل المواضع عبيد من لرب ، والاكمة والحجاب ، وعونها وبجربها ، فاعلم أن القلب يكون صحيحاً ويكون مريضاً ، ويحتج فيه المرض والمواقع من وصور الصحة ، وقد يكون لينا وقد يكون قاسياً ، فأن القلب لصحيح فهو السليم من جميع هذه الآفات . وهو القلب الذى صحت وتوت قوته العمية ، وقوته العملية الارادة ، وهو الذى عرف الحق وتبعه لا تردد ، وعرف البطل وحيداً بلا موص ، فهذا هو القلب الصحيح الخلى السليم . وصاحبه من أولى هى وأولى الطهى وأولى الالاب وأولى الانصار ، والحجت لله وامسب اليه

وأما نقاب المرض فهو الذى انخرقت أحد قوته العملية والعمية أو كليهما  
مرض الشهية والشكوك الذى هو مرض السافين لما احتل عليهم ونقيت قلوبهم فى سكوت واضطراب ولم تتوجه إلى الخير ، كان مرضها مهلكاً

ومرض الشهوات أى هو ميل القلب إلى المعصى محل بقوة القلب العماسة ، فإن القلب الصحيح لا يريد ولا يعيل إلا إلى الخير أو إلى ما أباحه الله له ، ففى رأيت القلب ميالاً إلى المعصى سريع الانقياد لها ، فهو مريض وهو سريع الانقذ عن عند وجود أسباب العفة ، كما قال تعالى ( فبطع الذى فى قلبه مرض )

وأما القلب القاسى ، فهو الذى لا يلبث لعرفة الحق ، وإن عرفه لا يدين للانقياد له ، فتأنيه

المواظب التي تلين الحديد وقلمه لا يتأثر بذلك ، أما لقوته الأصلية أو لعفائه منحرفة اعتقدها  
ورسح قلبه عيبها وصعب عليه ، لا يقيده للحق إذا جاهد ، وقد يحتمل لأمران ، وأما المبالغة  
والإسقاطية التي تسكون على القلوب ، فهي من آثار كبرياء وحرارة ، وقد أعرض عن الحق  
وعارض الحق ، وحده الحق فردّه وفتح الله أبواباً لم يستفتح عن نفسه ، عاقبه الله بهذا  
العمل بأن سد عنه طرق الهداية التي كانت مفتوحة ، وتمييزه فتكبر عنها وردد ، فطمع على  
قلبه وختم عييه وحاطت به الحرائر ورايت سببه الدروب وعطت قلبه وجعلت بينه وبين الحق  
حجاباً وأتلفت القلب ، فهذه المعنى التي ذكرها في كتابه ، إذا عرفت هذه  
الصواب المذكورة في هذه القائمة اتضحت لك معانيها وعرفت بذلك حكمة الله وعمله في عقوبة  
هذه القلوب ، وأن الله ولا يهديهم ولا يهديهم ولا يهديهم ولا يهديهم

وعدة قوله تعالى ( تؤمنوا بالله ورسوله وتوفروه وتسبحوه مكرة ) ( صليلاً ) جمع  
الله فيها حقوق الثلاثة . الحق المختص بالله الذي لا يصلح لغيره ، وهو المدة في قومه ( وتسبحوه  
مكرة وصليلاً ) والحق مختص بالرسول ، وهو التوفير والتعريف . والحق المشترك ، وهو الإيمان  
بالله ورسوله .

وعدة ذكر الله اليقين في موضع كثيرة من القرآن في الحق الذي من الشبه ، أخبر أن  
اليقين هو غاية الرسل لقومه ( والكون من المؤمنين ) وأنه الناصر واليقين سال الامامة في الدين  
وأن الآيات بعد يتبعها الانتباه الكامن ( المؤمنين ) حقيقة اليقين هو العلم الذي لا راسخ  
التم التمسر للعمل القبي والعمل به

وما آتت اليقين العلمية ثلاث مراتب عليا ايقين وهي العلوم الناجمة عن الأدلة والبراهين  
المصادقة المعنوية ، كجميع علوم أهل اليقين الخاصة من خبر الله وخبر رسوله وأخبار الصادقين  
وعين اليقين وهي مشهدة المعلومات باليقين حقيقته ، كما صارت أخبار إبراهيم من ربه ، به كبر  
يحيى موسى ، فأراه الله ذلك بعينه . وعبره صبيته السلام الانتصاف من صرته غير يقين إلى عين اليقين ؛  
والحق اليقين وهي المعنويات التي تحقق بدوق . كدوق الغيب لصبر الايمان . والدوق باللسان  
للأشياء المحنة .

وما ذكره النسيء ، فسكون القلب وطهر بيته ، كما قال إبراهيم ( ولكن ليطمئن قلبي ) وقال عليه السلام :  
ليرف عياناً إليه القلب وفي بعد الصدق ما اطمان إليه القلب فإن بعد إذا وصل إلى درجة  
اليقين في علومه اطمان قلبه لعقائد الايمان كلها ، واطمان قلبه لحقائق الايمان ونحوه التي تدور على  
محبة الله وذكره ، وهما متلازمان ، قال تعالى ( لا يذكر الله طمأنينة القلوب ) ففسكن القلوب بعد  
الاحسان فلا يبقى في القلب شك ولا ريب في كل خبر أخبر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله ، من

يخرج بذلك مطمئناً على أن هذا أعظم فائدة حسنتها القلوب ويطمئن عند الأوامر والنهي  
مكلاً للمأمورات تذكيراً لغيره راحياً لنواب الله واثقاً بوعده

ويطمئن أيضاً عند المصائب والمكاره فيقتلها بانسراح صدر واحسن ، ويعلم أنه من  
عند الله فيرعى ويسلم ، فيحب عليه حمله وهوون عليه تقلم ، وقد علم بذلك آثارها البديعة ، فإن  
لا عمل لدية مضية على عمل قلوب ، فإن اليبس هو أكل الحق في جميع صفت الكمال ،  
فإن اليبس روح الامن والأخلاق وحاميه ، والله هو الموقف الوهاب ولا أساسه

فائدة . نحن ورد في القرآن على وجهين ، وجه محمود ووجه مذموم

أما محمود ففي كل مقام مدح وجزاء بالخير والثواب ، وفيه معنى العلم واليقين مثل قوله تعالى  
( الذين يطمئنون أنهم ملائكة ربهم ) أي يتيقنون ذلك ، ومثل قوله ( من است أن يلاق حسابه )  
وأما المذموم ، ففي أغلب الآيات الواردة في النص ، مثل ( من ينسوي إلا نص وير الطل  
لا يعني من الحق شيئاً ، ومن لم يلا تطور له هو كثير ، فهذا هو شبهه ، فيمن قسم الصون  
السكادة على الآخر الصارفة ، لأن النص في الأصل يحتمل لصق والكس ، ولكيه إذا نقص  
الصدق قطعنا بكذبه .

فائدة . قوله تعالى ( بحق الله أرباً ويرى تصدقات ) وقوله ( وما آتيت من ربه ليرى أموال  
اليس فلا ير عنه الله ، وما آتيت من ركة تزدون وجهه لله ، فأولئك هم المضعفون ) تدل الآيات  
على أن زيادة من الخمرات ، وخصه من الكسب المحرمه ، بنص في البركة ، وقد مسحت المال  
بذاته عاجلاً أو آجلاً ، وعلى أن من أخرج شيئاً لله أو قبل شيئاً لله ، فإن الله يزيده وينزل له البركة  
فإن المال وإن نقص حكا بما يخرج منه لله . وفيه أد معنى ووصفاً ، وقد ينتج للعبد بسبب ذلك  
أبواب من الرزق أو يدفع عن العبد من أسبب له من ما كمل تصد أن يصيبه

فائدة المخرج ورد في القرآن محموداً مأثوراً به في مثل قوله ( قل فصل لله وجهه فذلك  
فيهم حوا هو خير مما يجمعون ) وهذا وجه بالمعنى والعمل بالقرآن والاسلام ، وكذلك قوله ( فرحين  
بما آتاهم الله من فضله ) فهذا هو - ثواب الله

وورد مثبهاً عنه مذكوراً ، مثل المخرج بالنص والبريات والذم المشبه من الدين في مثل قوله  
تعالى ( إنه للمخرج لخير ) وقوله عن قرون ( قل له قومه لا تفرح من الله لا يحب الفرحين )  
وما شبه ذلك ، فصار المخرج تعالاً لعلقه به ، من تعق الخير ونفاته فهو محمود ، وإلا فهو مذموم  
فائدة . ورد السعي في القرآن في آيات كثيرة ، والمرد به الاهتمام والحد في العمل ، مثل قوله  
( ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكوراً ) وقوله ( إدا نودي

للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ) وقوله ( إن سيك لثني ) وآيات كثيرة كلها بمعنى  
الأنهم للعمل ، إلا في مثل قوله تعالى ( وحل رحل من أقصى المدينة يمشي - وحل من أقصى المدينة  
رحل يمشي ) فالمراد بذلك العدو ، وهو يتضمن الأول وزياده

قائمة أمر الله بالصدق وثني على الصادقين ، وذكر حراء المحسبين ، وآيات كثيرة ،  
والمراد بالصدق أن يكون أحد صدقاً في عقيدته ، صادقاً في خلقه ، صادقاً في قوله وعمله ، وهو  
الذي يحس بالصدق في طهره وباضه ، ويصدق بالصدق لمن جاء به ، كما قال تعالى ( والذي جاء  
بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ) ولما كان من هذا وصفه هو أعلى الخلق في كل حالة ، ذكر  
حراءه أعلى الجراء وأفضله فعال ( لم يمشوا بهديهم ذلك حراء المحسبين - ليكرم الله عنهم  
أسماء التي عملوا ويحرموا حرهم فأحسن الذي كانوا يمشون ) وخواص أهل هذا الوصف هم  
الصدقون الذين ليس بعد درجة السوة أعلى منهم ، بل تعالى ( والمؤمن آمنوا بالله ورسوله أولئك هم  
الصدقون ) والمراد بالإيمان الكامل ، كما قال النبي ﷺ لما ذكر لأصحابه المعروف العالية التي  
يتراءها أهل الجنة من عودها وارتفعها ووردها كالكوك البرقي في الأفق الشرقي أو الغربي ،  
فقالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا ينسب غيرهم فقال بل ، وإنني نفسي بيده ، رجال  
آمنوا بالله وصدقوا برسولين ، وهؤلاء هم الهداة المهديون ، كما قال تعالى ( وحملهم أئمة يهدون  
بأمرهم صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون )

فالصدقية شجرة أصلها المنور لصحيحة والعنفد السلفية الأخوة من كتاب الله وسنة رسوله  
وقوامها وروحها الإخلاص الكامل لله والادعة إليه ، وتركوع إليه في جميع الأحوال رعية ورحمة  
وحجة وتعظيم وحضوراً ودلالة ، ونزولها الأخلاق الحميدة والأقوال السديدة والأعمال الصالحة  
والإحسان في عبادة الحق ، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه الإحسان ، وهدى جميع أصناف  
المجربين ، وهي في الحقيقة القيمة بالدين طاهراً وباضاً وحلاً ودعوة إلى الله ، والله هو الموفق وهو  
المعين لكل من استعان به صدقاً .

قائمة قوله تعالى في المصطفين الذين أوردتهم الله الكتاب ( فمنهم من علم نفسه ومنهم من قصد  
ومنهم من سبق بالخيرات ) استرك هؤلاء الثلاثة في أصل الإيمان ، وفي احتيار الله لهم من بين الخليقة  
وفي ثمة من عبيده بالكتاب ، وفي دخول الجنة ، وافتروا في تكميل مراتب الإيمان ، وفي  
مقدار الاصطفاء من الله وميراث الكتاب ، وفي منازل الجنة ودرجاتها بحسب أوصافهم

أما العلم نفسه ، فهو المؤمن الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وترك من واجبات الإيمان  
مالا يرول منه الإيمان بالكيفية ، وهذا القسم ينقسم إلى قسمين

أحدهما من يرد القيامة وقد كفر به السيئات كلها . إما بدعاء أو شفعة أو آثار خيرية

يستمع بها في الدنيا أو عذب في البرزخ بقدر دونه ، ثم يرجع عنه العقاب ونعم الثواب عند هـ هـ  
من أعلى هذا القسم وهو الظالم لنفسه .

القسم الثاني . من ورد القيامة وعييه سبباً بهذا نور حسنة وسبباً به ثم بعد هذا  
ثلاثة أنواع .

أحدها . من ترجح حسنة على سيئته فهذا ، لا يدخل النار . « يدخل الجنة برحمة الله  
وحسنة » وهي من رحمة الله .

ثانيها . من تساوت حسنته وسيئته فهو لا هم في محض الأعراف ، وهي موضع مرتفع بين  
الجنة والنار يكوون عليه ، وفيه ما شاء الله . ثم بعد ذلك يدخلون الجنة ، كما وصف ذلك  
في القرآن .

ثالثها . من رجحت سيئته على حسنة فهذا قد استحق دخول النار ، إلا أن يجمع من ذلك  
ما يعينه ، من شدة إرسول له ، أو شدة أحد من قومه أو مصادفه من يحسن الله هم في القيامة  
شماعه لغو من ماتهم على الله وكرامته عليه ، أو تدركه رحمة الله المحنة بلا واسطة  
وإلا فلا بد له من دخول النار يعذب فيها بعد دونه ، ثم ماله إلى الجنة ، ولا يبقى في النار أحد في  
قلبه أدنى أدنى مثل حنة حردل من يجمع ، كما توارث بذلك لأحدث عن النبي ﷺ  
وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها .

وأما المقصد هو الذي أدى إلى إباحات وترك المحرمات ، ولم يكن من بوافل العبادات ،  
وإذا صدر منه بعض لمعوات يادر إلى التوبة فقد إلى مرتبته ، فهذا أهل النجاة ، وأما من كان  
من أصحاب إيمان ( فلام لك من أصحاب إيمان ) فهذا سلموا من عذاب البرزخ أو عذاب النار  
وسلم الله لهم إيمانهم وأعمالهم فأدخلهم به الجنة ، كل على حسب مرتبته

وأما السابق إلى الخيرات هو الذي كان مراتب الإسلام وفقه بمرتبة الإحسان ، فعبد الله  
كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإنه يراه ، وبذلك ما استصح من الصبر لعبد الله ، فكان قلبه ملائماً من  
حمة الله والصبر لعبد الله ، فأدى الواجبات واستحبات وترك المحرمات والمكروهات وفصول  
المباحات المقتضية لدرجته ، فهذا هم صفة الصعوبة ، وهم المفرغون في حساب الصبر إلى الله ، وهم هم  
الفردوس الأعلى ، فإن الله كما أنه رحيم واسع الرحمة ، فإنه حكيم بذر الأمور سدرها ويعطي كل  
أحد بحسب حاله ومقدمه ، فكما كانوا هم السابقين في الدنيا إلى كل خير ، كانوا في الآخرة في أعلى  
امصار ، وكما تخيروا من الأعمال أحسنها ، حصل الله لهم من الثواب أحسنه ، ولهذا كانت عين  
النسيم أعلى أشربة أهل الجنة ، يشرب منها هؤلاء المفرغون صرفاً ، وتخرج لأصحاب الإيمان مرحاف  
بقية أشربة الجنة التي لا تنص فيها بوجه من الوجوه ، كما قال تعالى ( ومراحه من نسيم عيسا

يشرب بها (يقربون) وهكذا بقية أبواب ونصف بعير الحقة هؤلاء السفين منه علاه وأكله  
وأفهمه ، وإن كان يس في بعير الحقة ذئ ولا نص ولا كدر بوجه من الوجوه ، بل كل من  
تعمد شئ بعير من فميمها لم يكن في نفسه شئ أثلي منه . قال الله تعالى وأرضهم ، وخيار هؤلاء  
الأنبياء . على من . ثم لخصه بقول على من تبعهم ، ولكل درجات من عملهم ، فصالحان من فاقوت بين  
عدده هذا ، فاقوت بعصير . وأنه يختص برحمته من يشاء . وأنه ذو فضل لعظيم

فائدة : ورد في القرآن (صم) معنى الكفر وشرب لا كبر ، كما قال تعالى (والكافرون هم  
الظالمون) وقال (إن لشرك لظلم عظيم) ونحوه . وورد كثير بمعنى الجرائم التي دون الشرك  
كما سبق في مقام لخصه ، ومن (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستعمر الله يمد الله عذراً رحيماً)  
، ورد أيضاً عند آيات يدخل فيها هذا وهذا ، ومن هذا (الحق) والمنصية والهدى والسبب والسبب  
والحرم والحقيقة ونحوه ، قال : وردت في قرآن لكل واحد من هذه الثلاثة ، فتصرف في كل مقام  
بما يناسب ذلك المقام .

فائدة : قوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيسرناه اليسرى) جمعت العبادة  
وحقيقة الاستقامات التي تعال بها العباد ، وهي ثلاثة أشياء : فعل ما أمر ، واحتساب المعطور ،  
وتصدق بحسنى الله ورسوله . وهذه الثلاثة يدخل فيها كثير من كل ، وذلك قوله (أعطى) أي  
جميع ما أمر به من قول وعمل ، به (واتقى) جميع ما نهى عنه من كفر وسوق وعصيان (وصدق  
بالحسنى) أي أحسن الله ورسوله من الخير ، صدق بالتوحيد وحقوقه وحجراته ، فمن جمع ثلاثة  
الأمور يسره الله اليسرى ، أي لكل حبه فيها تسير مودة وخوانه كلها ، وصدق هذا قوله (وأما  
من كفر) أي كفر به . من حصر بالله من معنى الحق السب . فإذا مع الواجبات  
متوجه إليه . عو به والعدلية والميل به . فقد بع (و استعفى) أي رأى نفسه غير معتقر في  
ربه ، وذلك عموماً ككفر وتنجري ، حتى تحذر الله (وكذب بالحسنى) أي بلايه ، لا الله وحقوقه ،  
وحجراته التي يمين له . وكذا (فسيسرناه اليسرى) أي لكل حبه غيرة في معناه ومعهده .  
فائدة : حديثان يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهما :  
أحدهما : وهو لا كبر . حدّا حصص عاد يخط به جميع من يستحق الخير والحكم فيهم في  
حالة واحدة . مثل الخبر عن أنه وملائكته وكشفه وأسمه ويوم الآخر ، ومن الأمر بالصلاة  
والزكاة والصوم والحب ذو بر وحله وأعدل ولهي عن ضد ذلك ، وهذا لأن القرآن  
هداية ويسر للدين ، وهم مستنون في تعقّب تلك الأحكام وبها ، لم ينع ما يعجز عن بعض  
الواجبات فيرتب عليه حكمة

للقسم الثاني : احصى الإمام من حقه ، أحد من من جهة أخرى ، وذلك كالخطاب المتعلق بالعبادات

المعلقة على أوقاتها ، كالأمر بالصلاة خمس لأوقات ، كقوله ( أقم الصلاة لذكرك الشمس في غسق الليل وقرآن الفجر ) وبالأمر عن الخطرات ، مثل قوله ( وكنوا وشرهوا حتى ينبت لكم الخطم الأبيض من الحيط الأسود من بعد ثم ثوبوا الصبر ) في حجة تامة موجهة إلى جميع المكلفين فانه خطاب عام لجميع من شئ من هؤلاء ، ومن خطبوا بذلك ، ومن حجة أن لكل موضع حكماً معينه ، فانه معلوم أن أوقات إحدى تطيع فيه شمس على هذا ، أو بطلع الفجر أو غروب الشمس غير وقت إحدى توحده فيه هذه الأوقات ، عند الإحسان ، وكل خطب بحسب حاله ، حسب الموضع إحدى فيه بغيره ، وتطير هذه الأوقات بأشكال ، في الصلاة موجهة إلى جميع أهل الأرض ومع ذلك فكل فطر ونحن في هذه حجة يتوصلون بها إلى الكفة ، فقد صرح الله بهذا المعنى بقوله ( وحينما كنتم قوله ) وحوكم شطره ) فانقصود واحد ، وهذا شأن إلى هذا المقصود مثبته وكل أحد مأثور بطريقة الخاص ، وتطير ذلك الأحداث ، صبح شمس والقمر ، والكواكب وغروبها ، وتحدث حالها في مثل قوله ( حتى يدركه مغرب الشمس وحده ، تغرب في عين حجة ) أي في البحر ، وفي العين ، وفيه ( وحده ) نظام على قوله ( بحسب لهم من دونها سترا ) سائر المعنوية ، أن الشمس والقمر والكواكب لا تغرب عن يدك ، كما قال هذا من الجاهل والعمية ، بكل تحقيق عن الحقائق ، وذلك أن الله لم يزل وحده ، تغرب عن جميع الأرض ، وتطير على جميع الأرض حتى يكون هذا الحدث استراض ، أن جبر من هو ، وتطير عن ذلك الموضع وذلك لقطر ، كما يفهم السمع كانه ساعة ، لاحقاً ، ولا فرق بين لاحقاً ، ولا لاحقاً ، توحده . ومن المعلوم أن لكل أهل قطر مظنة وممر ، وهذه الأحداث في الأحكام ، لاحقاً ، في غاية الأحكام التي لا يتطرق إليها اعتراض المفسرين ، ومن استعرض في شيء من ذلك عرف ليس أن ذلك من آثار جهله وحجته ، وهذا وإن لم لا يحتاج إلى كل هذا ، فبهمه له كي ، السلب ، وهذا مقتضى كون القرآن عربياً ، أنزل الله بما يعقله العباد .

مائدة : ورد في القرآن عدة آيات في ذكر الكفر ، في قوله ( وكنوا وشرهوا حتى ينبت لكم الخطم الأبيض من الحيط الأسود من بعد ثم ثوبوا الصبر ) في حجة تامة موجهة إلى جميع المكلفين فانه خطاب عام لجميع من شئ من هؤلاء ، ومن خطبوا بذلك ، ومن حجة أن لكل موضع حكماً معينه ، فانه معلوم أن أوقات إحدى تطيع فيه شمس على هذا ، أو بطلع الفجر أو غروب الشمس غير وقت إحدى توحده فيه هذه الأوقات ، عند الإحسان ، وكل خطب بحسب حاله ، حسب الموضع الموضع إحدى فيه بغيره ، وتطير هذه الأوقات بأشكال ، في الصلاة موجهة إلى جميع أهل الأرض ومع ذلك فكل فطر ونحن في هذه حجة يتوصلون بها إلى الكفة ، فقد صرح الله بهذا المعنى بقوله ( وحينما كنتم قوله ) وحوكم شطره ) فانقصود واحد ، وهذا شأن إلى هذا المقصود مثبته وكل أحد مأثور بطريقة الخاص ، وتطير ذلك الأحداث ، صبح شمس والقمر ، والكواكب وغروبها ، وتحدث حالها في مثل قوله ( حتى يدركه مغرب الشمس وحده ، تغرب في عين حجة ) أي في البحر ، وفي العين ، وفيه ( وحده ) نظام على قوله ( بحسب لهم من دونها سترا ) سائر المعنوية ، أن الشمس والقمر والكواكب لا تغرب عن يدك ، كما قال هذا من الجاهل والعمية ، بكل تحقيق عن الحقائق ، وذلك أن الله لم يزل وحده ، تغرب عن جميع الأرض ، وتطير على جميع الأرض حتى يكون هذا الحدث استراض ، أن جبر من هو ، وتطير عن ذلك الموضع وذلك لقطر ، كما يفهم السمع كانه ساعة ، لاحقاً ، ولا فرق بين لاحقاً ، ولا لاحقاً ، توحده . ومن المعلوم أن لكل أهل قطر مظنة وممر ، وهذه الأحداث في الأحكام ، لاحقاً ، في غاية الأحكام التي لا يتطرق إليها اعتراض المفسرين ، ومن استعرض في شيء من ذلك عرف ليس أن ذلك من آثار جهله وحجته ، وهذا وإن لم لا يحتاج إلى كل هذا ، فبهمه له كي ، السلب ، وهذا مقتضى كون القرآن عربياً ، أنزل الله بما يعقله العباد .



أمر لشهته ، وأنها بدأتها بحسب الخلود إذا لم يمنع من الخلود مانع ، ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن لا يمنع مانع من الخلود . فتقرر هذه الخصوصية على الأصل المشهور ، وهو أنه لا تتم الأحكام إلا بوجود شرطه . وسأبينا ، انصد ، مواعيد ، وهذا واضح والله أعلم ، مع أن بعض الآيات المذكورة في ما يدل على أن حظيته المراد به الكفر ، لأن قوله ( وأحاطت به خطيئته ) دليل على ذلك ، لأن المعنى أنى دور الكفر لا تحيط بصحبها ، بل لا بد أن يكون معه إيمان يمنع من إحاطتها ، وكذلك قوله ( ومن بعض الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله داراً خالداً فيها ) فالمصيبة تصوق على كفر وعلى الكثرة ، وعلى الصغر ، ومن المعلوم أنه إذا دخل فيها الكفر زال الأسكال .

قائدة . ورد في القرآن آيات كثيرة فيها مصاعفة الحسنة بمسرة أمثاله ، وورد أيضاً آيات أخر فيها مصاعفة كثر من ذلك . في وجه ذلك .

فقال أما مصاعفة الحسنة بمسرة أمثاله فلا بد من أن يكون كل عمل صالح كما قال تعالى ( من جاء بالحسنة فله عشر مثله ) في عدة آيات

وإنما مصاعفة العمل أكثر من ذلك وله نسب ، بما متعلقة بمسرة العمل وبالميل ومريته أو بتأثيره ونحوه . ويزيد من مكانه

فمن أعظم أسباب مصاعفة العمل إذا حقق العبد في عمده الإخلاص للعبود والمقامة للرسول فمصاعفة الأعمال مع لما يقوم بقرب العمل من قوة الإخلاص وقوة الالتماس

وهذه لك من الأسباب إذا كان العمل ناسياً عن سعيه صالحة سعيه حاصلة متعلقة من الكتب . السنة ، هذه العبد يكون البشير من عمله برك من الكثير من عمل من ليس كذلك ومن ذلك ترك ما تنواه النفس من المعاش ، مع قوة الداعي إليها ليرهاق الإيمان والتوكل والإخلاص .

ومن أسباب المصاعفة أن يكون العمل فيه منع للمسلمين وعد . ورويت كالحجاء في سبيل الله ، أعظم ديانة ، البرهان ، والسير ، والسير ، كما قال تعالى في محقق أهل هذا الصنف ( مثل الذين يعقون ، وأولهم في سبيل الله كمثل حبة من سبيل في كل مسيلة ، ثم حبة والله يصعب لمن يشاء والله واسع عليم )

« يدخل في هذا سر صديق المعلم » « تعلم للمعنة الشرعية وما يعين عليها ، وفي الحديث « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة »

ومن ذلك العمل والتمس في شارب الخير التي ينتفع بها المسلمون في دينهم ودينهم ويتسلسل معه . ومن ذلك العمل الذي إذا عمله العبد كثر مشاكوه والمقصدون به فيه

ومن ذلك إذا كان العمل له وقع عظيم ونفع كبير ، كأنصح ، أنصطرين ، وكشف ، مكربات  
المكرويين ، فكلم من عمل من هذا النوع هذه الله به ديوب العبد كله وأوصله به إلى رضوانه  
وقصة البني التي سقت الكلب الذي كاد يموت من العطش شهيدة بذلك

ومن ذلك علو مقام العامل عند الله ورفعه درجته ، كما قال تعالى ( يا أيها النبي أنتن كأحد  
من الله ، إن اتقيتن ) وقوله قلها ( ومن تقى من الله ورسوله وتعمل صالحاً فؤننا أجره مرتين )  
ومن ذلك الصدقة من كسب طيب وقوة إخلاص

ومن ذلك العمل الواقع في زمن فاضل أو مكان فاضل  
ومن أهم وأعظم ما يصعب به العمل تحقيق مقام الاحسان في تقدم مسودية الله . وفي الحديث  
« ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها » فالصلاة والقراءة والذكر وغيره من العبادات إذا  
كانت بقوة حضور قلب وإيمان كامل ، فلا ريب أن منها ومن عدة أخرى درجات تقطع دونها  
أهناق الملقى .

وتسب مصاعبة الثواب كثيرة ، ولكن نرب على أصولها .  
ويعلم هو كالمحقق عليه بين العلماء الربانيين أن الانصاف في جميع الآثارات بقوة الاحسان لله  
والصحة اعماد الله ، وجملة الخلق للمسلمين مع الله بذكر الله لا يلحق شيء من الأعمال ، وأهلها  
سابقون لكل فضيلة وأجر وثواب ، ونقية الأعمال تبع لها ، وأهل الاحسان والاحسان والله ذكر  
هم السابقون السابقون أولئك المقربون في حداث النعيم

فائدة قد أمر الله في كتابه باتباعه والتبهر والنظر والتفكر وسيره من الطرق التي تدل  
بأعماله ، وأثنى على أهلها ، وحبر أن كتابه أنزل لهذه الحكمة . وأثنى على العبد واليتيم ومدح  
أهلها ونجح جميع طريق يوصل إليها .

فأعلم أن الذي يجمع شتات هذه لطرق وأبوابها وأحسانه ثلاثة طرق كامة أحدهم طريق  
الاحسان الصدقة والثاني طريق الحسن . والثالث طريق التقى ، ووجه الخصر أن المأمورات  
بما أن تدرج بحسنة السمع والنصر أو المس أو النوق ، وبما أن تدرج فالفن ، وإما أن تنال بالاحسان  
وكل واحد من هذه الثلاثة قد يدرج الآخر ، وخصوصاً التقى والاحسان صدقة فانه لا يتمزقان  
وقد ذكرنا اعماد مسروراً يديها يصطبر الانس في عمله والتصدق به من غير حاجة إلى  
ريادة نصر ونفكر وقد يكون نصرياً يحتاج إلى ذلك .

ثم العلم بهذه الأمور مراتب متفاوتة .  
وأعلى درجات العلم واليتيم وأوصحه وأفضلها للامداد حبر الله وحبر رساله ، فانه لا أصدق من  
الله قايلاً ، لا أصدق منه حديثاً ( والله يقول الحق وهو يهدي السبل ) وكل ما قاله الله وقاله رسوله

فهو الحق والصديق ، ومذا هذا الحق إلا الضلال ، وهو يهدي إلى كل دليل عقل وقل ، وفي خبر  
الله وخبر رسله من البيان العظم وعصية ثلاث جميع العلوم انبافه مالا تصل اليه علوم  
الخلائق كلهم أولهم وآخرهم .

وإذا أردت أن تعرف أن الحق الصحيح هو ما قاله الله وقوله رسوله ، وأن ما ناقضه وبغاه  
فهو باطل بلا ريب منى على جهالات ومواد فاسدة .

فاظر إلى أصول الدين وقواعده وأنه كيف انفتحت عليها الأدلة العقلية والعقلية والحسية  
انظر إلى توحيد الله ووحوب تفرده وإفراده بالوحدانية وتوحيده بصفت لكمال ، كيف كانت  
الكتب السماوية مشحونة به ، ، ، هي لفصوص الأساطير منها ، وخصوصاً القرآن الذى هو من  
أوله إلى آخره يترد هذا الأصل الذى هو أكبر الأصول وأعظمها .

وانظر كيف انفتحت جميع أسس من أولهم إلى آخرهم ، وخصوصاً إمامهم وحائهم محمد ﷺ  
على توحيد الله وتوحيده بالوحدانية وسعة الصفات وعظمته من سعة العلم والحكمة وعموم  
العمدة والإرادة وشعور حمد والمثل والمجد والجلال والجل والاحسان في شماته وصفاته  
وخصاله ، ثم اجسر إلى هذا الأصل العظيم في قلب سادات الخلق أولى الألب السكامة والعقول  
التيمة كيف تبعده أعظم من كل شيء ، ، ، وقوى وأكبر من كل شيء ، ، ، وأوضح من كل شيء ، ،  
وإيه مقدم سدهم على الخلق كلهم ، ، ، ونهجه يعلوه عملاً ضرورياً بذاتها قبل الأدلة الطرية ،  
وبملور من كل ما تارعه فهو نفس المثل ، ثم انظر إلى كثرة البراهين مقولة والمقولة  
والمحسوسة الشاهدة لله بالوحدانية

### ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

في وجود هذه الأسماء في الله تعالى ومعنى : هو ، هو ، وما هي عليه من الأوصاف المتشعبة  
كل ذلك من الأدلة والبراهين على وجود مدعيه ومدعيه بكل ما تحتج إليه ، ومن أسكر  
هذا بعد بهت وكبر وأسكر أهل الأمور وأعظم الخلق .

ومن هنا نرى المدينين المدينين أصل الخلق وأحلمهم وأعظمهم عروراً وعتراً حيث  
استروا حيل وتموا على بعض علوم الكون الاصى امدى الطيبي ، وصفت عقولهم القصرة عندها  
واستولت عليها احيرة وتكبروا بسرفهم لصيلة وفدا ، ثبت ما وصلت اليه معارفهم ونبي  
ما سواه ، فتعرف بها أن فيها هذا حيل وباطل يتدفق انقلا ، فإن من نبي مالا يعرفه فقد  
برهن على كونه واقعه ، فكأن من ثبتت ملاعيل هو صال عوى ، فكذلك من نبي  
سيت ملاعيل ، وتعرف أيضاً أن ناسهم لعموم الطبيعة التي عرفوها وانتهت اليها معارفهم أن هذا  
الانسان منهم قاصر لم يصلوا إلى عاقبه وحقيقته ، فلم يصعدوا بذلك إلى خالق الطبيعة ومدعيها ، ولم

يعرفوا المقصود من نصها وسعيها ؛ بل عرفوا طهرتها منها وهم عن استماعها يفتنون ، فأنبتوا بعض السبب وعما عن المقصود ، وهم في عموم هذا حائرون ، لا تثبت لهم قدم على أمر من الأمور ؛ ولا تثبت لهم طريقة صحيحة مستقيمة ، وهم دائماً في حذب وحض وتناقص . وكذا حاشم من البراهين الحق ما يبطل قولهم فالواحد من فئات الصيغة ؛ ونجى بربر مير من خوهم وذكائهم ابتكر له طريقة غير طريقة حواء ؛ فصدق سيبويه قوله قد أتى ( بل كدوا بالحق ما حاشم فيه في أمر صريح ) وقوله ( وما جاءتهم رسالتهم بالبينات فحووا ) بـ عديم من العلم وحق به ما كانوا به ينهون (

والمقصود أن هذا الأصل العظيم قد دلل عليه جميع الأدلة بأحسانه وأنواعه ، ودل عليه الشرع المحكم والفكر العبد الملم ، ولم يمدح فيه إلا هؤلاء اصحاب الدين كل فسخهم فيه أنقط اعتبارهم وبرهن على فساد عقولهم .

ونظر إلى الأصل الثاني وهو رشت الرسالة ، وإن الله قد غم على صدق رسله من الآيات ما على منه يؤمن البشر ، وخصوصاً عند <sup>الرسالة</sup> ، قال آتت سمته ودله رسته وصدقه متنوعة . سيرته وأخلاقه وما جاء به من الدين اتقوا ، وحنه على كل خلق كريم وعن صالح ومع واحسن وعدل ، ونهيه عن ضد ذلك ، وما جاء به من الوحي المكتوب والسمعة ، كله حجة وتفصيلاً راهين على نمونه وصدقه مع ما كرمه الله به من القصر العظيم وإعطاء ديه على الأدبيل كالم ، ومن احانة الدعوات وحول أنواع البركات التي لا تعدأ ، فضلاً عن أفرادها ، وهذا بطلان النظر عن شهادة الكتب السابقة ، وعن بحر المعارض ، في مميزات تتحدى كنه وعجزهم عن صرباطهم ولا يزال الباحث بين يدي ما جاء به الرسول بعد لا يراه ، بحيث أن الصالحين ينادون به الرسول القائلين بمعرفة ديه يتحدثون جميع أهل الأرض ؛ بأنوا فصلاح أو فلاح أو رضى حقيق أو سعادة حقيقية بجميع وجوهها ، وأنه محال أن ننوص في شيء من ذلك بعجز ما جاء به الرسول ورشد آية ودل الخلق عليه ، وبولا الجهل بما جاء به الرسول وتقصت لشديدة من الأعداء والمقدمات العنيفة ، وقامة الخواصر المتعددة العميقة مع إجهاد والدهم من رؤية الحق لصريح والدين الصحيح ، لم يبق على وجه الأرض دين سوى دين محمد <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> ندوته ورشاده وحشده على كل صلاح وإصلاح وحبر ورشد ، ولكن مقدمات الأعداء وبصر لقوة اللص بتقويته والتزويرات وتقاعد أهل الدين عن القيام به وبصرته هي التي معبأ أكثر الحق من التوفيق على حقيقته

ثم انظر إلى الأصل الثالث وهو اثبات المعاد والجزاء كيف انعمت بكتب سماوية وارس المعطام وأتباعهم على اختلاف طبقاتهم وتباين أقطارهم وأزمانهم وأحوالهم على الأبدية والاعتراى

الدم به ، وكم أقام لله عليه من الأدلة العقلية و العقلية . وكذلك الحسية المشاهدة ما يدل أكر  
دلالة عليه . وكم أشهد عباده في هذه الدار أعودحاً من الثواب و لعقاب ، وأراهم حلول المثلات  
بالكديين ، وأنواع العقوبات الدنيوية للمجرمين ؛ كما أراهم بحمد الرسل ومن تبعهم من المؤمنين  
وإكرامهم في الدنيا قبل الآخرة . وكم أبطل لله كل شبهة يقترح بها المكذبون بالمعاد ، كما أقام  
الدالة على بطلان الشبه الموحية من المكذبين إلى توحيدهم وصدق رسله ، وبين سمعهم وفساد  
عقولهم ، وأنه ليس لهم من المستندات على إنكار ذلك إلا استمدادات مجردة ؛ وقياس قدره قرب  
العالمين على قدر المخلوقين .

والمقصود أن هذه الأصول العظيمة قد قامت البراهين القواطع عليها من كل وجه وبكل  
اعتبار ، وجميع الحقائق الصحيحة غيرها لم يبق على ثبوتها وعلوها عشر معشار ما أقام على هذه  
الأصول من البراهين المتنوعة ؛ وفي هذا دليل على أن كل من أثبت مضموناً أو حقيقة من  
الحقائق لطريق عقلي أو حسي وحسي ، ثم بى مع ذلك واحداً من هذه الأصول الثلاثة التي هي  
أساس الدرس ، فقد كابر عقله وحسه وسمعه وهدى على نفسه بالتناقض العظيم . لأن الطرق التي  
دلته على انبثاق معلوماته هي وسماعها وأصعافها وما هو أقوى منها وأوضح قد دلت  
على التوحيد والرسالة والمعاد .

واعلم أن المعلومات بحمد الله وحرر رسله عامة يدخل فيها الأحبار عن الله وعن ملائكته  
وعن الغيوب كلها وأمر الشريعة وانقدر ، وهي الأحبار المعصومة الصادقة التي يعلم كذب ما خالفها  
وبطلانها . ولمكتنف بهذا لا عودح من الأمثلة . والله أعلم .

وبعد هذا إحصاء الصادقين عن المواسم والحوادث والوقائع التي شاهدوها ، وهذا النوع  
بحسب صدق المحررين ، وبوائر حرمهم بعيد العلم القطعي . وكذلك إحصاء الصادقين عن العلوم  
التي سمعوها والالفاظ التي نقروها ، وأصدق الدعين بها حملة الشريعة الحميدة ، لشده عنايةهم  
وكمال صدقهم وقوة دينهم . وأنهم بالخصوص حفظوا عن الخطأ العمومي ، ولا تنافي على  
غير السواب

ومن الأمور التي تعلم بالعقل أن حقول الصحيحة التي لم تغير مظهرها ، ولم تعدد بالعقائد  
الفاصلة ، تعلم عمماً يقيناً حسن التوحيد والاحلام لله . كما تعلم قبح الشرك ، وتعلم حسن الصدق  
والمعدل والاحسان إلى المخلوقين ، كما تعلم قبح صده ، وتعلم وجوب شكر المسموع ووجوب بر  
والدين وصلة الأقارب . ولقياسه بحق من له حق عليك ، وتستحسن كل صلاح وإصلاح ،  
وتستقبح كل فساد وفساد . ومن أشرف ما يعلم بالعقل أنه مركوز في العقول أن السكالك المنطق  
الله وحده . وأنه الحكمة التامة في خلقه وشرعه ، وأنه لا يليق به أن يترك خلقه سدى

لا يؤمرون ولا ينهون ولا يمانعون ومن المعلوم بالحس ما يدرك بالحواس ، كسمع الأصوات وبصار الأعيان وهو من أتم المعارف ، فإنه ليس الخبر كالعبارة ، وما يدرك بالحس ما يدرك بالشم ، كشم الروائح لطيفة والخبيثة ، وما يدرك باللمس ، كالحراة والبرودة ، وما يدرك بتحصيل الأشياء ، وأدق من ذلك على موادها وخواصها وصفاتها ، كل هذا من مميزات الحس وباحته فطرق العلم إلى المسميات كثيرة جداً ، وكل كل الشيء أخطر ومعرفة ثم كانت الطرق الموصلة إليه أكثر وأوضح وأقوى ، كما تقدمت الإشارة إلى التوحيد والرسالة والعبادة ، والله أعلم

قائمة . لم ذكر الله تعالى نعمته على العباد بتبسيط لركوب اللاتعة والمهلك قال ( نعتوه من ظهوره ثم نذكره بعمدة دكره ) واستوفيه عليه ، وتقورا سبحانه الذي سحر لنا هذا وما كماله مفرتين ، وإما إلى ( رب مقصود ) ذكر فيها ركان الشكر لثلاثة وهي الاعتراف والتدكر لعمدة الله ، والتحدث به والتدبر على الله ، والخشوع لله والاستعانة به على عبادته ، لأن المقصود من قوله ( وب إلى ربنا المقصود ) الاعتراف بالخلاء والاستعداد به ، وأن المقصود من هذه العم أن نكون عوناً للعبد على ما حقق له من عمدة الله ، وفي قوله ( ثم نذكره بعمدة دكره ) استوفيه عليه ) تبيده في هذه الحلقة وقت تنوء لعمدة . لأن كثيراً من الخلق تسكروهم العمدة بعضهم عن الله ، وتوحى لهم الأشر والطر . هذه العمدة هي سر الله بها هي دواء هذا الداء المهلك ، فإنه متى ذكر العبد أنه مأمور بعمدة الله ، وأن أصوله وتبسيروها وأسبابها ومفاتيحها ودفع ما يصادها أو ينقصها كانه من فضل الله وحسنه ليس من لعمدة شيء ، حصصه ودل وشكره وأثنى عليه وبهذا تدوم العمدة وبدر الله بها ، ونكون بعمدة حقيقية ، فأما إذا دلت بالآثار والمطر وبسي المسم ، وربي تكبر بها هي هذا الله ، فعمدة نعمة في صورة نعمة ، وهي استدراج من الله للعبد سريعة الروا وشبكة بالعقب عليها والمكالم ، بل الله أن يوزعها شك نعمة

قائمة : بل فوائد عظيمة في ذكر شيء من الأسباب التي ذكرها الله في كتابه

### موصلة إلى المطالب العالمة

لا ريب أن من حكمة الله ورحمته أنه جعل العبد مفتقر إلى جلب المنافع الدينية والدنيوية وإلى دفع المضار الدينية والدنيوية ، فاحتقت حكمة وسننه التي لا تبدل أن هذه المنافع المتشعبة وخصوصاً الأمور العظام لا تحصل إلا بالسعي بأسبابها الموصلة إليها ، وكذلك المضار لا تدفع إلا بالسعي بالأسباب التي تدفعها ، وقد بين في كتابه غاية التبيين هذه الأسباب وأرشد العباد إليها فمن سلكها فاز بالمطوب ونجا من كل مضره .

فأصل الأسباب كلها الإيمان والعمل الصالح ، جعل الله حيرت الدنيا والآخرة وحصولها بحسب قيام العبد بهذين الأمرين ، وقد ذكر الله في القرآن من هذا شيئاً كثيراً جداً ، وقد تقدم في هذا الكتاب شيء من ذلك عند ذكر فوائد الإيمان .

وحسن الله لقوله «يسموية» والتوكل سكتة اقله للعبد جميع مطالبة ، شاهده قوله تعالى  
(ومن يقول على الله فهو حسبه ، اليس له تكليف عنده ) اى من يقول بيسموية طاهراً وبطناً  
وحسن الله التقوى والسعى والحركة سكتة اخرى ، شاهده قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له  
مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ) وقوله (فامشوا نى ما كنتم وكنوا من ربه )

وحصل الله الصلوة والايمن وذكرا دعوه دى الله من كل كرب وصيق  
 . سنة ، هذه الآية السابقة ، وكذلك قوله ( ودا من يدع م صا فط لى بقدر عليه  
 ودى فى الطافت لى لا اله الا انا - صحت لى كمت من اهل لى . فاستحب به ونجيه من  
 الفم ، وكذلك تنجى المؤمنين )

وَحَمِلَ اللَّهُ الدَّعَاءَ وَالطَّبْعَ فِي فَضْلِهِ سَبِيحاً فَحُصُولُ حَمِيمِ الْمُصْلَاحِ ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ( وَقَالَ رَبِّكُمْ  
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) وَقَوْلُهُ ( وَادْعُوهُ حَوْثًا ، طَمَعًا ، إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ )  
وَحَمِلَ اللَّهُ الْأَحْسَنَ فِي عِمَادَةِ الْخَلْقِ وَالْأَحْسَنَ إِلَى الْخَلْقِ سَبِيحاً بِإِسْرَافِهِ فَفَصْلُهُ وَإِحْصَاؤُهُ  
الْمَحْضُ وَالْأَحْلَى ، شَاهِدُهُ الْآيَةُ السَّامِيَّةُ ( إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ) وَقَوْلُهُ ( هَلْ حِزَاءُ  
الْأَحْسَنِ إِلَّا الْأَحْسَنُ - وَاحْبِسُوا إِنَّا اللَّهُ بِحُبِّ الْمُحْسِنِينَ ) وَمِنْ حَمْدِ اللَّهِ دَلِ كُلُّ شَيْءٍ بِصِفَتِهِ .  
وَحَمِلَ اللَّهُ التَّوَكُّلَ وَالْإِسْتِعْدَادَ وَالْإِيْدَانَ وَالْحَسْبَ وَالْمُسْتَعِينُ مَعَ الْقَبِيرِ عَلَيْهِ سُبْحَانَ الْجَوَالِدِ الْغَوِيْبِ  
وَالْخَطَّابِ ، شَاهِدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ( وَإِنِّي لَأَعْلَمُ مَنْ دُونِ وَاقِنٍ ، مَنْ صَاحِلُهُ ثُمَّ اهْتَدَى - إِنَّ الْحَسَنَاتِ  
يُدْفَعُ الْبِئْسَاتِ - بِهِ مِنْ يَتَّقُ وَيَصْبِرُ قَالَ اللَّهُ لَا أَصِيبُهُ أَفْرَجُ الْمُحْسِنِينَ )

ووصل الله الصبر مدد و قوة تدبر به الحيرات و يستدفع به الكريهات ، سجد هذه الآية السابقة  
و قوته ( و استمعوا بالصبر و الصلاة ) أي على جميع أموركم و قد ذكر الله ما وصل إليه أهل الحجة  
من كمال النعيم و رواه كل محدث ، ذكر أن هذا أثر صبرهم به فقل ( سلام عليكم يا صابرين - أولئك  
يخرجون الغرفة بما صبروا )

ومنه أنه جعل الصبر وليقين نسل بهي أعلى المقامات ، وهي الإمامة في الدين ، دليله قوله تعالى ( وحصل منهم قوة يدرؤا الأمر بالصبروا وكأما آتيت بالقول )

وَحَسْبُ اللَّهِ مَعَهُ ۚ يَعْلَمُ حَسْبُ الْإِنْسَانِ ۚ لَأَنْصِتَ وَسَعَى وَتَقْوَى وَحَسْبُ الْقَصْدِ ۚ سَاهِدَهُ  
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ كُتْمَهُمْ لَا تُعْمَلُونَ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا عَنْ شَيْءٍ  
مِنْدُكُمُ تَسْمَعُونَ ۚ وَإِنْ سَأَلْتُمُوهُنَّ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُكُمْ كَمَا نَعْبُدُ آبَاءَنَا وَآبَاءَهُنَّ ۚ وَقُولَنَّ لَهُنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ الْعِزَّةِ ۚ لَقَدْ كُنَّ يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ۚ



تنتوا الله بحمل لكم فرقته) أى تورا وعملاً تفرقون به بين الحقائق كلها، وقوله (يهدى به الله من اتبع رسوله من سبل السلام) وقوله (وهدى الله لهدى الهدى سبله) الآية وحمل الله الاستعداد للاهداء بكل مشقة من القوة، وأخذ الحذر منهم سداً لحصول النصر واللامة من شرورهم، شاهده قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذُوا حِذْرَكُمْ) وقوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)

وحمل الله اليسر بفتح اليسر، والمرح عنه استعداد الكبر، شاهده قوله تعالى (إن مع اليسر يسراً) - سبحانه الله بعد عنه يسر - من يحب المصطر إذا دعاه) وحمل الله الشك سداً من يده من غيرهم، وكفران العلم سداً لرواها، شاهده قوله تعالى (لن نكره أن نؤيدكم) ونشكركم إن عذاب لشديد)

وحمل الله الصبر والتقوى سداً لعدوه، والجمود وسدلاً لرفعة يسهده قوة تعالى (ولم تبق لعتيقين - به من بقق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)

وحمل الله الجهاد سداً للنصر وحصول الأغراض المطلوبة من الأعداء وبوقاية من شرورهم شاهده قوله تعالى (فتحرم بعدد الله ما يديكم ويحرم ويصبركم عليهم فتدبر في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك، وحرم المؤمنين على الله أن يكلف بأس الدين كبروا)

وحمل الله محبة التي هي أعلى من الله لعدو أسد، ثم وعظمت منه رسله محمد ﷺ في الأقوال والأفعال وسائر الأحوال، من الله (وإن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) ومن أسسها، ذكره قوله (والله يحب الصابرين - محمد - الحسنيين - يحب المتقين - يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم نبيل مرصوص)

وحمل الله النظر إلى الله والعصيان من أعطاه العبد وعصا نصرته ثم أعطاه صلباً للفتنة شاهده قوله تعالى (يا موسى إن أذهب بك على الناس بملأى، كلاً مني، فخذ ما آتيتك وكفى من الشكرين)

وحمل الله القيام بالعدل في الأمور كلها بصلاح الأحرار، وحده سداً لاحتلالهم شاهده قوله تعالى (واسمهم رفعتهم، وضع الميراث أن لا تطعموا في الميراث، وقِيمُوا النور بالفسط ولا تحسروا الميراث)

وحمل الله كل احتياض لعدو به سداً يدفع به عنه المعاصي وسداً من أنواع الفتنة، شاهده قوله تعالى (كذلك صرف عنه سوء والمعتد به من عده من المحصين)

وحمل الله قوة التوكل عليه به لا يمن حصاً حصيباً بجميع أعداء من تسلط الشيطان، خصوصاً إذا انضم إلى ذلك لاكثر من ذكر الله ولا استعداداً بأنه من الشيطان، شاهده قوله تعالى (إنه

لنفسه منطوق على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (وقال (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) إلى آخرهما .

وحصل الله منفتح الإيمان وليفين التمسك في آيات الله المتوبة وآياته المشهودة والمفاضة بين الحق والباطل بحسب فهمه وموهبة بصيرة ، شاهدته قوله تعالى (صكتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) ، وأمر بالتصبر بالمحلولات في عدة آيات ، وقوله (إن في ذلك لآيات لمن يؤمن) وهي سبب للايمان ، والإيمان موجب للاعتقاد .

وحصل الله التيقن بأمور الدين سبباً لتفسير الأمور ، وعدم التيقن بها سبباً للتفسير ، شاهدته قوله تعالى (فأما من أعطى) وتلقى وصديقاً مخلصاً فيسببه فيسري ، وأما من نحل واستغنى وكسب مخلصاً فيسببه فيسري .

وحصل لله العلم السامع سبباً للرفعة في الدين والآخرة ، شاهدته قوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

وحصل الله كونه الله طيب في عفيفته وحسنه وماله سبباً لدخول الجنة وللشارحة عند الموت ، شاهدته قوله تعالى (طهره ما دحوه جانحين) وقوله (الذين تنوفوا الملائكة طيبين)

وحصل الله مقابلة المهيبة بالأحسان ، وحسن الحق سبباً ليكون به العدو صديقاً ، وتتمكن فيه صدقة الصديق ، دليله قوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . في رحمة من الله لست لهم وقد غلبت القلب لا عصوا من حولك) وبذلك تحصل الراحة للعدو وتيسر به كثير من خواصه

وحصل الله الامتنان في محبة سبباً للتحلف اليه وحسن الثواب الآجل ، شاهدته قوله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)

وحصل الله رده أنواراً ، سبباً متشعبة ، فتى العميق عن السعديات منه فلا يحزن ، فإن الله يفتح له غيره ، وقد يكون أقوى منه وأحسن ، وقد يكون مثله ودونه ، شاهدته قوله تعالى (وإن تنصروا الله فلا يقو الله كلاً من سمته) وقوله (يا أيها الذين آمنوا إنما البشر كون نحن فلا يقرنوا المسجدين الحرام بعد عامهم هذا ، وإن حفر عيله فسوف يعمكم الله من فضله) الآية

وحصل الله التحرر والسعد عن التوقفت بهلكة والخدر من وسوءه طريقاً سهلاً هيباً تتركها شاهدته قوله تعالى (تلك حدود الله) أي محارمه (فلا تقربوها) أي لا تعبدوها ولا تخوموها حولها فمن رعى حول الحمى يوشع أن يقع فيه ، وقد قيل مثل هذه الآية (تلك حدود الله فلا تقربوها) كمن المراد بالحدود المحارم ، وأما إذا قيل (تلك حدود الله فلا تعبدوها) فبذلك الحدود التي حددها الله بحدود لا يتعداها ، لأنه إذا تجاوز المباح وقع في المحرم ، فافهم الفرق بين الأمرين

وحمل الله السبب الوحيد القوي المنع للشر ثمة حجة إلى - عمله هو ما تضمنته هذه الآية (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة واهدهم إلى ما يحسن) والحكمة وضع الدعوة في موضعها ، ودعية كل أحد بحسب ما يبين بحبه وبما فيه ويكون أقرب لحصول مقصود منه (والموعظة الحسنة) الدلعة في الحسن مبدأ ، يصير له من التأثير وسرعة الانقياد ما ييسر مقتضى الحال ، والموعظة بها الأحكام مع ذكر ما يقتضيه من الترهيب في ذكر مصلحها ومما فيها وحيراتها الخفية عليها ، وذكر ما يقتضيه من الترهيب في ذكر عجزها أو ترك الواجبات من العقوبات والتسليم والخسرات وحرمان الخير المعلن والاحل

(والمحمد له التي هي أحسن) بالمراتب الواضحة والترهيب الميسر التي تحقق الحق ونص الباطل ، مع الرفق واللين وعدم المعصية والمثابرة

وقد علم الله مع ذلك أن الناس ثلاثة أقسام ، كل يدعى بما يري في نفسه .

القسم الأول : المفادون الملتزمون بالراعي في الخير ، الرايون من أسر ، هؤلاء لما عدهم من الاستعداد لفعل المأمورات وترك المنهيات والاسياف إلى الاعتقاد الصحيح ، فقط يكتفي ببيان الأمور الدينية لهم والتعليم المحض

والقسم الثاني : الذين عدهم عقله وإعراضه استعمالاً لأمر مودة عن الحق ، فهم لا مع هذا التعليم يدعون بالموعظة الحسنة بالترهيب والترهيب ، لأن لهموس لا تستغنى عن فهمها ، ولا تترك أغراضها الصاعدة عن الحق علماً وعملاً إلا مع دليل لها أن ترعب وترهب يذكر ما يقترب على الحق من المصالح وعلى الباطل من المنافع ، وبموازنة بين الأمور الدعوية ونصرة

والقسم الثالث : أنه رضون أو معاندون ، مكابرون المتصدون له ومرة الحق ونصرة الباطل فهم هؤلاء لا بد أن يسلك معهم طريق المحادة بالتي هي أحسن بحسب ما يبين بالجدل والمجادلة وبذلك المقالة وما يقتضيه ، وإذا أردت تفصيل هذه الأمور الثلاثة تماماً فإني أدعوك إلى إرسال صوات الله وسلامته إليهم التي حكاها الله في كتابه مع أمته المستجيبين ، والمرصين والمعديين ، فبها محتوية على غاية الحسن في كل أحوالها

ثم انصر إلى دعوة سيدهم وإمامهم محمد ﷺ وما سلك من الحق بمقولة في دعوة الخلق عموماً وحصول على اختلاف طوائفهم وقت لم وبحسب أحوالهم ، وبحسب الأقوال والأحكام التي يدعوا إليها ، فبها قد حقق في ذلك لأوليين وآخرين ، والآثار أكبر دليل على قوة المؤثر

وحمل الله السبب لعمل الخصم المسمى له بشايعين في جميع أفعاله ، الذي هو خير في الحال وأحسن في المدخل ، يردده إلى كتب الله وسفره وبيده بوله تعالى (قال صدقتم في شيء فرددوه إلى الله ولرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن

تأويلاً) وحصل الله صلة أمر به أن موصل من البر وصلة الأرحام والقيام بحق من له حق عليك  
سبباً كما به مكارم الأخلاق ويتنزه به المزل العانية في حداث التبر ، شهادته قوله تعالى (والذين  
نصروا ما أمر الله به أن يوصل ويحشرون يوم ويحشرون سوء الحساب - إلى - حبات حسن يدخلونها)  
وحصل الله أسواق أحمده للعبد ونعمه له في حل الرضاء سداً للعداة من الشدائد  
وحصول أسطر الموائد ، به سه قوته تعالى (فبلا أنه كان من المسحبين لث في بطنه إلى  
يوم يستنون) وقول أهل الجنة يوم (بك قبل في أهل مشقتين ، من الله علينا وودنا عدا  
السموم ، إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم)

وحصل الله لشرح محسن ونعيمه وطريقه متعددة اليقين والابتن والاكتار من  
ذكر الله وقوه الامنة له ، ونفعه به عظم من لرق ، وحصول العلم النافع ، وترك الذنوب  
والعداة العاتية وما وقع به ، وشواهد هذا كثيرة ، منها قوته تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم  
بذكر الله ، فلا يذكرون الله تمشي العرب - فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه -  
بالأمر إلى غير) ، وشواهد هذا السمر لغير غلب في الدنيا عذر من عمل صالحاً من ذكر  
وغيره وهو مؤمن مسجبه حمة طيبة ولحبر - أحرم ما حسن ما كانوا يعملون كلام ران على  
فهم ما كانوا يكسبون ، كلامهم سر - يومئذ المحجوبون

وحصل الله عبرة لأمة في كنهه طريقاً عظيم من طريق التعليل الذي تنبئ وتوضح به  
المدل له بية واقعة تصحيحه ، فمثلة كلمة التوحيد واعتماد الحقيقة الصحيحة  
(شجرة صفة صالحة) في أصل المؤمن (وعزم) من الأعمال والأخلاق (في السماء تؤتى أكلها)  
في ما معكم ، كل حين - يوم - ومثل صد ذلك فالشجرة الخسنة التي لا لها أصل ثابت ولا فرع  
تقع ومثل الدنيا بمره كالمدى الذي يف به شركاء متشاكسون ، والموحد المخلص لله السلام من  
تعلقه بغيره

وكذلك مثل الشرك والمشرك واتحاده ولياً من دونه فله بقدر به وسقصر (كثرت السمكوت  
نحدثت سقا ، ومن - وهي سموت لست السمكوت) ومثل وحيه ينزلة لعيث الباع وقلوب  
الخلق بمره الأراضى الطيبة لمة نية والخسنة ، وبين ذلك ، وهي أمانة محسوسة يوضح الله بها  
المطالب لامة ، وهو بقدر على على أصل الدين التي يجب على الخلق الايمان بها : كالتوحيد  
والرسالة والعبادة وما يتفرع عنهم ، وعبر الأمل من نصريف الله الآيات لعدده بأعلى أساليب  
للكلام المؤثرة الموصحة للحقائق ، فتأمل أقسام القرآن تحديداً كذلك ، ولذلك حدث الله عليها  
وودع من يتفكر فيها ويعقها ، فدل (وذلك الأمل - نصرف للناس لعلهم يتفكرون) وفي الآية  
الأخرى (وما يعقلها إلا العالمون)

فصل في ذكر حدود النفس كثر مرورها في شرب الخمر

﴿أمرأيت أو نبياً عنها أو مدحاً لها أو مدحاً لها﴾

قاله تعالى: أنبي على من عرف حدود ما نزل على رسوله وذه من جهلها ؛ وهذه النفس حالها  
يتعين على طالب العلم معرفة حدودها ، ليعرف ما يدخل فيه وما يخرج منه ؛ ويتحقق لأحد  
الأمور بها في كثير من الأمور ، وقد يكون بين مروق ، وكذلك الميقات ، وهذا من أحكام  
القرآن ، وأنه يصدق بمصداً (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)

الاسلام والايمان أم الاسلام هو استسلام النفس لله ورسوله ، والشرائع الطاهرة  
والباطنة ، وأم الايمان هو التصديق اتمام للاعتراف بالصورة التي أمر الله بالايان بها ، ولا يتم  
ذلك إلا باقتمام أعمال القلوب وأعمال الجوارح . وهذا معنى الله كثير من شرائع الشريعة  
واسماهاً يديها ، وبعض الآيات يذكرها من نوارده لايان على هذا . الايمان عند الاطلاق يدخل  
فيه الاسلام ، وكذلك بالعكس . ويدرج بين الايمان والاسلام ، فسر الايمان بما في القلب من  
التصديق والاعتراف وما يسمع ذلك ، وفسر الاسلام بالقول بصوديقته كلف ، يظهره والخدمة  
الاحسان فسان احسان في عدة ادلى ، وهو من الجهد في إكمال تقديده والقيام بحقوقه  
الصاهرة والباطنة . وحسن إلى الخواص ما يصل جميع . يستطيعه العبد من مع غنى وبدى . وفي  
الحق وبصحة دينية أو دنيوية ومعدة وحسن على الخير ، ولهذا كان المحسنون لله وتوابعه  
عظيم بحسب قيمته بالاحسان متدريج إلى الحق ، برحمه وفخرهم ، حتى الحيوان ايمان ، كما قال <sup>صلى الله عليه وسلم</sup>  
« إن الله كتب الاحسان على كل شيء » الحديث

الهدى والهداية : نزل . هداية العلم والارشاد والتمهيد ، وهداية القويق وحسن الهدى في  
القلب ، وهذا يطلق من الله تعالى . وما على وجه الاطلاق كقول العبد : اللهم هدى ، اللهم  
في أسألك الهدى ، وما على وجه التضييق بصريته ابقه ، كقول منقلى : هداية الصراط المستقيم  
ومن حصلت له الهداية سمي مهتدياً ، وعظم ما تحصل له الهداية بقرآن ، وهذا سمى الله هدى  
مطلقاً ، وقال (هدى بمتبين) وقال (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ويشمل جميع الأمور  
الدينية والمدنيوية النافعة .

العلم واليقين . فالعلم هو تصور المعومات على ما هي عليه ، وهذا يقين . العلم ما قام عليه الدليل  
والعلم النافع ما كان مأخوذاً عن الرسول . وإيتين خاص من العلم بأمرين أحدهما : أنه العلم بالاراسخ  
القوى الذي ليس عرصة للريب والشك والتمويه ، ويكون عريتين : ثابتة بالخبر ، وبين يقين إذا  
شاهدته العين والمصر ، ولهذا يقال ليس الخير كالمصيبة ، وحق يقين إذا دعه العبد وتحقق به .

الأمر أن في شئين هو العلم الذي يحصل صاحبه على الطائفة بحمد الله ، والطائفة بذكر الله ، والفرق على المكارة ، والنوّة في أمر الله ؛ والشجاعة القولية والعملية ، والاستعلاء للطاعات وأن يهون على الله المشتات وتحمل الكربات ، فهذه الآثار الجميلة التي هي أعلى وأعلى من كل شيء من آثار اليقين .

لصبر حدس النفس على المشتات طناً رب الله ، وسقم إلى ثلاثة أقسام صبر على طاعة الله ، وخصوصاً لطاعات الله ، حتى تؤدى على وجه الكمال ، وصبر عن معصية الله ، خصوصاً المعصية التي تدعو النفس إليها دعاءً قوياً ، حتى يجاهد نفسه فيتركها لله ، وصبر على تقدير الله المؤلم ، خصوصاً إذا عظمت المعصية ، حتى لا يتسخط ، وربما وصلت به الحال إلى الرضا عن الله شكرته هو الاعتراف بمر الله لظهوره والباطنة ، العامة والخاصة ، والتحدث بها ، والاستعانة بها على طاعة المسم دون معصيته ، ولا بد أن يفتن هذا المخصوص لمسم ومحققه ، وهذه الأركان الخمسة يكون الشكر تاماً .

البر والتقوى لله . إذا أطلق أحدهما دخل فيه الآخر ، فانه اسم جامع للقيام بكل ما يحبه الله ورسوله طهراً واطماً ، وترك ما يكرهه الله ورسوله ظهراً واطماً ، وإذا جمع بينهما نحو ( وعبودوا على امر و لتقوى ) فسر البر بالنية بغيره الايمان وأخلاقه ، وعمال البر كلها القاصرة والمتصدية وصبرت التقوى بآتقاء ما يسخط الله من الكفر والفوق والمعصية

الصدق والكذب الصدق هو استواء الظاهر والباطن على الاستقامة على الصراط المستقيم فاصدق في اعتقاده أن تكون عقيدة احد صادقة سليمة متعلقة من كتاب الله ورسوله وما كان عليه الصلوة رضى الله عنهم ، والصدق في الاخلاق أن يكون القلب ملائماً من الايمان والاحسان والارسة والصلحية لعاد الله ومحبة الخير لهم ، والصدق في الاقوال أن يكون قائلًا للصدق مصداقاً به ، والصدق في الاعمال الاجتهاد في تكميلها وانقيادها ، والكذب ما نص ذلك كله ، وذلك كان الصدق والكذب مراتب ، ولا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً

العدل والعدل هو سبيل الطريق المستقيم المعتدل في العقائد والأخلاق والأقوال والامور كما يشاء في الصدق ، والعلم ، ومص ذلك ، ولهذا انقسم العلم الى ثلاثة أقسام كلها مساوية للعدل العلم في اتوحيد الاشياء بالله ، قل تعالى ( ان الشئ لعظيم عظيم ) وعلم الخلق في دعائهم ومواظير وعراضهم وحقوقهم ، وعلم الله بهما دون الشر ، ولا يتم العدل الكامل حتى يدع جميع هذه الاقسام ، ويتوب الى ربه ، ويقع منه ، ويخرج من حق العاد اليهم ، وهذا كان القيم بالدين كله من العدل والقسط .

« العادة والسودية لله » اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد وأعمال القلوب وأعمال الجوارح ، وكل ما يقرب إلى الله من الآمال والتروك فهو عادة ، ولهذا كان تارك المعصية لله معصياً متقرباً إلى ربه بذلك ، ولا تتم العادة إلا بالاخلاص « الاخلاص لله وحده » بأن يقصد العبد وجه الله ورضاه وثوابه في عمله الطاهرة والباطنة ، وهذه العمل الرباني والسعة والأجل عرض الدنيا وميران هذا قوله تعالى عن خيار الخلق ( يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً ) وقوله ﷺ : إن الله الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما سعى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى ديب يصيب أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه .  
وجميع الأعمال على هذا النمط ، وقد اذ بالهجرة هنا الهجرة العامة التي قال فيها النبي ﷺ : والمهاجر من هجر ما نهى الله ورسوله عنه « الخوف والخشية والتخويع والاختبات والوجل » معانيها متقاربة فالخوف يجمع العبد عن محارم الله ، وتشاركه الخشية في ذلك وتزبد أن خوفه مقرون بمعرفة الله .  
وأما التخصوع والاختبات والوجل - فأنها تنشأ عن الخوف والخشية لله فيحضع العبد لله ويخضع إلى ربه ميئاً إليه بقلبه ويبحث له الوجل ، وأما الخشوع فهو حصور القلب وقت تلبسه بطاعة الله وسكون طاهره وباطنه ، فهذا خشوع خاص . وأما الخشوع الدائم الذي هو وصف خواص المؤمنين فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته فيستولي ذلك على القلب كما تستولي المحبة « القنوت » ورد في القرآن على أحد معنيين معنى خاص بمعنى الخشوع ، ومعنى عام وهو قنوت المحنوقات كلها خلق الله وتدبيره وتصريفه « الذكر لله » الذي ورد في القرآن الأمر به والثناء على أهله ، وما رتب عليه من الخراء يطلق على جميع الطاعات الطاهرة والباطنة ، القولية والفعلية ، فكلماته صورته القلب أو أراحه أو عمله العبد أو تكلم به مما يقرب إلى الله فهو ذكر لله ، والله تعالى شرع المصداق كلها لأقامة ذكره ، فهي ذكر لله ويطلق على ذكر الله باللسان وذكر أوصافه وأفعاله والثناء عليه بقلبه وتسبيحه وتكبيره وتحميده والتهليل والصلاة على النبي ﷺ . ومن ذكره ذكر أحكامه تعميها وتعليمها ، ولهذا محال التعلم والتعليم يقال لها محال الذكر ، وأفضل أنواع الذكر ما نواظراً عليه القلب واللسان « حدود الله » يراد بها ما حرمه الله منه حدوده ، فيقال فيها ( تلك حدود الله فلا تقربوه ) ويراد بها ما أباحه وأحل له لصادقه وقدره وفرجه ، فيقال فيها ( تلك حدود الله فلا تنتهوها ) أي لا تتجاوزوا ما أحل الله إلى ما حرم الله ، ولا تتجاوزوا ما قدره الله للصادق إلى ما يحرم الله تقديره « الأمانة » هي الأمور التي يؤتمن عليها العبد فيشمل الأمانة التي بينه وبين الله ، فانه اتعصم عنده على إقامة الواجبات وترك المحرمات ، فالقيام بذلك أداء للأمانة ومراعاة لها ، وترك بعض الواجبات وخصوصاً السرية التي لا يطلع عليها إلا الله أو الصغرى على بعض المحرمات ترك للأمانة وانصاف بالحيطة ، ويشمل أيضاً الأمانات التي ينسك وبين الخلق في السماء والأموال والحقوق



فمن قام بها فقد أدى الأمانة وحفظها ، ومن تعدى فيها أو فرط أو خان فقد نحرأ على الخيانة « العهد والعقد » يشمل العهود والعقود التي بين العبد وبين ربه . قال الله عقد بينه وبين المكلفين عقداً وعهدهم عهداً بإذاعة ما خلقوا له من عبادته والقيام بحقوقه ، فإقامة ذلك وفاء لهذا العقد والعهد وإهماله نقض للعهد وانقضت الثقة وكذا لك العهود والعقود التي بينه وبين المخلوق يتعين الوفاء بها ، ويشمل ذلك عقود المعاملات كلها من دون استثناء « الشجاعة والجرم والتهور » نفي لله في كتابه على الشجاعة ومدح أهلها وأمر به ، وזה الجبن والتهور ، فالشجاعة قوة القلب وثباته وقدامه على الأقوال والأفعال في موضع لاقدام بحكمة وحسكة ، قال الله عليها في حال لا يحل له الاقدام قيل لذلك نور وحراة وحق وإلقاء بالنفس إلى التهلكة ، وأما الجبن فهو ضد الشجاعة ضمت القلب وحوره ، ويتبع ذلك خور الأعمال والخوف مما لا يخاف وهيبة من لا يهاب ، فالشجاعة خلق فاضل جميل بين حنفيين دمييين رديين ، بين التهور الذي هو غلو وزيادة عن الحد ، وبين الجبن الذي هو تقيط وتقصير وسحب وحور ، ونظير ذلك ( التقوا والحق والتدبير ) في تصريح الأول ، وسط فيما يسمى من واجب ومستحب وجمع على الوجه الذي يدعى ، يقال لذلك فوام واعتقدال ونوسط واقتصاد ، ومن مع انواحدث فهو السجل ومصادحه بحين ، ومن أسرف وراد في النفقة عما يسمى قيل بذلك إسراف وتندير ، قال تعالى ( الذين إذا بقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ) الاستقامة هي بروج الصراط المستقيم بأن يستقيم العبد على الإيمان بالله وأداء فرائضه وترك محرمه مداوماً لذلك نكث مما أحل له من حقوقها ، ولهذا من ( يستقيموا إليه واستغفروه ) أي مما وقع من الخلل في الاستقامة ( التوبة والاستغفار ) أما التوبة فهي الرجوع إلى الله بما يكرهه الله ظهراً وباطناً إلى ما يحبّه الله صهراً وباطناً ، دائماً على ما مضى وترك في الحال وعزماً على أن لا يعود ، والاستغفار طلب المغفرة من الله ، ومن اقترن به توبة فهو الاستغفار الكامل الذي ثبتت عليه المغفرة ، وإن لم تقترن به التوبة فهو دعاء من العبد لربه أن يعف عنه ، فقد يجاب دعاؤه وقد لا يجاب ، وهو بنفسه عبادة من العبادات ، فهو دعاء عبادة ودعاء مسألة ( التوكل على الله والاستعانة به ) أي واحد هو عماد القاص على الله في حال المنافع ودفع المضار الدينية والدنيوية الخاصة والعامة مع الثقة بالله في ذلك مقام ( المحبة لله والولادة إلى الله ) هي قوة الود لله لكامله ومعها الصهرة والبطنة ، والنجدة عباد لله تالطاً ورغبة ورهبة في كل مطالب وضائية انقلب مدكره ودهيج يدعائه الرجوع إليه في الأمور الدينية والدنيوية الخلية والحقيرة فمن كان قلبه مسياً إلى الله فهو محب لله ، والمسلم هو الأواه الرجوع إلى الله والأواب إليه ( المعروف والمسكر ) متقابلان ، والمعروف اسم جميع الكمال يعرف حسه شرعاً وعقلاً ، والمسكر صده ( حبيث وخطوب ) متقابلان ، والطيب مأكول طيب لصفات كثير المنافع ، والحبيث بالعكس

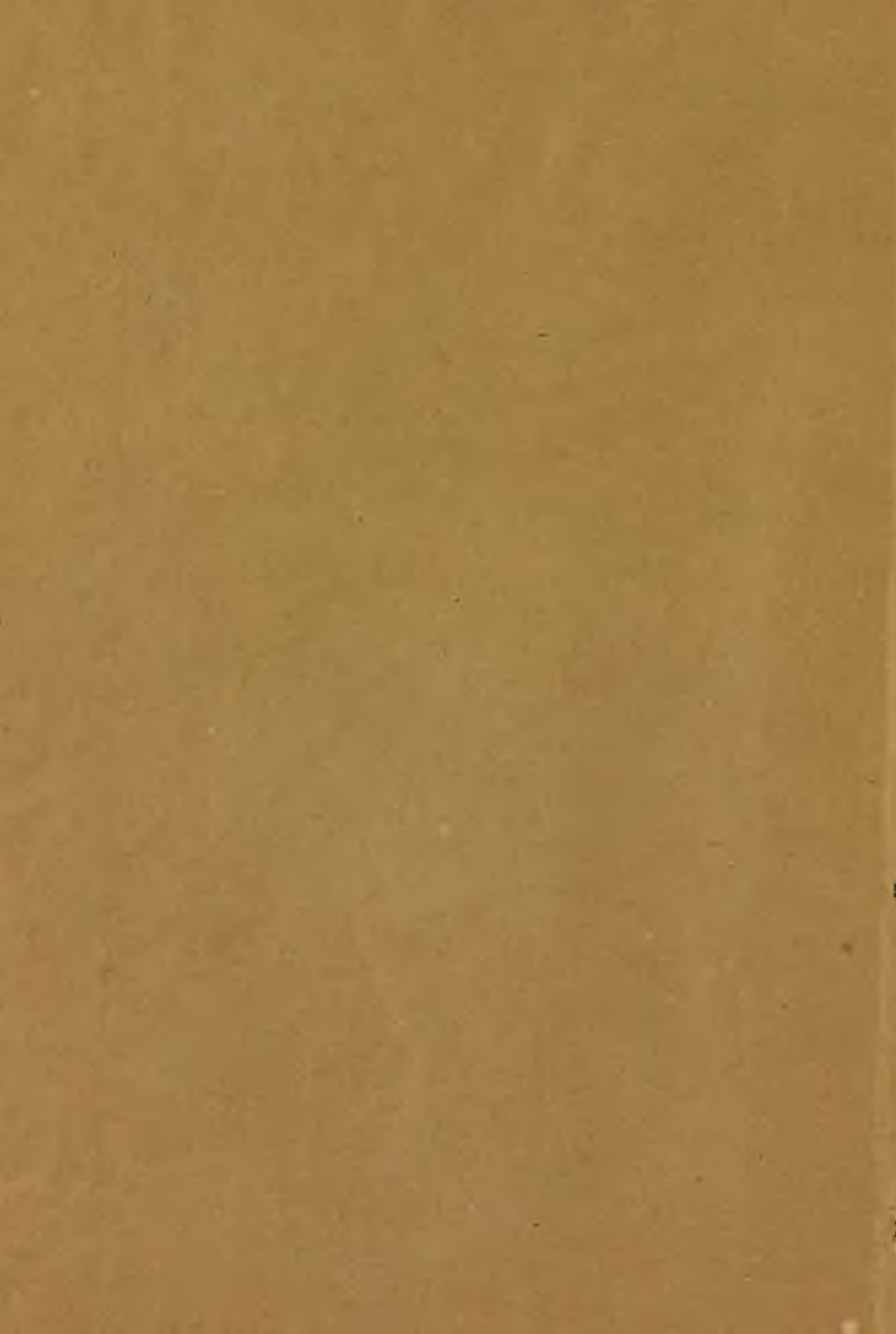
(حسن الخلق وسوء الخلق) يكون مع الله ومع خلقه ، فحسن الخلق مع الله القيام بعبوديته ظاهراً وباطناً مع قوة محبته والطاعة لله والالتزام بذكره وقوته شدة به ، ومع الخلق بدل الاحسان لهم ومع الأدنى لهم واحتمال الأدنى منهم ، وسوء الخلق بعكس ذلك كله ( اشرك والكفر ) الكفر أعظم من الشرك ، فمن جحد ما جاء به الرسول أو جحد بعضه فلا تأويل فهو الكافر من أى دين يكون ، سواء كان صاحبه معنداً أو جاهلاً ضالاً ، والشرك نوعان : شرك فى ربوبيته كشرك الثنوية الذين يشبهون خالداً مع الله ، وشرك فى ألوهيته كشرك سائر المشركين الذين يعبدون الله ويعبدون غيره ، ويشركون بينه وبين مخلوقين ، وبسوءه فى الله فى شىء من خصائص إلهيته ، وقد يكون هذا الشرك أكبر جيباً ، كأن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله ، وقد يكون أصغر كوثق الشر من الرياء والخلف بغير الله ونحو ذلك ( النفاق ) هو أن يظهر الخير ويبطن الشر . وهو نوعان نفاق أكبر ، كأن يظهر الإيمان بالله ورسوله وقده مطوياً على الكفر ونفاق أصغر ، كالكذب وإخلاف المواعيد والعمود فى النصوص ( الكبر والتواضع ) سر الربى ﷺ الكبر بأنه نظر الحق ونهط الناس ، بمعنى وصده التواضع للحق قبوله حيث كان ومع من كان ولبن الخائب والتواضع للحق .

فهذه الحدود بنمى أن تعتبرها فى كل ما يمر عليك من نصوص الكتب والسنة لتبتدى إلى معرفة ما يدخل فى الأمور التى حكم الله عليها بأحكام المصوعة ، وما لا يدخل فيها يحصل لك امرقان والارشاد والبيان ، ففسر الله أن يهدي إلى الصراط المستقيم ، وهو الدلم بالحق والعمل به وبمحبته الطرق المحالفة لذلك .

وقد يسر الله تشييم هذا التمليق المبارك فى ثلاث شوال من شهر سنة ثمان وستين لله الفلاحة والآلاف من المحرة السوية ، فكار على اختصاره وإيجازه بوصوحه فيه معونة عظيمة على فهم كلام رب العالمين ، وإن كلام الله كميل ببيان كل شىء ، يستفيع به العباد فى معاشهم ومعدهم وارتادهم إلى كل ما فيه مصالحهم المتنوعة ومنافعهم المتعددة ، وأنه يتعدى الصلاح والاصلاح للأحوال كلها إلا بأسلك الطرق التى أرشد إليها هذا القرآن فى أصول الدين وفروعه ، وفى الاخلاق والآداب ، وفى الأمور الداخلية والخارجية ، والحمد لله الذى حمل كتابه هدى وشع . ورحمة ونورا ، واجد لله الذى سمعته ثم الصالحات وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين . بخط الفقير إلى الله من كافة الوحوه عبدالرحمن بن نصر بن عبد الله السدى عفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين ، ووقع الفراغ من هذه من خط المؤلف فى سابع من الشهر المذكور والسنة المذكورة بقلم الفقير إلى ربه محمد السيل الممد العزيز البسام ، عفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين

( فهرس كتاب خلاصة التفسير )

٦	ذكر أوصاف القرآن العامة	٨٩	فصل في الايلاء والظهار واللعان
٨	علوم التوحيد والمقائد والاصول	٩٠	فصل في آيات الحدود
٩	بين ما تشتمل عليه الآية	٩٣	» في الايمان ونحوها
١٢	آية الكرسي وبيان الشفاعة ولمن هي	٩٤	» في الاطعمة والصيد
١٥	الطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله	٩٦	» في الاحكام الشرعية والبيّنة
١٩	آيات كونية تدل على وحدانية الله	١٠١	قصص الانبياء وما فيه من العبر
٢١	منة الله على الناس ببعثة محمد ﷺ	١٠٢	تفصيل قصة آدم
٢٣	دحض شبهات الكفار على الرسول	١٠٧	قصة نوح وما يستفاد منها
٢٦	وجوب الايمان بالآخرة ووصف ما فيها	١١٢	» هود وما فيها من العوائد
٢٩	وجوب لایمان بالملائكة والرد على منكريهم	١١٤	» صالح وما يؤخذ منها
٣٤	تفسير آيات في حقوق الله وحقوق الناس	١١٦	» ابراهيم الخليل
٤٢	خذ العفو وامن بالعرف أخ	١٢٦	» شعيب وما فيها
٤٣	الامر بالصلاة وتفسير إقامتها	١٢٩	» موسى
٤٦	الزكاة وما في إخراجها من الفوائد وأهلها	١٣٣	الرد على منكري الكرامات
٤٩	فصل في الطهارة بالماء والتيمم	١٣٦	أسباب حصول المغفرة
٥٢	فصل في صلاة الجمعة	١٣٧	قصة يونس
٥٤	بيان صلاة السفر والخوف	١٣٨	» داود وسليمان
٥٥	فصل في وجوب الصيام وفوائده	١٤٥	» أيوب — قصة الخضر
٥٧	قربه تعالى واستجابته لدعاء الداعي	١٤٩	» ذو القرنين
٥٩	وجوب الحج وتوابعه	١٥١	» عيسى وأمه وزكريا
٦٥	فصل في الجهاد وتوابعه	١٥٤	» يوسف ويعقوب
٧٠	فصل في السبوح وأنواع المعاملات	١٦٣	» أصحاب الكهف
٧١	ساد الربا والميسر والغرر	١٦٤	سيرة خاتم النبيين ومعاملته للكافرين
٧٢	آية كتابة الديون وما فيها من الفوائد	١٧٠	غزوات الرسول وتواريخها وتفصيلاتها
		١٧٢	كمال القرآن وأسلوبه وتأثيره
٧٥	أحكام الموارث	١٧٣	تفسير كلمات جاءت في القرآن لعدة معان
٧٧	فصول في السكاح وتراعه		الامه • السلطان • المساق • استوى
٨٢	طبقات النساء وتأديب المعوجة		التأويل • المعية
٨٣	إرسال الحكمين من الامل عند النزاع	١٩٣	الاسباب الموصلة الى المطالب العاليه
٨٦	أحكام الطلاق	١٩٧	الدعوة الى الله وأقسام الناس عندها
٨٧	اختلاف عدة المرأة باختلاف الاحوال	١٩٩	تحديد ألفاظ كثر ضرورها بالقرآن









(RECAP)

BP130

.2

.XS3



32101 057498832